هكذا ...!!
كنت في سيلان

بقلـــم

مَعْن بن شَنَاع العِجْلي

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

هكذا كنت في سيلان

بقلـــم

مَعْن شَنَاع العِجْلي

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

اين كان هذا الكتاب ؟

قدمت هذا الكتاب الى ـ مطبعة دار الكتب اللبنانية ـ ببيروت ـ في شهر رمضان المبارك من عام ١٣٩٥هـ ـ الموافق ـ ايلول من عام ١٩٧٥م ـ وقد كان ذلك في بداية الحرب الاهلية اللبنانية • وكنت وولدي عمر قد نزلنا (فندق السلام) في شارع سوريا قبالة بناية (اللعازرية) التي فيها ـ دار الكتب اللبنانية ومطبعتها • وقد كنا ـ انا وولدي ـ نُصَبِّح اهل هذه المطبعة وَنُمسِّيْهم لنحثَّهم على الاسراع بانجاز الطبع والعناية بالتصحيح • وفي اثناء ما كان الرمي والحريق والنهب والسلب والنار والموت ودوي المدافع وازيز الرصاص ودخان القنابل يسيطر على كل شبر من بيروت ويأخذ سماء لبنان من جميع اقطارها • وعندما كان اللهب يتصاعد من (سوق سرسق) ومن (اللعازرية) وما جاورها فيحول دخانه الاسود بين رؤية بعضنا بعضا ونحن في الفندق • وعندما كان هدير الصواريخ والانفجارات المتبادلة وقصف الاسلحة المنصوبة على سطح فندقنا أو قصف الاسلحة المصوبة الينا من ـ ساحة البرج ـ وشارع غورو ـ ومن ـ ساحة الدباس ـ يسك الاسماع فلا يسمع بعضنا صوت بعض فلقد اطل ولدي عمر من النافذة المحطمة فرأى الحريق مندلع الألسنة في مكاتب ـ اللعازرية ـ فهتف صارخاً • أبتاه • أبتاه • انظر • انظر • لقد احترق مكتب (دار الكتب اللبنانية) وقد احترق كتابك أيضاً • فنسيت نفسي ونسيت هول الحرب

وطاش بصري عن النظر الى الجثث الاربع المبعثرة في باب الفندق وكدت القي بنفسي الى الشارع الذي قد كان يفور بنيران الرصاص وشظايا القذائف ويشتد ظلاماً بالدخان الاسود الذي قد كان مثل الجبال يعلو فوق هذه العمارات والمنازل ٠

ولقد اخذت أحس كأن لحم جسمي هو الذي قد كان يحترق في تلك النار وليس هذا الكتاب هو المحروق ٠ غير أني وعظت نفسي وهدأت ثائرتي ٠ وتذكرت الحادثة التالية المروية في بعض كتب الحكم والمواعظ ٠ ومنها ـ كتاب تذكرة الأولياء ـ لنجم الدين العطار ـ باللغة الفارسية ٠

قيل إنه قد كان احد العلماء من اهل بغداد ـ في القرن الخامس الهجري ـ مسافراً مع ولده الى (خراسان) ٠ وبينما هما في الطريق اذ سمعا من احدى القوافل أن جميع السوق في مدينة بغداد قد احترق ٠ وقد صارت الدكاكين كلها ركاماً ورماداً ٠ فاغتمّ هذا الشيخ لذلك وحزن وأمر ولده أن يشخص عائداً الى بغداد ٠ وقال له : إرجع الى هناك ٠ ونحن ملبثون ومقيمون في مكاننا هذا حتى تأتينا بجلية هذا الخبر ٠ فقفل الفتى راجعاً الى بغداد ٠ وظل ابوه والركب ينتظرونه ٠ وبعد الأيام التي امضاها في الطريق ذهاباً واياباً فانه قد عاد وهو يقول لأبيه ٠ يا بشرى ٠ إن جميع اسواق بغداد قد احترقت ٠ ولكن ٠ الحمد لله ٠ فان دكاننا لم يحترق ٠ وكان وجه الفتى يتهلل فرحاً وسروراً ٠ غير أن اباه الشيخ ما كاد

يسمع هذه الكلمات حتى اجهش باكياً وسال دمعه وعلا نحيبه ٠ فاستغرب ولده ذلك وتعجب وقال له ٠ انا ابشرك بسلامة دكاننا وانت تنوح وتبكي ٠ فقال الشيخ لابنه ٠ ويلك ٠ انا ابكي لأن الله تعالى قد عزلني عن عباده المسلمين الذين امتحنهم بالنقص في اموالهم ٠ ولم يشملني بالابتلاء والمصيبة مع سائر المؤمنين ولا خير في دكاني ٠ ولا خير بما فيه بعد احتراق دكاكين المسلمين في بغداد ٠

نعم ٠ لقد تذكرت هـذه الحكاية ٠ ومع هـذا فاني لا استطيع هنا أن اصف ما حل بي من الضيق والانفعال والغضب لأني لم اذخر نسخة ثانية من هذا الكتاب عند ما قدمت النسخة الوحيدة ــ الخطية ــ الى المطبعة ٠ وتوقف فكري عن المطالعة والكتابة وانقطعت عن البحث اربعة اعوام كاملة ٠ واصابني مـا يشبه الشلل خدِرت لـه اعصابي وعضلات جسمي ونفرت من الكتب والقراءة وحديث المطابع ٠ الى أن قلت لنفسي ٠ زاجراً وناهياً ٠ ومذكراً بالداهية الدهماء التي اصابت لبنان كله بجميع سكانه ــ مسلمين ومسيحيين ٠ ما قيمة هذه الصحائف المسودة بقلمي ازاء ما حل باخواننا في لبنان من القتل والحرق والفناء الذي أودى بالوجوه المنيرة وعفر الجباه الكريمة ٠ وأتى على المجهود البشري الفكري والاقتصادي اللبناني من قواعده فلأكن اذاً مثل صاحب ذلك الدكان ٠ ولأقل مثلما قال ٠ ولأكن اذاً منشرح الصدر مطمئن النفس لأن كتابي قد احترق مع ما احترق من كتب اللبنانيين

ومنازلهم · وأن الله تعالى قد ابتلاني ـ بامتحان صغير ـ لمشاركة اهل لبنان مشاركة روحية في بلواهم القاصمة · فاذا احترقت بيروت وضاقت سماؤها بالارواح الزاهقة وامتلأت مقابرها بالاجسام العزيزة وانهدم الصرح الشامخ من هنا وهناك · فعلام هذا كله من اجل ـ كتاب مخطوط !

وقد كان من حقي فوق هذا الاحساس ـ بكل اعماقه وآلامه أن اتوجه الى صاحب المطبعة ـ الاستاذ منير جمال الدين ـ سائلا ومستفهماً عن مصير هذا الكتاب فكان جواب هذا الصديق بأن هذا الكتاب قد احترق وصار رماداً في جملة ما احترق من المخطوطات والوثائق والكتب التي كانت في المطبعة المذكورة ·

ولكنني قد ذهبت الى بيروت في شهر رمضان من عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م واسترجعت هذه النسخة من الاستاذ منير جمال الدين نفسه مستغرباً اخفاءها عني وراء الاعتذار باحتراقها · شاكراً له حفظها من التلف والضياع مغضياً عن ـ الحسابات المادية الأخرى ـ ولم اسأل عن الرقاع والصور والرسوم التي كانت تمثلني في هذه الرحلة الفكرية الأثيرة عندي العزيزة على نفسي ·

مَعْن شَناع العِجْلي

شعبان ١٤٠٢هـ — العراق ـ محافظة ذي قار

حزيران ١٩٨٢م — سوق الشيوخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

لا أريد ان اقدم تلخيصاً لهذه الصور والمشاعر والانفعالات التي أديتها مكتوبة في هذه (الرحلة) • فليس ثمة وحدة موضوعية تنتظم هذا الكتاب ، فتسلسُل المقدمات وترتب النتائج بحيث يسهل ايجاز الغرض واختصار الغاية بل إن هذه الموضوعات أفكار متنوعة وخواطر متفرقة ، والهامات روحية ، قذفتها في صدري رؤيـة المسلمين السيلانيين • وأوحتها الليالي والايام التي أمضيتها في هذه الديار • ومن هنا ، فان القارىء سوف يصحبني ويمشي معي كأنه رفيق لي ومسافر معي ، قد تجول وتحسس وإنفعل مثلما تجولت وانفعلت انا •

لقد فصلت في هذه ـ الرحلة ـ الاسباب والدوافع التي أوجبت سفري الى ـ سيلان ـ وتقصدت ذكر الاسماء وتثبيت الايام والليالي بالتاريخ الهجري والميلادي • وأبرزت صوراً ورسوماً لبعض الاشخاص والاماكن • فلم يكن حينئذ أي سبب يقضي عليَّ بتحبير مقدمة مستفيضة • ولكن الغرض من هذه الاشارة هو القول إن هذه (الرحلة العربية الاسلامية) بوسيلتها وغايتها ـ هي إحساس عربي إسلامي قد عبرت فيه تعبيراً صادقاً عن الشعور الذي ألم بي ، والفكر الذي ورد على قلبي والعواطف التي حركت القلم في سيلان • ولا ريب ان صفحات هذه الرحلة متباينة القوة والضعف في مقياس البيان

والبلاغة · ومتفاوتة الالهام والتأثير في مجال الانفعال والتلقي · وذلك امر لا بد منه في تدوين المشاهد والأحوال . وخلال الكلام عن لقاء الآخرين والتفاعل معهم ، فلكل ساعة من الزمان حال خاص من الشعور والفهم ، ولكل لقيا تأثير مباشر فعال ، وعندما يجول معي القارىء في هذا الكون الصغير الذي جلت به صعودا وهبوطا ، فعصرت في قلبي نشوة الروح ، ورشف قلمي رشفات من الحبر الذي لا يمحى ولا يتبدل فكنت أقطّره لقلمي من براعم الأزهار بين (كولمبو) و (كاندي) ، واعصره من أحداق العيون الرامقة بالاخلاص والرحمة وحب العرب · نعم عندما يتابعني القارىء الكريم — وانا اصطلي بنيران خيالي المضطرم واحساسي الهائج المتولد في قلبي من تصور الفرقة والكوارث والقتل الجماعي الذي حل بقومي العرب · فانه سيشعر ويدرك غايتي التي انشدها ويعرف سبيلي التي سلكتها في رحلتي هذه · ويفهم المرمى والهدف من تحريك قلمي لتسجيل هذه الوقفات في أرض سيلان اليوم ، وتحريكه لتسجيل نظرات اخرى في افغانستان وغيرها من بلاد الاسلام غداً ·

وانا أعتقد أن القارىء سيعلم حق العلم بأني اطوف الآن على ارض الفتوح الاسلامية باحثاً ومنقباً وسائلا عن جذور العرب الذين ألقى بهم دين الاسلام في هذه الأصقاع النائية ، وجاءت بهم دعوته الى هذه الديار · واني افحص التراب وانبشه استقرىء وافتش آثار اقدامهم ومغارات خيولهم أو

مرافىء سفنهم في أية بقعة نهض فوقها ومشى على صعيدها مسلمون من أمة العرب ٠

فلقد أتيت الى سيلان ٠ وذهبت الى غيرها ودرت هناك وهنالك ، لكي أعود الى أمة العرب بكتاب ادل فيه على مواطن ابناء الفاتحين ودعاة الاسلام من اجدادنا الذين غابوا في مدلهمات الحوادث ٠ وضاعوا في غياهب القرون ونسيناهم وصرفتنا عنهم مصائب الدهر من الحروب الصليبية المدمرة وزحوف المغول التي قصمت ظهورنا ، وهجمات الاستعمار الغربي الصليبي المتمثل في اسرائيل وغير ذلك من المحن والحروب الداخلية وثورات الانفصاليين ٠

لكني قد وجدت الوف الألوف من المنتسبين للعرب في الهند وباكستان وفي افغانستان وغيرها ، ولقد رأيت كثيرين منهم يفخرون بذلك ، متعالين ومتباهين ، ذاكرين أصولهم العربية دائماً فلم ينسوا أمتهم العربية ، ولم يغفلوا عنا مثلما غفلنا عنهم ، بل قد وجدت خلقاً كثيراً من الناس في سيلان وفي افغانستان خاصة ، يصرح بنسبه العربي ، ويدلل على ذلك ولان نسي هؤلاء الناس لغتهم العربية وإنطمس أمام عيونهم تاريخ آبائهم وأجدادهم ، فان دينهم القرآني كفيل بتوجيه قلوبهم ، وتنبيه عقولهم الى أروماتهم وسلالاتهم العربية ٠ نعم ، وليس في ذلك ما يباعد بينهم وبين إخوانهم المسلمين الآخرين ، فان الوجود الاسلامي الواحد هو القدر الجامع وحبل الله المتين ، الذي يجعل من العربي ومن جيرانه

المسلمين الذين يحيا بينهم ويعيش ويتزوج كلا لا يتجزأ ، وعروة وثقى • هذا هو الغرض من تأليف هذه (الرحلة) • وذلك هو ما أردت القارىء العربي أن يحس به ويدركه حينما يتناول هذا الكتاب بالقراءة والنظر • فأنا اسعى وأدعو وأعمل واسافر في هذه الأقاليم الاسلامية التي بعدت اليوم وتناءت اذ غار طوفان الدعـوة الاسلامية وتفرقت العرب • وقد كانت أمس قريبة كل القرب عندما كان العرب أمة واحدة ينادون الناس بهذا الدين ويدعون إلى الأخوة الانسانية بالتشريع الاسلامي • لقد كانت سيلان ـ عندما كان حكم الاسلام قائماً ـ وفي عصور السفن الشراعية وفي أوقات المشي رجالا وعلى ظهور الجمال والخيول ـ أقرب الينا منها الآن ـ ونحن في عصر الطائرات والاقمار الصناعية• وقد كانت خراسان وما وراء النهر ـ بكل اقاليمه ـ مراكز عربية وقواعد إسلامية • وللقوة وسرعة النجدة وانتظام جيوشنا آنذاك • ولفعاليَّة النور القرآني في نفوس العرب كأن جبال خراسان كلها وكأن بلخ وسمرقند قد كانت على أبواب بغداد • وكأن الخيل والابل يومئذ كانت تنتقل وتجول بين الوديان السحيقة وعلى الجبال الشاهقة بقوة الاشعاع الذري وبسرعته • ويخيل لمن لا يعرف القوة الاسلامية الدافعة في قلب الأمة • ولمن يدرس تاريخ العرب الروحي كأن العرب وقتذاك قـد اتخذوا المركبات الفضائية وركبوا الاقمـار الصناعية ، عندما فتحوا نصف الدنيا ونشروا الاسلام •

هكذا . فقد كانت روح العربي مضيئة صادقة ثائرة عاملة لتوحيد الله وتوحيد الأمة . فلما خارت هذه الأمة وتلاشت وحدة العرب وتصدع الشمل إنقلبت أمتنا الى دول وإمارات وأقاليم شتى . وإنقطعت عنا خراسان « قاعدة العرب الاسلامية الكبرى » وضاع من ايدينا أراض مدافة بدمـــاء الأجداد والآباء ومغموسة بأرواح القـــادة والشهداء والأبرار والشجعان من أمتنا مما أوجب علينا ان نتفقد الوجوه العربية التي انتثرت في سماء الاسلام وأرضه وميدان فتوحه مثلما تنتثر الكواكب اللوامع في الآفاق الظلماء فيسفر بها الكون وينحسر الظلام .

ان النسل العربي الذي تفرق في عوالم الفتوح لا يزال يروي قصة الفتوح ولا تـــزال هناك كنوز مـــن الذكريات والسوانح تضمها تلك الصدور الطافحة بالاحساس العربي الاسلامي . ولمثل هذا فليرحل الراحلون وليكتب الكاتبون .

مَعْن شَناع العِجْلي

البحرين ــ المحرق

شهر رمضان المبارك ١٣٩٥هـ

الموافق ٦ ايلول ١٩٧٥م

نظرة في سيلان

جزيرة سرنديب كما كان يسميها المؤرخون العرب الاوائل ـ أو جزيرة سرالانكا ـ كما تسمى باللغة السنسكريتية ـ هي جزيرة واقعة في المحيط الهندي ـ ج ـ ق ـ مساحتها ٦٥٦٠٩ كم٢ وقد كانت في أزمانها الاخيرة احدى دول الكومنولث البريطاني ـ وعاصمتها كولمبو ـ اغلب اراضيها جبلي وفيها سهول ساحلية ٠ ومن أهم مواردها انزراعية الأرز وجوز الهند والمطاط والشاي والمانجو والبرتقال والاناناس والكاكاو ٠ وتشتمل على ثروة حيوانية لا بأس بها من البقر والغنم والجاموس ٠ وقد اشتهرت بالجواهر والأحجار الكريمة ٠

وأول مملكة سنغالية ـ سنهالية ـ أقيمت في هذه الجزيرة قد كانت على يد احد الامراء الهنود الآريين ٠ وقد دخلت سيلان الديانة البوذية في القرن الثالث ق٠ م٠ أما الدين القديم الثاني فيها فهو دين الاسلام ٠ قد انتشر فيها عند مطالع القرن الثاني الهجري ٠ قام بذلك التجار العرب والدعاة الاسلاميون الذين قدموا إليها من البصرة وحضرموت والبحرين والكوفة ومن الهند بعد الفيض الاسلامي العظيم في خراسان ـ وفي ما وراء النهر ـ وبعد التحرك العربي الاسلامي الى أعماق الهند ٠ ولا شك ـ بعد ذلك ـ في ان الدعاة المسلمين قد اتخذوا من سيلان قاعدة ثانية لنشر الاسلام في البلاد التي وراءها ٠

اني أقدم الآن نبذة موجزة من تاريخ سيلان القريب . وأنا لست مهيئاً للخوض في تاريخ هذه البلاد بمراحله الاولى. وما جاءت هذه الرحلة من أجل ذلك . بل لا بد هنا من ذكر معلومات جغرافية وتاريخية مختصرة كتمهيد للدخول في الكلام حول سيلان . وفي كتب الجغرافيا واطالسها وفي الموسوعات والقواميس وكتب التاريخ الغنى كلّ الغنى والكفاية كلّ الكفاية لمن أراد المزيد وتوسعة المعرفة بهذه الجزيرة .

لقد تصارع على أرض سيلان النفوذ البرتغالي والنفوذ الهولندي عام ١٦٥٧م ، وفي عام ١٧٩٥م استولى البريطانيون على المستعمرات الهولندية التي كان من جملتها ـ سيلان ـ فاستولى الانكليز فيها على مملكة كاندي عام ١٨١٥م . أما الاستعمار البريطاني ونفوذه الفعلي في سيلان فقد تقلص وانحسر عام ١٩٤٨م . واصبحت سيلان من ذلك الحين دولة مستقلة ، وهي الآن من جملة دول عدم الانحياز .

وقد كان سير جون كوتلادا أول رئيس وزراء لهذه الدولة ١٩٤٨م الى ١٩٥٦م ثـم خلفه على رئاسة مجلس الوزراء باندرانايكا الذي اغتيل ١٩٥٩م ولقد تسلم رئاسة الوزراء عقب ذلك ويجايندي . وفي أيامنا هذه ـ فان رئيسة الوزراء فيها هي المرأة باندرنايكا ـ زوجة رئيس الوزراء الاسبق المشار الى اغتياله آنفاً .

ان سيلان مكتظة الآن بالمؤسسات الدينية والمعابد والمساجد والكنائس مع ان أتباع الديانة البوذية يكونون اكثر السكان

إلا ان اتباع الديانة المسيحية يبذلون نشاطاً متنوعاً على سبل متعددة وشُعب متفرقة ويقومون بفعاليات واسعة على كل صعيدوفي كل مرفق من المرافق لاضعاف الديانة البوذية والقضاء عليها ولمزاحمتها وتنصير رعاياها • وقد كان مصدر هذا النشاط وسبب هذه القوة والاندفاع هو المساعدات المالية والثقافية والفنية التي تقدمها الدول الغربية وأمريكا للجمعيات (الخيرية) المسيحية وللمدارس والارساليات التبشيرية •

ومع ان الديانة المسيحية لم تنتشر إلا في هذا القرن وفي الربع الاخير من القرن الماضي ـ على أيدي الانكليز ـ وقبلهم على أيدي البرتغاليين إلا أن التبشير المسيحي قد توسع وأينع وانتج النتاج المطلوب وبلغ مداه في اثناء الخمسة والعشرين عاما الأخيرة حيث ازداد عدد المسيحيين ازديادا سريعا وضرب رقما قياسياً اذا قورن بما كان عليه النشاط المسيحي التبشيري قبل الحرب العالمية الثانية • وقيل لي ان عدد المسيحيين قد ارتفع خلال الخمسين السنة الاخيرة من بضعة آلاف من النصارى مغمورين متفرقين في نواحي سيلان الى مليون ونصف المليون في الوقت الحاضر •

من المعلوم لدى جميع المؤرخين أن الدين المسيحي طارىء على هذه الجزيرة وحديث العهد بها وليس له عروق أصلية ولا منابت قديمة فيها • ولقد وفد عليها مع حملات المستعمرين البرتغاليين والانكليز • ولا يزال المؤمنون

بالاسلام يشعرون ويوقنون بأنهم أهل هذه الجزيرة وانهم المبلغون الاوائل بالاسلام ـ الملة الابراهيمية الحنيفية . وأنهم أصحاب الدين الحق الذي هبط هذه الجزيرة ونزل سواحلها بالنور والعلم والمعرفة ودعوة السلام والأخوة الى الناس كافة وليس بالبوارج الحربية والمدافع والقتل وإذلال الشعوب مثلما جاء المبشرون المسيحيون الى سيلان طلائع لخدمة البرتغال والانكليز وارتالا خامسة وعيونا وارصادا للتبشير بالحضارة الامريكية الفاسدة والدعوة الى الاستعمار الامريكي والاوربي ، والتحرك بتوجيهات الصهيونية واليهودية .

فشعار المسلمين في سيلان ، هو الأمان والخير والمواطنة الصالحة مع جميع أهل الملل والنحل والمعابد في هذه الجزيرة . وهذا هو الفرق بين دعاة الاسلام في هذه البلاد وبين المبشّرين المسيحيين المسخرين للاستعمار الغربي ، والنفوذ الامريكي الصهيوني .

يبلغ عدد السكان في سيلان حوالي ١٤ مليون وفيهم تسعمائة ألف مسلم ، ومليون ونصف المليون من المسيحيين ، وطوائف من الهنود (التمل) وبعض الاقليات الصينية ولا يزيد عدد هؤلاء على ربع مليون أما الباقي من سكان سيلان فجميعهم من البوذيين . أما المسلمون في هذه الجزيرة فهم موزعون على اماكن متعددة من المدن والقرى . ولكن اكثر المسلمين يقطنون كولمبو وبرولا .

إن أرض سيلان مغطّاة بالأشجار المتنوعة والغابات الكثيفة . وسلاسل جبالها ووديانها وسهولها والمنبسط من

أراضيها مجلل بالاخضرار ومزّين بالمناظر الفاتنة الجميلة كما يتضح ذلك في الاوصاف القادمة ·

فسيلان خصبة غنية بمياه الامطار المستمرة اكثر شهور السنة · ويستخرج من أرض سيلان الياقوت بكل أنواعه · وفيها الحجر الكريم المسمى ـ عين الهر ـ وعملة سيلان المتداولة في هذا الزمان هي ـ الروبية السيلانية ونظام الحكم في هذه البلاد جمهوري برلماني · وفي سيلان عدد كبير من المنظمات الاجتماعية والمؤسسات الخيرية والنوادي والجمعيات السياسية · وفيها الآن ثلاثة احزاب تتنافس وتتناحر من أجل الوصول الى الحكم ـ هي حزب سرالانكا ـ وحزب الاتحاد الوطني ـ وحزب المؤتمر السياسي ـ التمل السياسي ـ والذي يحكم البلاد هذه الايام هو حزب الاحرار وترأسه بندرانايكا رئيسة الوزراء ·

وللمسلمين هنا بعض التصرف الحر في ممارسة العبادات واقامة صلاة الجمع والقاء الخطب في مواسم معينة مثل موسم الاحتفال بالمولد النبوي وغيره · وتمنع حكومة سيلان أي تنظيم إسلامي سياسي · ولا تجيز للمسلمين التحرك الفعلي للتبشير بالاسلام · ومع ذلك فللمسلمين في سيلان مدارس خاصة لتعليم اللغة العربية ، وتدريس العلوم الاسلامية · ولهم مكتب أهلي لرعاية الأوقاف الاسلامية · ولديهم قضاة متخصصون بالنظر في الاحوال الشخصية · ولكنّ حكومة سيلان ـ في هذه المدة الاخيرة ـ قد أخذت تضيق على المسلمين

بالمنع من السفر الى حج بيت الله الحرام متعللة بأسباب اقتصادية • وقد تناقص عدد الحجاج المسلمين في هذه السنة ، وأحس المسلمون بالمراقبة الحكومية ضدهم والحجر المفروض عليهم • ولكنّ هذه الاجراءات لا يمكن ان تضعف الروح الاسلامية في سيلان فالمواطنون السيلانيون عموما يحترمون المسلمين ويحبونهم ويفاخرون بصلاحهم وحسن أخلاقهم •

ان في سيلان ما يزيد على ١٣٠٠ (ألف وثلثمائة مسجد) تقام فيها الصلوات الخمس • وقد بنيت هذه المساجد بأموال المسلمين أنفسهم • ولقد ألحق بالكثير منها مدارس صغيرة لتعليم اللغة العربية ومبادىء الشريعة الاسلامية • ولقد وجدت المسلمين في سيلان شغوفين بتأسيس المعاهد التعليمية الخاصة باللغة العربية والشريعة الاسلامية وتكبير اسمائها والمبالغة في ذلك حتى لو كانت مدارس بالاسم بدون طلاب ولا مدرسين • كل ذلك طموحا الى المعرفة القرآنية وتعلقاً بالتاريخ العربي •

اكثر المسلمين في هذه الديار يقدسون المزارات ويزورون اضرحة العلماء من سادات العرب الصالحين الذين قدموا الى هنا كدعاة للاسلام وفقهاء ومصلحين متأثرين في ذلك بالطرق الصوفية ومقلدين لما يحدث في اكثر البلاد الاسلامية • ولقد شاهدت مؤسسات ثقافية ومكتبات اسلامية عامة يديرها المسلمون وينفقون عليها • ولقد عجبت عندما سمعت الاكثر

الاغلب من هؤلاء المسلمين يتحدثون عن أصلهم العربي ٠ ويذكرون إنحدارهم من البصرة والبحرين وحضرموت ٠

وفي سيلان مجموعة من المسلمين تطلق عليهم تسمية ـ مراكو ـ نسبة الى مراكش ويقول بعضهم إن هؤلاء عرب قد جاؤوا من مراكش في زمن البرتغال ٠

لقد سمعت المسلمين السيلانيين يتحدثون بداهة وبدون حاجة الى الدليل عن نسبهم العربي واثقين من ذلك مستندين على المسموع والمنقول عن أوائلهم وأجدادهم ومعتمدين المكتوب في صفحات التاريخ(١) ٠

وفي سيلان ثلاث جامعات ، ولقد فتحت إحدى هذه الجامعات فصلا خاصاً لتعليم اللغة العربية ، ويضاف الى ذلك فان الحكومة السيلانية تشرف إشرافاً جزئياً على جهاز تعليمي غربي كامل من المدارس الامريكية والكليات التبشيرية التي يديرها مسيحيون اختصاصيون في التربية والتعليم وممتازون في التوجيه الفكري ويسيرها رهبان وراهبات وأساتذة قديرون على انجاز مهماتهم التعليمية ٠ وكان ابن بطوطة قد زار سيلان وتحدث عنها في رحلته المشهورة « باسم رحلة ابن بطوطة » وقد ذكر كولمبو وتحدث عن الوزير المسلم الذي كان صاحب الأمر ومتنفذاً في سواحل هذه البلاد ٠ وقبل وصول ابن بطوطة الى سرنديب ٠ فقد كانت هذه الجزيرة

(١) راجع **Guide To Ceylon** لمؤلفه الاستاذ **H. A. J. Hulugalle** ص ١٠ «فقد ذكر هذا المؤلف ان نصف المسلمين في سيلان يرجعون الى الاصل العربي» ٠

معلومة لدى العرب لم تنقطع الصلات التجارية بين العراق وبينها منذ أقدم العصور ودليل ذلك انتشار الاسلام فيها ، وقيام المساجد على أرضها منذ الفتوح الاسلامية الأولى • ولا شك ان التاريخ الاسلامي يؤكد ذلك وينطق به •

والتجار العرب الدعاة الاسلاميون قد كان لهم ميناء هنا وبقيته الآن مسجد" يسمى ـ كج مسجد ـ كما سنشير الى ذلك في مكان آخر من هذه الرحلة • ولقد كانت الهجرة الاسلامية متواصلة الى هذه الاطراف من أرض العرب ومن خراسان ومن الهند ، وكانت الدولة العباسية وبيوت العلم والدين في بغداد وخراسان ترعى هجـرة العلماء والأتقياء وتشجع الفقهاء على الاقامة في سيلان •

لقد سمعت كثيرا وقرأت عن الأحجار الكريمة في سيلان ورأيت الناس يتحدثـون عنها وشاهدت الأحجار الكريمـة المستوردة من سيلان الى بلاد العرب ، وكنت اسمع بذكر هذه الجزيرة مقرونة دائما بهذه الجواهر وأصنافها ولم يكن لدي إلا العلم القليل عن أرض سيلان وما نبت فيها من عجائب الورد وروائع المنظر •

انا أريد في هذه النظرة السريعة ان اتحدث عن الجواهر الكريمة في أسواق سيلان • ولقد رأيت ذلك لازماً للاطلاع على هذا النموذج من الحجر الذي يتحدث عنه السائحون وينجذبون الى سيلان من أجل الوقوف على مصادره الاولى ، ولذلك فانّي سأقدم الى ذهن القارىء صورة كلامية عن هذه

البضاعة المهمة ، واذ فاتني التفصيل والاطناب ومتابعة كل ما في سيلان من تلك الاحجار فانـّي سأكتفي بالاشارة والتلميح والعبارة الموجزة المفيدة دون الخوض في تاريخ هذه البضاعة وفروعها ٠ وحسبي اني قد ذهبت الى سيلان للالمام بالدعوة الاسلامية هناك مع أني لم استطع تهيئة الوقت والأموال والاقامة وهدوء النفس لكتابة التاريخ الاسلامي في سيلان ، بل إن هذه رحلة سريعة سأحمد العاقبة منها ويفرح قلبي لها مدى الحياة اذا أمكنني دهري من اصدار هذه الاوراق مطبوعة في كتاب ٠

لا بد للسائح في سيلان من النظر في أسواق الجواهر والتحديق في معروضاتها وقد كان لباسي العربي يُخيِّل الى باعة الجواهر ـ الذين اكثرهم من المسلمين ـ بأني من رجال الأعمال أو أني تاجر كبير من التجار العرب فكان المسلمون يعترضون طريقي متنافسين على دعوتي لدخول دكاكينهم ، وكان الرجل منهم يندفع نحوي ويمسك بذراعي ويأخذ في الكلام عن أسماء هذه الجواهر وصفاتها وأثمانها ، وكيف أن الغربيين يتهافتون عليها بحرص شديد ويشترونها بدون مساومة ولا معاملة ولا سؤال كثير !

ثم يبسط أمامي ويعرض علي تواقيع وعناوين وأسماء من مختلف أنحاء الدنيا قد زاروا هذه الدكاكين واعجبوا بهذه الأحجار واغتنموا وابتاعوا وعبروا عن فرحهم وإعجابهم بها٠

قد تجولت في هذه الاسواق وشاهدت كل هذه الجواهر ـ الاصيل والدخيل ـ والسيلاني والاجنبي والطبيعي المستخرج من سيلان والمصطنع المستورد من البلاد الاخرى . كنت أتعمق وأبحث عن القصد من اقتناء هذه الأحجار التي هي أحجار لا اكثر ولا أقل ـ واستغرب إدّخار الناس لها وصيانتها وحفظها في الخزائن الخاصة والصناديق المغلقة وتناقلها وتوارثها بين الابناء والبنات بعد الآباء والأمّهات . فمنذ عرف الانسان الحياة الاجتماعية وأدرك العمران ومنذ آلاف السنين قبل الميلاد تحلى بعض الناس بهذه الاحجار النادرة وتزينت بها الرجال والنساء في الاصابع والاعناق وعلى الصدور خواتم وقلائد وأقراطاً وعقوداً يصاغ عليها الذهب وتطعّم بالفضة ويتفنن الصناع والصاغة في إتقانها وصفها واظهار مزاياها للمتاجرة والمنفعة أو للتفاخر والتباهي .

وخلال تجوالي في دكاكين المجوهرات كنت احمل بيدي مطبوعاً باللغة العربية صادرا في العراق يتحدث عن أصل هذه الجواهر النفيسة ويشرح تكوّنها وأسباب اقبال الناس عليها في الماضي والحاضر وقد رأيت هؤلاء التجار يعجبون مني ويستغربون عندما أكلمهم عن أسمائها ومزاياها مع اني لم اشترِ إلا أربع قطع صغيرة لا يزيد ثمنها على عشرة جنيهات استرليني .

والاحجار الكريمة معادن ذات خصائص وعناصر فيزيائية طبيعية معينة ولها تراكيب عنصرية مادية ـ كيماوية ـ خاصة

اضافت عليها قيماً ومعاني وارتفعت بأثمانها عند بني البشر قديما وحديثا • وجعلتها نادرة غالية الاسعار مطلوبة في جميع أسواق الدنيا •

ان لهذه الأحجار تقديراً خاصاً يقوم على صفائها ونقائها وعلى مظاهر الشفافية وبريقها ولمعانها • والعارفون بها يُدركون ذلك ـ أول مرة ـ في مناجم هذه الاحجار خلال قطعها وفي أثناء قلعها وصقلها • والمعلوم ان أعلى الأمثلة للصفاء والشفافية هو الألماس الذي يجمع كل الصفات الخاصة بالحجر الكريم المتكامل ـ كالبريق واللمعان ـ والشفافية والديمومة على المقاومة ـ وبعض الاحجار لا يمتاز إلا بصفة واحدة ليس غير كالياقوت الذي يتميز بلونه الشفاف •

ومن سمات هذه الاحجار متانتها وقابليتها على تحمل عوامل الطبيعة • وصلابتها الشديدة التي تقيها الخدش والانثلامات • وقد وضع لهذه المعادن جدول يقسمها عشرة أقسام أعلاها الألماس الذي يبلغ أعلى الدرجات في الصلابة وجمال المظهر • والمقياس الثابت لفهم الجيد من هذه الاحجار هو ان يكون الحجر بين التسلسل السابع والعاشر وان يكون حاوياً الصفات التي أشرنا اليها • ان قلة وجود هذه الاحجار الكريمة وندرة الموجودة منها في الأسواق هو الداعي الى شرائها والتسابق على إدخارها من قبل أهل الثروة واليسار •

من الواضح ان لكل نوع من هذه الاحجار بيئة خاصة يتكون فيها ومكاناً معيناً يستخرج منه وارضاً معلومة ملائمة

لاسباب تكوّنها . وقال الخبراء ان لهذه الاحجار مصدرين اثنين لا ثالث لهما :

١ ـ الصخور النارية Igneous Rocks وهي أعرق الصخور وأقدمها في باطن الارض وظاهرها . وتنقسم هذه الصخور النارية عدة أقسام . ومن أهم أقسامها الحمم البركانية ، اذ تنفجر هذه الحمم من فوهات البراكين الحامية بالحرارة الساخنة وتؤثر على الصخور المجاورة بفعل حرارتها فتكوّن أشكالا من العروق Veins في تلك الصخور . ومن أهم المواد الموجودة في مثل هذه العروق هو Quartz الذي يتحول الى عدة أشكال من الأحجار الكريمة باختلاف العوامل المؤثرة كما ألمعنا آنفاً .

أ ـ مرو Quartz ضغط Metamorphism ـ غارنت Tenet ـ لازورد Lapis - Lazuli ـ ياقوت Ruby فهذه العملية تغير التركيب الداخلي والتركيب الكيماوي للصخور الصلدة الحاوية على العروق بتأثير الضغط والحرارة العاليين وتأثير نقل المواد المدفونة تحتها ويعتمد تكوين كل نوع من هذه الأحجار على نوعية الصخور التي تحوي عرق المرو .

ب ـ مرو Quartz سائل حراري Hydrothermal Solution ـ عقيق Opal - Agate .

ويأتي هذا التحول نتيجة تداخل السائل الحراري مع الصخور الصلدة الحاوية على عروق المرو ، وحيث يضيف هذا

السائل بعض المواد الجديدة لتدخل ضمن التركيب الداخلي وتنتج موادً جديدة تختلف في تركيبها الكيماوي عن الأم أو قد تكون العملية عكسية حيث يزيل هذا السائل الحراري بعض المواد من الاصل وتكون النتيجة واحدة أي تراكيب جديدة •

ج ـ مرو Quartz عملية تركيز الماء Supergene Process فيروز ـ شذر Tlrquois حيث يؤثر تركيز الماء على تركيز المادة ويحول التركيب الكيماوي للصخرة الى تراكيب أخر بهذه العملية • وتتكون معادن جديدة مختلفة تماما عن الاصل نتيجة لقلة تركيز الموادً •

٢ ـ من الطمى الغرينية والحصى :

كثير من الأحجار الكريمة موجودٌ في الترسبات الطينية للأنهار والحصى باختلاف أنواعه ـ صحراوي ـ ساحلي ـ نهري ، يحوي الكثير منها ، وتلعب عوامل التجربة الكيماوية دوراً مهماً في إبراز أنواع من الاحجار الكريمة كالألماس مثلا Diamond من هذه المواد •

ان الذي كتبته هنا من ايجاز الكلام حول الجواهر الكريمة قد جاء استجابة للرغبة في تعويض ما فاتني من تفصيل القول حول المنشآت والمؤسسات الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية في سيلان • ولأني قد رأيت اكثر المسلمين يعملون

ويتاجرون بهذه البضاعة ، إذ لم أجد صغيراً ولا كبيراً إلا كان مستعداً لتزويدك بالنوع الجيد أو الرخيص من الأحجار التي لم تسجل عليها الاسعار الرسمية ٠

ومن الواضح ان كتابي هذا مقصور" ـ بالهدف منه ـ على تجريد انفعالاتي الخاصة ، وموقوف" على تشخيص الآثار النفسانية التي أحدثتها رؤية سيلان في قلبي ٠ ولست مؤرخاً هنا أدون مرجعاً للكاتبين والباحثين ، بل إني أسجل رحلتي مسرعاً وأنقل الجدير اللائق من التصورات والأفكار المستوحاة من هذه الرحلة ٠

وليكن الختام كلمات قليلة سمعتها من فتاة مسلمة رأيتها في أحد مطاعم كولمبو ـ وبعد كلام متفرق ـ سألتها عن ثمن الحجر الذي اتخذت منه خاتماً لها ٠ فقالت انه غالي الثمن ، ثم تساءلت إذا كانت قيمة هذا الخاتم تقدَّر بالمال المحسوس والنقود المتداولة ، ففي هذا الفص (جوهر فرد) منقوش على هيئة حروف وكلمات هي أسمى وأعلى وأسنى في مقام المعاني الالهية والمثل الكاملة من كل ما يُحسب بالذهب والفضة ، ثم أخرجت الخاتم من إصبعها وقالت : انظر ـ أنا مسلمة ـ فاذا بالخاتم قد كتبت عليه ـ كلمة التوحيد ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ٠

وقالت بعد ذلك بحماس شديد بين زميلاتها الخمس اللائي كن معها : إن هذه الكلمة أثمن وأغلى من كل هذه الاحجار التي تباع في الاسواق لأنها الكلمات العليا التي تلقيناها من

القرآن المجيد الذي حمله الى الدنيا أجدادنا العرب · وقالت اخيراً إنهـا طالبـة في مدرسة تابعـة للارساليات المسيحيـة الامريكية التبشيرية ، وإنها قد كتبت بالحروف العربية ، على وجوه دفاترها : « ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » · ولكن هل أطفأت مداخن التشكيك في مدارس المبشرين المسيحيين ايمان هذه الفتاة المتقد ! وهل ان التسمم الذي اعتراها اخيراً قد كان نتيجة لهذه البيئة الفكرية المعادية للاسلام · ولعلها تقرأ هذه الاشارة بعد ان يترجم هذا الكتاب الى الانجليزية إن شاء الله ·

على ابواب سيلان

منذ عدة سنين ـ وأنا اتمنى الرحلة الى جزيرة ـ سرنديب ـ والتعرف على تاريخها القديم الغامض • وقد كان السبب القوي والدافع المحرك الذي وجه ذهني تلقاء سيلان هو ما كنت أسمعه عن قوة الدعوة الاسلامية هناك وعن شدة المسلمين في القبض على تاريخهم • وعن آداب الاسلام المتمكنة في صدور مئات الألوف من المسلمين انتشروا في هذه الجزيرة منذ قرون الاسلام الأولى ، واستقروا وعمّروا المساجد وبنوا المدارس وتجروا بالرزق الحلال ، فازدهرت أسواق سيلان وراجت تجارتها بحسن معاملتهم وعفة نفوسهم • فتودد إليهم جيرانهم وانجذبوا نحو مآثر الاسلام ، وحينئذ تكاثر عدد المسلمين في الماضي البعيد حتى كان لهم سلطان" نافذ" وقوة" كبيرة" كما ذكر ابن' بطوطة وغيره من المؤرخين والرحّالين ، اذ استطاع مسلمو سيلان ان يجعلوا آداب الاسلام وفكره وتحريماته متسربة في كل منزل وفي كل عائلة وان يطبعوا بطابع قوانين الاسلام حتى الاسر غير المؤمنة بهذا الدين فقد رفعوا ـ بصبرهم وخلوص قلوبهم وبالثقافة الاسلامية ـ المجتمع السيلاني كله الى اوج عال من الأدب ومتانة الأخلاق حتى كانت المرأة البوذية في الازمان الماضية ـ عندما كان للمسلمين قوة وتأثير في سيلان ـ تقلّد تقليداً تاماً المرأة المسلمة بمظهرها ولباسها وتقاليدها في البيت •

وعندما أخذت أعد العدّة ـ من البحرين ـ لهذا السفر البعيد الذي لم أتهيأ له ولم استعد ـ إذ شرع الاصدقاء والاصحاب في الارشاد المعطّل والنصح المثبّط والقاء الكلام الذي يُوهن العزم القوي ويكسر حدّة الطموح حتى كدت أعدل عن القيام بهذه السياحة القصيرة المفيدة التي استلهمت فيها واستوحيت منها ـ بين بساتين سيلان وحقولها وخلال غاباتها ـ من الانفعالات والافكار والخاطرات ما لم يقرع فؤادي ولم يدخل نفسي مثله ولم ينزل على قلبي شبيه" له منذ فارقت العراق قبل ست سنين ومنذ غابت من أمام حدقة عيني وجوه وملامح قد اختفى اكثرها في قعور المحن وظلام الفراق وغار بعضها في باطن الارض فلا أرى حينئذ ولا أسمع ما يوجه الروح الى عالمها الاصلي (فلا فكر يحرق العظم واللحم ، ولا شوق يخرق الأستار عن بصيرتي) ٠

بل اني قد زاغت عيني في عتمة الليل الدامس على شطآن هذا الخليج ، وكادت تسقط الأهداب من شدة السهر والتحديق في وعورة هذا الطريق الذي اختطته قدمي منذ ست سنين ، كنت أريد ان ارفع رأسي بين الرؤوس المنكسة عندما يشتد الظلام ويحول البياض سواداً (وأراد نفر من الناس ان احط أنفي على التراب ، وهيهات) ٠

لكن الفكرة في ارتياد القصيّ النائي من ديار الاسلام البعيدة قد إنبلجت في دماغي وأسفرت ، فنويت تأسيس معهد

ثقافي عربي في سيلان وكان هذا هو السبب المقنع الدافع لهذه الرحلة غير أن الحافز الأخص الألح الاقوى لأن اطرح جسمي وراء البحار فأدّخر حينذاك اجرة الطائرة من بقايا مصروفي الخاص هو الملل من طول الثواء في البحرين والبرم بالانفـراد والوحدة ، اذ خمدت أنفاسي وقصرت خطـاي وأعاقني الزمان عن بلوغ كل هدف جسيم والوصول الى كل غاية عالية كنت أطلب الموت في طريقها ٠

لقد أمسيت ـ بعد ستة أعوام ـ اشعر شعوراً موجعاً بأني لا قدرة لي على جني الثمار من هذا القلم الحبيس المكسور فكأني لا أعرفه ولا عهد لي به ولا طاقة لي بحمله بين أناملي ، مع اني أعيش وأحيا وأصرّم النهار بين الكتب والصحائف في مكتبة المحرق العامة التي أديرها ٠

ست سنين[١] ٠ نعم ست سنين ٠ ان هذه الكلمة تتضمن أبعـاداً زمنية وتعني حـدودا مكانية متشابكة في الاوقـات والاحـداث لا يمكن تجاوزها ولا اختراقهـا ، ولا يُصار الى تجاهلها وعبورها ، وذلك لما تجمّع والتقى وتراصّ في داخلها من حشود الأيام والليالي والساعات ومن ازدحام الاحساسات والذكريات التي ليس بقدرة الخيال ان يحيط بآثارها وليس بوسع العقل ان يحبسها أو يقدّر الرجات والبراكين والحرائق والزلازل التي تفجرها في الدماغ والنفس والشعور ٠

---

(١) ولم أعد الى العراق في هذه الغيبة المذكورة هنا الا بعد اثني عشر عاما وثمانية شهور وسوف يأتي حديثها في كتاب آخر ٠

والآن ، قبل توجهي الى سيلان فاني، اسمع صوتا يقول لي دائما : ست سنين ، ست سنين . اجل ما اكثرها وما أثقلها وما أشدّ وطأتها ، فبقدر ساعـاتها ودقائقها وثوانيها كانت الاخباريات والشكوك والاعتداءات اللفظية ـ السرية والعلنية ـ تصبح وتمسي بضاعة الأعداء وزاداً للألسنة المتغذية بلحوم الأحياء والاموات من البشر .

عندما دخلت البيت الذي أسكنه في مدينة المحرق ـ أول مرة ـ قلت لنفسي ـ إيه ـ إنها لغيبة قصيرة قد لا تزيد على شهرين أو ثلاثة . غير أني بعد هذه الحفنة من السنين أصيخ مستمعاً لكل صوت من كل ذرة تراب تتحرك في فناء هذا المنزل وفي داخله ، فاذا بالابواب والنوافذ والجدران تصرخ مصبِّحة وممسِّية ـ ست سنين ـ ست سنين . نعم ـ لقد اشتد احساسي بآلام لا يجوز البوح بها ـ وعندما رفعت قدمي الى الركاب ميمماً شطر سيلان . قد اضطرمت نفسي من البغي والظلم والعدوان والتزوير الكاذب الذي يتساقط على رؤوسنا ـ نحن العرب ـ من بعضنا بعضاً كأنه كتل من نحاس جهنم وكالمطر المسجور بالنار يسقط من سمائنا على هاماتنا .

هذه هي المرة الثانية التي أبعد بها عن البحرين العزيزة مسافراً الى وراء البحر . وقد ظننت اني راحل بفكري ومسافر بقلبي أيضاً كما خرجت بجسمي وكما أخليت مكاني من منزلي ، بيد اني قد أدركت شيئاً غريباً طريف الغرابة على عقلي ، إذ علمت ان الستة أعوام من غربة الغربة وكربة

الكربة قد ذوّبت إحساسي بنيران الغيظ المكبوت المخنوق ، فلست بسامع إذن أي صوت غير صوت البحرين الكريمة تناديني مثلما تنادي الأم الرؤوم ابنها وتودعني فأودعها فتضمني مرة أخرى الى حضنها الدافيء اذ آوت قديما وتهللت بوجهها العربي المسلم وأنزلتني منزلي بين الاكرمين من قومي[1] ·

وتكبر البحرين في قلبي وتتسع وتعمق حتى كأنها العالم العربي كله ، ولقد نسيت في أفيائها الجروح الفاغرة التي لا تسيل منها الدماء فحسب ، بل تسيل الروح علقاً ومضغاً مقطعة منظورة مشهودة تقطر نارا في تنور الغربة وتشتعل اشتعالا صامتاً لا صوت له ولا لهب ولا دخان ·

فما كان ظهر الاثنين ـ ٢٣ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ الموافق ٢٢ آب ١٩٧٣م ـ حتى وجدتني في حشد من رعايا الدول الاوروبية والآسيوية المسافرين مثلي الى سيلان على الطائرة الباكستانية الناهضة من كراجي صباح ذلك اليوم ·

أمضيت في كراجي عشرة أيام ـ قبل السفر الى كولومبو ـ مع زمر ناشئة من طلاب عراقيين وسعوديين وبحرانيين · وقد كان هؤلاء الشباب يتسابقون على الترحيب بي والتنقل معي في جميع أرجاء كراجي · فلمّا ركبت الطائرة بلباسي العربي

---

(١) ولا زلت ـ هكذا ـ أنظر الى البحرين · ولا ينقص من شعوري هذا تعسف حكومة البحرين واعتداؤها علي الذي افضيت به في كتابي ـ بلوجستان ديار العرب ـ وفي كتابي الآخر ـ على شواطيء الخليج العربي ـ الحلقة الثانية ·

ـ العقال والكوفية والعباءة ـ كانت أنظار الاوروبيين واليابانيين متجهة إلي وقد سمعت المجاورين لمقعدي يتحدثون عن العمل الفدائي الفلسطيني العربي ، وعن الفدائيين الذين استولوا أمس على طائرة يابانية وأحرقوها تفجيرا في ليبيا .
ولكن مسلماً من الهند كان قاعداً على حذوة مني قد ترك مكانه مقتربا مني وسألني ـ بعربية مخلوطة بلسان الأوردو ـ عن السبب الداعي لارتداء اللباس العربي التام في هذا السفر البعيد مما سيحدث لي المضايقات ويثير الفضول المزعج ويكلفني ما لا أطيق من المصروفات . لأن التاجر والمتسول وصاحب المطعم وأهل الفنادق والبائعين وسائقي السيارات وتجار اللذات والخمور ـ كل هؤلاء يرون ان لابس العباءة والكوفية البيضاء والمعتمر بالعقال لا بد ان يكون غنيا من أغنياء النفط وثرياً من أثرياء الخليج العربي والسعودية ! فيجب الضحك عليه واللعب به والسخرية منه بالمغريات والخمور والنساء وتقديم اللذة له بكل صنوفها وأنواعها على غرار ما يحدث ويجري في عالم العيان والشهادة بالمصايف في بعض الدول العربية وغيرها .

فقلت له إني أعرف ذلك حق المعرفة ولست بغافل عن موعظتك هذه ! وقد عانيت العسر وكابدت المشقات فيما سببه لي اللباس العربي وانا أتنقل في هذه البلاد ، غير أني قد أقسمت منذ عدة سنين ألا ينزل هذا العقال عن رأسي وان يظل يذكّر بعنوان الشرف في لباس الرأس عند بعض العرب .

إن عرب العراق يسمّون العقال ـ الشرف ـ ويقصدون من ذلك حذف مضاف ـ أي لباس الشرف ـ وتكلمنا عن العقال كلاما طويلا سيأتي موضعه من مكان آخر في هذا الكتاب ٠ وسألني عن الكوفية (القترة) بتحريك القاف والتاء ، فقلت له : إن القترة استعملت لثاما تحت العمامة في أول الامر وقد شاع استعمالها في الكوفة فنسبت إليها ، فقيل ـ كوفية ـ ويقال انها منزوعة من العمامة ، فتلك ملفوفة وهذه منثورة مبسوطة ٠

ولا يــزال العراقيون يلبسونها بيضاء ناصعــة البياض ويضعونها على رؤوسهم ايضا زرقاء وحمراء منقطة بالبياض ، وتسمى على هذه الصورة (يشماغ) ٠ ومثل العراقيين إخوانهم في ديار الشام والسعودية وخليج العرب ٠ وقد شغلني هذا الكلام اكثر من نصف ساعة عما يتحدث به المتحدثون الغربيون من اعمال الثورة الفلسطينية في خطف الطائرات ٠ وبعد ذلك فلم يكن لنا حديث في الطائرة سوى العمل الفدائي الفلسطيني ٠ وبين الفينة والفينة كان رجل آخر يتوجه نحوي بالاسئلة عن الغرض من اللثام الذي اتخذه الفدائيون العرب الفلسطينيون رمزا للغضب والطلب بالثأر ، وقد اشترك بالكلام والتعليق رجل الماني وطلب مني ان أتلثم ليتعلم ذلك ويعرف طريقة التلثم فوق العقال وبدونه واختلط الكلام وبينت لهم لماذا يتلثم هؤلاء الثائرون من العرب ؟ وما هو الوقت الموجب لذلك ؟ وقلت : ان العربي اذا ضرب

في الارض راجلاأو راكباً ، راغباً أو راهباً ، فقد كان يتلثم ويخفي ملامح شخصيته خاصة عندما يكون في أحوال الرهبة والفرق والخوف ، أو لأجل الوقاية من حر السموم والغبار أو البرد ، وذلك ما يكون دائما عند الغزو والحروب أو السفر • وكان العربي اذا أحس بالغربة والانفراد ووحشة الطريق وخلال ترحاله وفي اثناء ارتياد الكلأ والماء وفي أيام توقع الحوادث ، تلثم ايضا • ومن حالات العربي الخاصة ومن أطواره وآدابه ان يحس بالخطر بكل عضو من اعضاء جسمه وبكل قواه التي يخوض بها غمار الدفاع وحينذاك فاللثام أمر لازم لـه لاخفاء غضبه والتنكر بوجـه الفزع والبلاء • لكن العربي لا يجيز لنفسه ان يتلثم في حضرة ضيفانه • وقد كان ذلك معدودا من العيوب المشينة للمضيف والمهينة للضيف عند العرب •

وعندما كنت أترجم كلامي هذا بلغة انجليزية عسيرة الاداء من لساني العربي الفصيح ، كان الاصغاء عميقا لي ، وكـان الراكبون معي يستزيدونني ويشجعـون على الكلام والاستمرار في الترجمة مهما كانت التراكيب اللغوية معقدة• وانقطع الكلام بيننا وصمتنا جميعا ، حينما أعلنت مذيعة الطائرة قائلة : نحن الآن في سماء بومباي في الهند • ثم عاد ذلك المسلم واتكأ على مقعدي وأخذ يتحدث عن وصول العرب المسلمين الى الهند ، وبعد ان بينت له لمحة قصيرة عن فتوح السند والبنجاب وغيرها ترجمت له بيتاً من الشعر ذكره

البلاذري في فتوح البلدان ، يعد مثل البيانات الحربية في عرف هذا الزمان ، وقد كان يبشر بوصول جيوش المهلب ابن ابي صفرة الى بانة ـ في السند ٠

ألم تر أن الازد ليلة بيتوا ــ ببانة كانوا خير جيش المهلَّب

نعم إن جيوشنا العربية خلف لواء الاسلام والخير والسلام قد نزلت ارض الهند ٠ وكان وصول العرب الى أرض الهند فتحاً روحياً لا يزال ماضي الفعل والنفاذ في النفس الانسانية، وسريع القبول من الروح البشرية المهيأة لدين الفطرة الالهية٠ وكان ولوجاً في غور الأمـة الهندية وفي قراراتها العميقة وغوصا في بطن التاريخ الهندي ، وتبديلا للنفوس وتقويماً للعقول قبل ان يكون غــزوا حربيا بصليل السيوف وهــز الرماح وصهيل الجياد ٠

لقد رأيت أن الطائرة الباكستانية قد شهقت الى عنان السماء وهي ترجف مرتعدة الجوانب وتنفخ وتصفر متقلبة ذات اليمين وذات الشمال كأنها طائر ضعيف مذعور تطارده صقور الجو ونسوره ، حتى تعذّر علينا ان نسمع كلام بعضنا بعضا مــن شدة الدوي وصخب المحركات ، وشد الجميــع الأحزمة ، وكان هذا الصعود والاسفاف والتحليق والارتعاش بين السحب المتراكمة في طبقات الاجواء العالية قد سببه الابعاد عن الخطر ــ من الاراضي الهندية ٠ فلا زالت الدولتان الهندية والباكستانية في حالات النزاع المرير والعداء الملتهب بالبارود ، بعد انفصال البنغال (بنكلادش) عن باكستان ٠

ولقد تحركت في رأسي آنئذ صور الماضي العربي الاسلامي وعرضت أمام مخيلتي ذكريات أمتنا عندما اقامت الدول الاسلامية في الهند وأنهضت مجد الاسلام الذي لا يزال ماثلا بارزاً ، وقد حزنت للطائرة الباكستانية (الاسلامية) خائفة مذعورة لائذة بنجوم السماء وهي تمر فوق مساجد الهند ومآذن التوحيد المنتصبة في مدن الهند تتحدى العصور والازمان ٠

ولكن ماذا بعد هذا : إني ارى الآن سيلان (كولمبو) ــ وأنا في الطائرة ــ قبة زرقاء وأرضاً خضراء قد جمع الزمان فيها كل ما أبدعته يد الخالق الاوحد من عجائب الارض وروائع الدنيا ، وكل ما صورت من بدائع الشجر والنبات الغريب وماء المطر العذب وأجنحة الطيور والربيع الذي لا يبرح هذه الجزيرة ٠

لقد وصلنا سيلان ، وحوّمت الطائرة ودارت بنا دورات متعددة في سماء كولمبو ، وانعكست في عيون القوم ووجوههم خضرة الشجر وحمرة الورد من شدة الاطلال والتحديق والنظر من نوافذ الطائرة ٠ فعندما وقعت عيني على أرض سيلان ــ أول مرة ــ قلت لنفسي ــ ان من الممتنع المستحيل على القلم أو على اللسان التمكن التام من وصف هذه الغابة الشجراء ، ومن العسير المتعب أيضا على كل بليغ اللسان ان يقدر على البيان الجامع الناصع والتصوير الكامل لهذه الامواج من خضرة الارض وزرقة الاغصان ، وما ينفحه

الورد في دروب سيلان وطرقاتها ، فالكلمات الموجزة القصيرة لا تتمكن دائما من بلوغ الاوصاف المبتكرة والمعاني البعيدة المنال ، ولا تستطيع اللغة ان تنقل نقلا كاملا الصور العظمى للاحداث الالهية المدهشة المعجزة ، المتجلية في عالم الصور الطبيعية من ابداع النمو والخصب ودلائل الحياة في مصابيح النور من زينة هذه الارض • فيجب أن يقال ثمة ان للقلم حداً محدوداً معلوماً لا يتجاوزه ولا يتعداه • وبعد ذلك فانه سرعان ما يلتوي جانحا ويجف ريقه وينفد مداده فلا يستطيع الجري على صفحات الورق !!! أقول هذا مع اني لم أنم بسيلان لاستروح وارف الظل تحت شجر النارجيل الذي تميس جذوعه الملساء العالية السامقة ، والذي يشبه سعف النخيل على هذه الخيمة العظيمة من اشجار الارض كلها قد تجمعت في سيلان واختفت محتمية بشجر النرجيل خوفا من العواصف والانواء فكأن شجر النرجيل قد اعتاد ان يتذر بقدوده المترنحة ما تحته وما بين احضانه من شجيرات الورد وفسايل المـوز والنجـم السندسي وبساتين الفواكه يتغير الاجواء وهجوم الرياح وهبوبها وبوادر الانواء وتأثيراتها •

اني لم آت سيلان لارصّع أناملي بخواتم الاحجار الكريمة التي يتهافت عليها المشغولون بزبرج المادة الجامد الذي لا ينعش القلب ولا يسعف الروح ، لا في حال السقم ولا في وقت العافية • بل اني قد أتيت سيلان لامشي فاحصاً الرطب واليابس ، باحثا بقلبي وعقلي عن آثار التدفق العربي

الاسلامي من جزيرة العرب ، ومن الرافدين ، ومفتشاً عن مواقع أولئك القادة الهداة من قومنا الذين كانوا الادلاّء على سبل الرشاد والفرقان والهدى والرحمة • اذ عبروا البحار بمشاعر الاسلام المنيرة من الذين أطلعتهم واسط والكوفة والبصرة وبغداد والبحرين وحضرموت • فلقد انطلقت هذه القوى من مراكزها العربية تعبر البحار وتجوب الوديان والجبال بدفع قرآني يخترق الزمان والمكان • وإلا فكيف وصل العرب الى هنا بدون طيارات ولا قطارات ولا سيارات ولا بوارج حربية ؟!

لقد تعودت ألا أسجل تأثرات النفس وانطباعاتها وانفعالاتها وتبدلاتها وحوادثها ، وألا اكتب معبرا عن فعل الاماكن والمشاهد والمفاجأة المثيرة من مظاهر الحياة التي تحرك الخيال وتملأ الذهن بالصور والخواطر إلا بعد ان اغادر مكان هذه المعاني وابعد عنها وأدخل في احساس جديد من مكانين وزمانين جديدين آخرين ـ أعني بهذا ـ بعد ان ينقضي شعوري المباشر بحدتها وجدّتها وغرابتها ومفاجآتها ـ وبعد ان تبعد بي الاطوار والميول والتغيرات النفسية وينقلني دهري الى حال غير الحال التي كنت فيها • حينذاك تهب في صدري نسائم الذكريات ويتحرك قلبي صارخاً آمراً ، ناهياً ملحاحاً ، يفرض علي تشخيص الرسوم والصور لمعاني الماضي الذي سبق الظرف الذي أنا فيه • لذلك فأنا دائما أحيا انفعال الماضي القديم الملفوف في طيات النسيان ، المنزوي في خفيات الغيب ، أظل أثيره وأنبشه وانفخ فيه وأقلب رماده وأحركه

بأصابع تمتد اليه من قلبي أولا ، حتى يلوح لي الرماد وقد تحول جمراً ، ويظهر التراب وقد صار شراراً وتسعَّر لهباً يشوي الفؤاد ويحرقه • فاذا تناولته بالقلم تسطيراً وتدويناً ونقشا على الالواح ، هدأ قلبي وسكن هياجه وقرت خواطري واستراحت النفس • امـا اذا لم أجرِ القلم بترقيم تلك الذكريات ولم أرسم خطوطها فان الحدث الذي تجاوبت معه وانفعلت له ولم اخرجه الى القلم بعد ان تلقفته الذاكرة وكرره الخيال على مسرح العقل والعاطفة ، يصبح سببا لبلبلة الخيال وربك الذهن وإقلاق الروح في اليقظة والنوم وعند النشاط ووقت الكسل في تجسيم أي حادث قديم في حياتي أو حياة الآخرين مـن الذين أعرفهم فأمتنع بتأثير ذلك عـن الاستجابة لكل هاتف آخر من داخل النفس أو من خارجها • وعندئذ يقع الشلل ويحدث الملل القاتل المدمر ، حتى اذا استجليت ذلك الحادث واستوضحته شعرت بالامن والعافية وبرد السلام • اريد ان أقول ، إن الذي اوقف حركة جريان قلمي وعطل دفقات النشاط الفكري في رأسي هو أني اذا فكرت في تسجيل حالة آنيَّة من حالاتي وتفاعلت مع طارىء من (طوارىء) وقتية لضبطها بالقلم ، ركبت دماغي صورُ الاحداث القديمة وذكريات الماضي المؤثر في نفسي فطغت وسيطرت واستبدت فلـم أشاهد سواهـا ، وعندئذ تنطفىء حرارة الفكرة الجديدة ويبرد مزاج الذهن •

واني اقر هنا بأني اذا لم اتمكن من اقتطاف الخواطر عند سنوحها فان من الصعب ـ بعد ذلك ـ استئناف الكرة العقلية

على ذلك ، اذ من الممكن تذكر الحادثة ، مهما كانت في المحبوب أو المكروه ، غير أني لا استطيع ان اعيش هِزّة الروح تلك ووقدة التجربة الشعورية كلها بجميع كلياتها وجزئياتها ، فان من المتعذر عقلا وواقعاً ومنطقاً ان نستطيع اعادة حالاتنا النفسانية وانفعالاتنا ونستدعي التأثيرات الصغيرة والكبيرة التي نفذت ومضت وسلف زمانها !

فالنفس في رضاها وغضبها وأخذها وعطائها من أفعال الزمان وحركاته ، تشبه الموج يتدافع موجة بعد موجة ٠ ولا يمكن اعادة الموجة الأولى منه اذا ما مرت كلُمعة البرق ودوّم بها الريح العاصف يميناً وشمالا وتلاشت بين اهتزازات اليم وذابت في خضم عبابه ٠

غير اني في رحلتي هذه الى سيلان قد خرجت على هذه القاعدة التي كنت اتحرك في داخلها وتحت قيودها فلا اخرج عليها ولا اخترمها ٠ فشمَّرت عن ساعدي وحزمت امري على عزل كل صورة بارزة امامي من احداث الماضي ، فنزعت من خيالي ونبذت من تصوراتي ألوان هذه الصور الماضية واستعاراتها التي لا أريـد الآن الالتزام في الاعتبار بها ، وقبول تفضيلها على الحدث الطريف الجديد القوي النبض ٠ فلأضرب صفحا عمَّا يهيمن على فكري من قضايا الزمن الماضي وأحداثه ٠ لأقف في ربوع سيلان أغرف أفكاري غرفاً من كل شيء أراه هنا ٠ واستوحي من الايدي التي شيَّدت وبنت ألفاً وثلاثمائة مسجد في هذه الجزيرة ٠ ومن وحي أوراق الشجر المخضلّة في كل فصل من الفصول بالماء المدرار الدافق

من سماء سيلان المغدقة . اذ ينغسل الشجر والورق صيفاً وشتاء برذاذ هذه السماء ، بطلّها وغيثها ، عطاء سابغاً وتدليلا مونقاً ، لا يقف ولا ينقطع ، واكراماً من السماء الهيأ للشجرة المزهرة المثمرة كلما تأودت وماست تداعب بأوراقها نسمات الاودية العطرة الفيحاء وتفاغم ريح الصبا والدبور في السهول المربعة .

في جميع اسفاري وخلال العمر الذي قضيت أكثره في الترحال والسياحات لم أقبل على بلد من البلدان منشرح الصدر مؤمّلا راحة القلب مثلما وجدتني وأنا في الطائرة محوّماً على أرض سيلان الخضراء .

انا الآن قادم من بلاد العرب وليس في رأسي إلا صور المحاكمات العسكرية (والمحاكم العُرفية الخاصة - والقوانين الكيفية - وليس في ذاكرتي إلا أسماء معينة لرجال هيئات التحقيق الذين اخافوا وأرعبوا أبناء وطنهم ، ودمروا العقول ومسخوا الأمة كلها وعودوا شعوبهم ان يكذب بعضها على بعض، ويسوّد بعضها وجوه بعض . وليس في اذني الا أصوات - مبحوحة - كنا نسمعها من رؤساء المحاكم الخاصة (والمدعين العامين) الذين انتقمت منهم شعوبهم ، ومن المشاهدين المصفقين الذين كانوا يطالبون بعزل الرؤوس من الجثث وهدم المجتمع وتفريق الامة . وليس في قلبي ايضاً إلا الجروح الفاغرة بالدم والقيح والدمامل مما سمعت أذناي ورأت عيناي من الاشلاء المبعثرة والرقاب المنحورة والاوردة

المقطّعة في أمة قد أمرها الله بالتوحيد والاعتصام بحبله ٠ نعم ، ليس في خيالي إلا أمثلة مفضوحة من الكذب (والاخباريات) والتهم الباطلة يصبها العرب بعضهم على رؤوس بعض حتى امتلأت الارض وفاضت الوديان والغيطان والجبال والسهول بالضحايا والمفجوعين والمفترى عليهم والمقتولين والخائفين والشاردين !!!

نعم ، هذه هي صورة الحياة كما تلوح لي هذه الايام ٠ أنا قادم من أرض النفط والمصايف والبذخ والخمر ٠ أنا قادم من خليج ـ الـ ٧٢(١) ساعة ـ انا واحد من المكروبين الحربين(٢) انشد مكاناً لا قيود فيه ولا سؤال عن الهويات وأرقام المنازل وتسجيل التنقل وتفتيش الجيوب في السيارات والقطارات والطيارات والفنادق ، نصف النهار وفي ظلمة الليل ٠ وفي كل حين كما عانينا وقاسينا نحن العرب ٠

أنشد مكاناً لا مراقبة بالعيون ترصد وتتعقب ولا آذان تتسمع اللفظة والهمسة وتسجل الاشارة والنبسة ، ولا أجهزة صغيرة لتسجيل الصوت مثل علب الكبريت يحملها البعض في جيوبهم للتجسس على معارفهم واقاربهم وأصدقائهم !

قلت اني لست واجداً ما أريد إلا في سيلان ، ولست باحثاً عن القرار والسكون إلا هنا في هذه الجزيرة التي عرف أهلها

---

(١) هي مدة الاقامة التي كانت تمنحها بعض مشيخات الخليج العربي للقادمين من العرب ٠
(٢) الحرب هو الغاضب المسلوب ٠

كيف يقنعون بمسالمة بعضهم بعضاً ويخلدون الى الثقة المتبادلة ويستنبتون جزيرتهم شجراً ووردأ ٠

إني لا أريد شيئاً سوى ان اخلو مع هذه الاشجار ولم يكن على رأسي شرطي (سرّي) يلاحظني ويدور خلفي وان أترك وراء ظهري الخرائط الاقليمية التي خطها المستعمرون لامّتنا وحدود التجزئة المشؤومة التي قسمت أجسام العرب وفرقت نفوسهم وقلوبهم وعقولهم قبل ان تجزّىء تخـوم الارض وتفصل بين البلدان ٠ اريد في هذه الايام ان أملأ عيني برؤية الشجر والظل والغصون والافنان ٠ قلت هذا لنفسي ألف مرة وأنا طائر في سماء كولمبو عندما كنت أتوهم من بعيد كأني مُقبل" على مدينة البصرة ، وكأني اتطلع من النافذة الى نخيل شط العرب حيث ضلت عيناي ضلالا بعيداً وتائهاً وانا أنظر الى أرض سيلان وإلتبس على بصري الفرق بين شجر النخيل وشجر النارجيل المتشابه ، كما يتراءى من بعيد ٠ وعندما كنت أشاهد جذوع ـ النارجيل المكتظ المتلاصق وأرى سعفاته الخفّاقة فأتصوّره النخل العربي من العراق والبحرين والاحساء يظلل هذه الزخارف الساحرة من الرياض والبراعم وورد النُوار الذي تنفرد به أرض سيلان ٠

أجل في مطار كولمبو شربت الماء من ثمر ـ النارجيل ـ الذي اعتاد العراقيون تسمية جذوعه ـ بالميط ـ والقـوَق ـ ويستعمل لبنـاء الطارمات وتنصب منـه سقوف البيوت ويشيدون منه ما يدعونه في العراق ـ بالدلق ـ أي (الدلك) ـ

بالكاف الفارسية ـ وهو العمود الرئيس في الطارمات . لقد شربت من هذا الثمر ماء عذباً حلواً ممزوجاً بسكّره الاصلي . ووجدت أهل سيلان يكرعونه بالفم من ثقب يحفرونه ويحدثونه فيه بضربة واحدة من سكين قطّاعة بتّارة يضربون بهـا ـ النارجيلة ـ الكروية الشكل فينفتح منها فم" يلصق من يريد ان يحتسي هذا الشراب الحلال فمه عليه فيمتص ما في هذه ـ النارجيلة ـ ثم يلفظها ويلقيها على الارض أو يسلّمها لمن ابتاعها منه . وبعد ذلك فان أهل سيلان يستفيدون من هذه ـ الظروف الخالية ـ في تصديرها الى بعض البلدان للافادة منها في صنع ـ النارجيلات ـ الرائجة في الاسواق العربية وايران وافريقيا وتسمى هذه النارجيلات ـ في الخليج العربي وايران باسم ـ كَدو ـ بالكاف الفارسية . وهي لفظة فارسية تعني شجرة اليقطين وذلك من قبيل التشبيه ـ للنارجيل ـ بثمر اليقطين ، ووجه الشبه واضح .

كان لباسي العربي سبباً قوياً لاستقبالي بالتجلة والاحترام في مطار كولمبو ، من قبل الموظفين السيلانيين . وحينما شعرت بالضيق من التفتيش المزعج من قبل أحد موظفي المكوس والكمرك . قلت لهذا الموظف : لماذا هذا التصرف السمج ؟ ألأني قطعت ألوف الاميال من أجل زيارة بلادكم ! فخجل الرجل وقال إني اشعر بأن أمثالك لا يمكن ان تشتمل حقائبهم على ما يخالف القوانين . وأخذ يعتذر مرة أخرى وداعبته قائلا : إن العراق وحده يشتري منكم الشاي بأكثر من عشرة

ملايين من الجنيهات سنوياً بله البلاد العربية الاخرى ، فكيف تقابلــون العربي بهــذه الطريقة مــن التفتيش الطويــل الاستفزازي ، اذ تقلب ملابسي بأصابعك كأني قد أخفيت في داخلها بارودا أو قنابل • ولكني قد أمسكت عن الكلام عندما تذكرت الكثير من نقاط التفتيش في بلادنا العربية ، وشخصت أمامي الرعونة والرشوة والجشع والعجرفة التي نعانيها نحن العرب في مراكز الحدود التي خطها الاستعمار بين بلادنا العربية •

بهذه المشاعر وبهذه الروح دخلت كولمبو • فلم يطلب مني هؤلاء القوم كفيلا ، كما كان يجري ولا يزال في بعض البلاد العربية • ولم يقدّروا إقامتي بـ ٧٢ ساعة ، كما هو مقدر للرعايا العرب في خليجهم العربي • ولم يحجزوا جواز سفري في المطار ، كما حجز في مطار (دبي وأبو ظبي) ، ولم يؤخروني أربع ساعات كما تفعل بعض العواصم العربية مع الزائرين العرب والقادمين إليها ، لاستقصاء السؤال والتحقيق والتعرف على هوية المرء ، وعرض الاسم أو الأسماء على جداول الممنوعين (والمشبوهين) • بل دخلت كولمبو بلباسي العربي بين طائفة من السائحين قد ازدحمت بهم الطائرة الباكستانية القادمة من كراجي • وكل منهم كان يتلفت معجباً بما يظلل أرض سيلان من الشجر •

ثمانية عشر ميلا من المطار الى كولمبو ــ هكذا قال لي أحد موظفي المطار ــ فكان من الأجدر أن أنتظر سيارة الخطوط

الجوية الباكستانية ، تلك الحافلة الكبيرة المخصصة لنقل الركاب الى داخل كولمبو · وهكذا ، فقد جلست في وسط السيارة بين السائحين الغربيين وكان بعضهم من ذوي التجارب الثقافية والعقلية من كثرة الأسفار والرحيل · وبين هؤلاء تجار يابانيون وَحَمَلَة شهادات في الطب والقانون حسب ما فهمت منهم · ومـا لبث هؤلاء الرجال والنساء أن حولوا السيارة المملوءة بهم وبأطفالهم الى مدرسة صغيرة من الحوار والجدل والمناقشة حول تاريخ سيلان وعن مواقعها الأثرية · وانشغل بعضهم بالكـلام في السياسة وكيفية تعلم اللغـات الشرقية · وتوجه فريق منهم الي يسألني عن اللباس العربي وعن العمل الفدائي الفلسطيني وعن خطف الطائرات ثـم أحاديث أخرى عن الأرض السيلانية ·

وقد تحركت بنا السيارة في طريق ضيق تعانقت فيـه أغصان الأشجار وازدهرت على جانبيه بساتين الباباي والموز والتين والنارجيل والبرتقال وفصائل الورود المنوعة ، مما لا أعرف أسماءها ولم اسمع بأوصافها · وبعضها قد تشابكت وتلاقت في أوراقها وفروعها من فوق ظهر السيارة حتى يكاد هذا الشجر يضرب سقفاً مظللا على الطريق لا يبين منه الأفق ولا يظهر ، ولا يسمع السامع إلا انسكاب المطر وخريره ·

لقد كان المطر ينهمر كأفواه القرب عندما نزلنا الى طرقات (كولمبو) ليلا ــ الساعة العاشرة مساء ــ أنا ورجل من اليابان يتظاهر باعتناق الاسلام · وأخذنا نبحث معاً عن الفنادق

المناسبة ، وانهمكنا في التفتيش والبحث ، وأنهكنا التردد والدوران من شارع الى شارع • وقد كان نور الكهرباء ضعيفاً ، ومصابيح الشوارع قليلة العدد • وكان المطر لا ينقطع متصل الشآبيب • ولقد ثقلت حقائبي على يدي ؛ فالشوارع خالية من الناس ، والمطاعم مغلقة ما عدا مطعماً صينياً صغيراً اضطررنا على دخوله لنودع حقائبنا فيه فسمعت رجلا يقول لي ، وأنا أدخل المطعم بلباسي العربي : إحذر ! فأنت مسلم ، فليس في هذا المطعم من الأكل غير لحم الخنزير •

وقبل نهاية الليل حططت رحلي في (فندق متروبول) بجوار المصرف المركزي ، وانه لفندق رخيص الأجرة قد أعد لاستقبال (الخنافس والهيبز) • وتحول كله الى حانة من الخمر • وقد اشمأزت نفسي من روائح لحم الخنزير فيه ، فطلبت حجرة في الطابق الثاني المعزول عن مطعم الفندق • وحينما دخلت هذا الفندق تنكر لي المسؤول فيه ونفر من لباسي العربي وتجهَّم بوجهي وظهرت على وجهه إمارات الطمع ، وأخذ يقول : عرب ، عرب ، عرب • وعندما علم أهل الفندق بأني لا أشرب المسكرات ولم أتقدم (بطلبات اخرى) اشتدت غِلظتهم بوجهي وزداد جفاؤهم وبدت الشراسة على ملامحهم • فناديت مدير الفندق وزجرته زجرة قوية ، وقلت له : ان من سوء حظ هذه البلاد الجميلة أن يكون الأجلاف والطغام من أمثالك هم أول الذين يعثر بهم الزائرون هنا ، وأول من يلقاهم السائحون فيصطدمون بأخلاقهم الوعرة

وصلفهم . ولكني مضطر على الاقامة في هذا الفندق إذ لم أجد غيره . وطالت إقامتي فيه شهرين وخمسة عشر يوماً ، وانصرفت فيها الى التفكير وكتابة رحلتي هـذه واستقبال المرحبين بي من المسلمين .

قلت : إن لباسي العربي هو الذي يجلب المسلمين نحوي ويدفعهم للسؤال عن البلاد التي أنا منها وعن الغاية من قدومي الى سيلان .. وهل أنا من « جماعة التبليغ الاسلامي » التي كان مسلمو سيلان في هذا الشهر المذكور تاريخه آنفاً يعدون العدة لتهيئة وسائـل احتفالها السنوي الذي اختيرت كولمبو مكاناً له في هذا العام .

هذه هي الليلة الأولى في كولمبو . فقد وضعت حقيبتي في الحجرة وخرجت بعد ذلك الى المطعم . وقبل الوصول اليه بقليل من الخطى ، اعترضني رجل مسلم كان واقفاً على باب دكانه ، فاستوقفني بآية من القرآن المجيد . وأدخلني في دكانه المظلم إلا من مصباح ضئيل النور خافته .. وأجلسني وقدم لي أولاده الثلاثة ، ونصحني أن أكون حذراً على قلمي المعلَّق في الصدر ، وأن أحفظ فلوسي من النشالين ! فان اللصوص كثيرون هنا . ثم قال لي : وإن كان لديك جنيهات أو دولارات فانه سيصرفها لي ! وطلب ألا أذهب الى أي شخص آخر غيره . فشكرته على نصائحه ، وقلت له : إن النقود الموجودة عندي مسجلة بالتصريح الرسمي ، وقد صرفتها بالمطار ، وفـق التعاليم التي سمعتها هناك ، وليس لدي مبالغ اخرى . وإني

لا أتعاطى التهريب بكل ضروبه نقوداً أم غير نقود ! وكان هذا الرجل مسلماً رقيق القلب يحب اخوانه العرب ! وعندما رجعت الى الفندق فقد كرهت نصيحة هذا الرجل واستغربتها، لكنني قد أكبرت هذا الرجل بعد ذلك في سفري الثاني الى سيلان • وعزّت في نفسي نصيحته بعدما أقدم ذلك الشاب المسلم المدعو (نوفر _ اونوفل) على سرقة نقودي كما فصّلت ذلك في مكانه من هذا الكتاب • ولا زلت أتذكّر نصيحة هذا الرجل وإرشاده القيم •

فحينما أويت الى فراشي في الفندق تشاءمت من الحجرة ومن الشباك الذي اذا ما انفتح صار كأنه باب للنزول الى الشارع الخلفي • ولقد علمت صباحاً أن ليس ذلك شارعاً بل هو ممر مشترك بين الفندق وبين المصرف المركزي • لقد ضجرت هذه الليلة وسئمت وأرقت وأخذت أحدث نفسي كأن معي شخصاً آخر • وقلت لنفسي _ كالمعاتب لها : حتى الحديد يسيل ويذوب وتأكله النيران وتكسّره المطارق وتليّنه •• وحتى الجلمود الصلد تهشمه المداق والسندانات وتحطمه المقلاعات ويُفَتت بالمواد المتفجرة •• وحتى الخلجان والأنهار والبحار تصهرها حرارة الشمس فتبخر مياهها دخاناً في الفضاء وهواء طائراً في أجواء السماء • بيد أن لحم الانسان وشحمه وفؤاده وأوداجه ومفاصل يديه ورجليه وابهريه أصلب وأمنع وأقوى من كل ما ذكرت وأذكر •

لقد سهرت هذه الليلة في عذاب جهنم وقد اشتد لهبها وجمّعت حرارتها في بركان واحد ، قد انفجر تحت فراشي وأنا أحترق ، لم يبق مني لا لحم ولا ذرة من عظم إلا وانقلب رماداً وتراباً . نعم لست مبالغاً .. لقد كنت أعتقد أن الصبح ما يكاد يتنفس أو يسفر إلا وقد صرت عظاماً محروقة ومادة ميتة . ولكن العجب كل العجب أني قمت صباحاً من فراشي ونهضت من نومي لم ينقص مني شيء . وفي هذا سر عميق لمناعة الجسم البشري وصلابة العظام وقوة التكوين الانساني أمام كل حادث وبلاء .

أجل هكذا كنت ولم يكن لذلك أي سبب من أرض سيلان ولا من سمائها وليس للفندق وأهله دخل في ذلك بل ذلك هم ثقيل قد شاله صدري معه منذ غادرت البحرين . وما هي إلا ذكريات مترسّبة من الماضي خطرت لي وهجست في نفسي وتمثلتها واستجمعت عللها ومكوناتها حتى خيل إلي أن جسمي يقطع بالسكاكين وأن جلدي يشوى في التنور . إن هذه ليلة ظلماء مثل الليالي التي كنت أقضيها بمنزلي في مدينة المحرق في البحرين .. غير انها الآن قد جاءت وفي حضنها الهموم الصغيرة والكبيرة وحبلت وفرخت جميع الوساوس والخواطر والهاجسات المقلقة .

ما هذا ! هل اني جئت سيلان لأروي وأقص على الناس ما أحس به وما أتألم منه وما أرضى منه وما أغضب بسببه ؟ وهل أتيت الى هنا لأصور الهزات الروحية التي سيصيبني

بها جو سيلان ومناخها • ولا أدري هل ان هذا الذي شكوت منه هو نتيجة لتأثير الرجة الكبرى التي فاجأت قلبي من مناظر سيلان ومـــن حفيف أشجارهـــا فأيقظت كل نائم مـــن الآلام والاوجاع وأثارت كل مخبوء مدفون بين الاحشاء وفي داخل الصدر من الندم والحسرة والغضب ـ ومن طلب الثأر •

وما كنت أعرف نفسي هذه الليلة هل أنا نائم ام يقظ • وما كنت أدري شيئاً عن هذه النار المحرقة • أهي نوع من اضغاث الاحلام ؟ أم هي حقيقة من حقائق الحياة تنقلب جمراً ولهباً في ساعة مخصوصة من الساعات • كل حادث ألم بي في هذه الدنيا ، وكل وجه فارقته ، أحببته ام كرهته • وكل أسباب التذمر المكتوم كأني قد رأيتها جمعاء في شريط من أحلامي في سواد هذه الليلة • لقد كنت أقوم من الفراش وأقعد فيه وانا مدّوخ الرأس يعلو صوتي ويهبط في الحديث مع نفسي سائلا ومجيباً فانتبهت بعد ذلك الى ان الليل في سيلان قصير كل القصر في مثل هذا الفصل من السنة • وان الغربان السود التي تبكر بالنعيب والصفير قد اجتمعت تزعق وتضرب بأجنحتها فخرجت من الفندق متمشياً على ساحل البحر القريب من الفندق والمسمى (كول فيس) •

لم أنم البارحة إلا مضمضاً قليلا فقد ذهب الليل كله وقبله انسلخ ذلك النهار وأنا بين المطار وبين شوارع كولمبو • غير اني كنت اشعر بلـذة السفر اذ كان رأسي مائجاً بالافكار والتصورات الجديدة • واذ كنت احس بالخواطر والسوانح

تطرق وجداني وخيالي مفرحة ومحزنة . واذ نشطت عضلات القلب متحركة فيما بين يدي من الذكريات والمطامح . وحينئذ أخذت عيني ترمق السماء مسهّدة ساهرة يمر بها ظلام الليل وتغور نجومه بضوء الصباح دونما تدري النفس بذلك أو يكلُ الجسم . نعم . هذه هي الحقيقة . فعندما تكون الروح خاملة والفكر هامداً فان الفتيل سوف تنطفىء في هذا السراج وينفد الزيت ويجف القنديل وتخمد المشاعر راكدة . وحينئذ ينحط الجسم وتضعف القوى أمام سلطان السهر الطويل الذي يعانيه القلب طولا في الليل و'حلكة في الظلام .

كنت أسأل نفسي متى تنتهي هذه الليلة وينقشع الظلام وأخرج من الفندق الى قلب كولمبو وحدائقها !!!

وما هي إلا اويقات سريعة المرور حتى جلست فجراً على ساحل البحر وكان القلم يرقص بين أصابعي وانا أكتب وصف هذه الليلة الليلاء على ضوء مصباح من المصابيح العامة المنصوبة في ساحل ـ كَول فيس ـ وقد تذكرت اني في كولمبو فأخذت أتساءل عن عجائب الارض السيلانية التي تأخذ بالأبصار وتنهب القلوب . فناديت ـ سيارة ـ لتنقلني على نور الفجر الى اكبر حدائق كولمبو وأجملها وأقدمها . وهناك ، هناك ، رأيت الورد يضاحك بعضه بعضاً في روضة من رياض ـ سرنديب ـ وقد توجهت في بصري من نافذة السيارة التي دارت بي عدة دورات الى مرج من المروج فرأيت العنم والياسمين والسندس والاستبرق بساطاً من الورد الاحمر

والزهر المتنوع الفاتن والنضار الخالص تحت ظل من الغصون النضرة بين يدي عالم مدهش من تغريد بلابل الصباح وهديل الحمام والطيور المرتلة تسبيحات الفجر مما لا أفهم معناه ولا أفقه مغزاه ولا ادرك اسرار فعله في النفس · وقد تبدلت حالتي النفسانية بفيضان المعاني من هذا الورد اذ نفخ في أوصالي وجدد نشاطي وأعاد قواي ·

انا لست أعرف جوهر الروح وكنهها · الا اني اعتقد ان جسم الانسان يشتمل نماذج الطبيعة كلها · اذ ان في كل خلية من خلايا كيانه مثالا من عناصر الطبيعة المحدقة به · فكل شيء في الكون المادي يلتقي – بجنسه وفصله ونوعه وخواصه في جسم الانسان ويتفاعل معه ويتلاقح · وعندما تتكدس عناصر المادة بين الروح وبين النور ، وعندما تقوى كثافة الاشياء الجامدة الحائلة بين القلب وضياء الحق ، أو حينما تغلق منافذ النفس · اذ ذاك تأخذ روح الانسان في البحث عما يجانسها من معاني اللطف الرباني المبثوث في التراب والشجر والسحاب والهواء والوجوه البشرية وحركات الكوائن الحية · ومن ذلك ينبغي ان نعرف الحقيقة عندما تنفعل النفس وتصعد متسامية فوق خشونة العنصر المادي ، اذ في كل موجود محسوس وفي كل كائن ميت أو ذي حياة متحرك أو غير متحرك لا بد من وحدة وجوبية حيوية وقوة من عالم الروح غير محسوسة ، ليس بينها وبين المادة مجانسة أو نسب أو اندماج · ولا تستطيع المادة سواء" المتحركة منها أو

الساكنة نسبياً ـ أصولا وفعلا ـ ان تُفنيها أو تحيلها وتذوب فيها • بل هي مغايرة للمادة بالفعل والاعتبار والماهية ومباينة لها بالوجود الذهني وفي عالم الامر والواقع حسب حدود المادة ورسومها على كل تصور من تصورات العقل وفي كل منحى من مناحي التفسير والتحليل • ومن هذه الوجودات الروحانية الموحدة في عينية حقائقها وصفاتها وخلال التفكير فيها تستروح النفس وتطمئن وتشرق بنور الله في ادراك لطائف الحياة ونعمة الوجود •

وعلى هذا الفهم كنت أفسر لنفسي دبيب النشاط في كل اعضائي • ومن هذا التعليل اخذت أتحدث مع نفسي عن تأثير الورد في الانسان فكأن الورد كان يكلمني وينطق بلسان وشفتين وبيان فصيح • لقد فرّ النعاس من عيني وزال التعب وانفتح باب النفس مشرعاً لكي يدخل في دمي كل ما يجانس هوية نفسي من أقوات الارواح وامداداتها المنثورة في عالم لا نرى اسراره ولا ندركها •

وكان السائق يدور بي في أطراف كولمبو وانا اسأل وأكرر السؤال • فما هذه الروح التي تنبعث من الورد ؟ ولماذا تتميز ألوان الورد بنفاذ خاص وايحاء مؤثر ؟ وما هو سر اختلاف هذه الالوان وتبدل معناها اذا انطبعت بها مواد أخر وانصبغت بها أشياء ليست على مشابهة بالورد ؟

ان السيارة تنهب الارض مُسرعة في جريها ولم اكن انا من الذين ينشدون العطر أو يعطّرون ثيابهم ولكن عيني اخذت تنقل اليَّ من اوراق الزهور ألواناً مدهشة لا يفهم ـ كيمياء ـ الخلود فيها ولا يدرك مغازيها إلا العالمون بأسرار الكون وآيات الارض والسماء ، لأن بعض الورد يؤثّر في الانسان العميـق الشعور وينفذ الى مداخل ذاته ويجعلـه مضطراً ان يوجّه الى الورد ليس عينيه فحسب ، بل عينيه وقلبه وعقله لمعرفة الرحمة الالهية ويتفهم الميزان الدقيق المتناسب المقدَّر في كل هذه الحقائق . فالزهر يخطف البصر باللون والضوء ويهز القلب بموجات الفكر ويحرك الذهن ويجلب القوة ويولّد الحركة النفسانية بما يثيره من تيّار العواطف الموّارة بما تتضمن هذه الحقائق من أسرار التكوين وآيات الابداع الصامت الفيّاض المتجدد على صفحات الربيع.

هذه الخواطر قد كانت تلعب بقلبي وانا أداور برأسي عن رؤية الورد . وحيث ان الشعور قد طغا بمعان وأفكار لا أقدر على حملها والتمكن من الاستقلال بها فقد وجدتني اتحدث مع سائق السيارة بما هو فوق ادراكه وأعلى مما يتناول عقلـــه .

لقد أوصلني هذا السائق الى موقع شجير مُزهَر في احدى ضواحي كولمبو . ولا أدري الآن أين هو . ولم أسأل السائق عن اسمه وموضعه من تقسيمات هذه العاصمة . لقد كنت

بعد ذلك ابحث عن هذا المكان واسأل عنه بالنعوت والاوصاف حتى وقعت عليه مصادفة اذ دعيت من قبل بعض الطالبات الى اجتماع أقيم في هذا المكان نفسه · وكان معي السيد نور الدين وزوجته التي كانت تقوم بالترجمة بيني وبين هؤلاء البنات بلغة ـ التمل والسنهالي ـ فجلست في هذا الروض الاريض ثلاث ساعات اقصُّ لهؤلاء البنات تاريخ الدعوة الاسلامية وأسرد اخبار الفتوح العربية الاسلامية وافصل القول في كيفية وصول الاسلام الى الهند · وقد استأثر العمل الفدائي الفلسطيني بجميع الاسئلة والاجوبة ·

وما دمت قد أردت ان اختم هذا الفصل الذي يشبه التمهيد الى رحلتي فلا بد من إتمام ما أنا في صدده من الكلام حول هذا الاجتماع « وسيأتي في الفصول القادمة ذكر مستفيض لهذا الاجتماع » ·

فعندما فرغت من الكلام الجدّي وأخذت استرسل في وصف رحلتي الى سيلان · سألني والد احدى البنات متلطفاً وقال : لقد شاهدناك تولي ظهرك شطرَ الورود وتدبر عنها وتشيح بوجهك فلا تلتفت اليها · فلماذا أدرت الكرسي وأعطيت قفاك هذه الشجرات الجميلة ؟ فما هو السبب لذلك ؟ وما الذي جعلك تنفر من الورد ؟ فاستغربت سؤاله وقلت له · انظر الى هذه الشجرة التي ليس لها أوراق (بل كل أوراقها ورد) ثم انظر الى هذه اللفائف الحمراء التي تشبه ذوائب من العسجد قد تدلّت منها · إني لم اشاهد ولم اسمع

ولم أرَ شجرة كلها ورد وعطر إلا اليوم · فلقد احسست ان هذه الشجرة الوردية تشعُ بنور يشبه اللهب · والشرار يتصاعد من خيوط الضوء المنبعث من أغصانها · وقد شعرت بارادتي تتحرّك تحرّكاً عنيفاً قد سيطر عليّ خلال المحاضرة· فخرج بي عما أنا بسبيله من التعبير والشرح · وأدركت التبجيل العظيم لهذه النقوش الربانية العقلية التي لا أستطيع الاحتماء من تأثيرها وقوة سيطرتها على خيالي في سياق الكلام وخلال تصريفه الا بأن أدير ظهري لها · وقلت ان هذه المظاهر تذكّر بالنظام الالهي والعناية الدالّة على التدبير والانعام وكاد سياق الكلام يلتوي منحرفاً الى شعبة اخرى من شعب القول حول النساء ، عندما قالت احـدى الفتيات · اني مستغربة !!! واعجباً ! فهل هذه الشجرة الجامدة التي سوف تصير حطباً بعد يوم أو يومين أروع جمالا وأسمى منظراً من هذه الوجوه الساحرة والشعور الفاتنة واشارت الى بعض الجالسات وقالت ضاحكة : إنه يخاف ان تفتنه هذه الشجرة ! فضحكت ! وتأسّفت أنا لاني لا أجيد الكلام اجادة دقيقة في الانجليزية · واني أجهل لغات سيلان المحلية · ومع ذلك كنت اتكلم بالانجليزية الضعيفة طوراً وحيناً باللغة العربية ، فتترجم ما أقول زوجة السيد نور الدين وكنت احاول الافصاح والتبسيط · فقلت إن نظام الازهار وروعتها يحرك في النفس نزعة الخشوع والخشية لله وذلك للرفق والرقة ونظام الالوان الذي بسطته القدرة الالهية في هذه الاشجار فجعلت الانسان يتأمل آيات الله في الشجر والورد بدون تدخل الغرائز

الجنسية ، والتصورات الشهوانية وبدون تسلّط الخيالات التي تجسّم المرأة وتصوّر التكلّف والتصنّع في طبيعتها . وكاد الكلام ينصرف الى المجادلة والحوار في مثل هذه الحقائق وختمت الاجتماع بالقول : ان المرأة تحرك في الناظر اليها الانفعال والاخلال في النفس والذهن . وأكثر النساء يسبّبن لمن ينشغل بهن ويفكر فيهن البوار الروحي ودثور الفكر وخراب القوة العضلية .

فكل ميـل ورغبة هنا ـ خـارج حوزة العلاقة الزوجية الشرعية ـ فانـه يمحق الملكات الروحية ويشتت الخواطـر ويغيّر القلب بسوء النيـة ويضلّل القصد بأفعال الغرائز الشهوانية وهيمنتها على أكثر القوى الجسمانية . اما مشاهدة الورد فانها تفيض القوة والعافية والفرح في القلب والروح دونما صخب العاطفة والحاح الشهوات .

هذه هي خواطر مكملة لهذه الافاضة استدركتها لمناسبة التدرّج في الابانة عن انطباعاتي وما تلقفته ذاكرتي من هذه الرحلة المباركة . وسأنقل في الاوصاف والابحاث القادمة كبرياتِ الاحساسات والانفعالات التي شعرت بها في سيلان .

بين كاندي وكولمبو

مثل القلادة مرصَّعة بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ الرطب واللازورد ومنظومة بالياسمين والعنم والآس قد تزين بها جيد العروس النجلاء الجيداء · مثل عالم كامل من الأنس والبهجة قد رسمته ريشة الرحمة الالهية على كل صخرة وفوق كل حفنة تراب من أرض سيلان ·

هنا يعلو النظر ويهبط ويرتفع البصر وينخفض فلا يخرج لحظة واحدة من أرض مشجَّرة · دنيا محفوفة بالزهر والشقيق والارجوان قد إكتُسيت بكل ما حملته بطن الارض من بذور الخضرة واسرار الربيع والورد · لقد شعرت أن احساساً غريباً يدخل نفسي ويلج في كياني لا أستطيع بيانه ولا اقدر على تفسيره ·

وكلما أخرجت رأسي من نافذة السيارة لأنظر وأجيل بصري في عالم الفتنة والحبور وجلال الكون المتجلّي فوق الارض بين ـ كولمبو ـ وكاندي ـ كنت أعجب وأتأمل واقارن بين الشجر هنا وبين النخلة في العراق اذ ينتظرها الفأس ويتربص بها ليرتع في جذعها حطباً ـ وجماراً ·

وأنا في طريقي الى كندي صرت اشعر أن حواسّي قد أخذت تتوسع وتتعمَّق ، وان ذاكرتي تدق وترهف . وان قلبي كان يستحضر حياتي كلها بكل دقائقها وجليلاتها ومجملها وتفصيلها · لست أعلم لماذا ؟ فهل أغرتني هذه الطبيعة

فغرقت وتلاشيت في فكر مفاجىء قد خرج بجسمي وخيالي وأفكاري من عالم اعرف ظواهره وأحواله الى عالم غريب لا أعرف تفسيره ولا أدرك الغازه • فقد كانت نفسي تشعر بأمور مجهولة المصدر وغامضة المعنى تتحرك بين أضلاع صدري فلا أكاد استطيع ان اثبِّت جسمي في مقعد السيارة • اذ كان كل روض من النُوار وكل شجرة أو كل دوحة من الدوح ترقص بها هذه الرُبى والتلال وتميد بها هذه السفوح والوديان التي لمستها قدرة الله فبثَّت فيها حياة جديدة مفعمة بالرُؤى وموَّاجة بالاحلام تفيض من سماء سيلان اذ ينبثق النور والخير وتنبع الحياة من الصخور الصمَّاء حيثما همعت السماء وذرفت أمطارها غيوم سيلان المدرار المعطاء • وهكذا فقد أضحى الحجر والورد والزرع والتلول المزركشة والبراعم والطيور والانعام وشجر النارجيل كلها يبسم بعضها لبعض ويقترب بعضها من بعض • نعم هكذا فعل الماء في هذه الارض التي (اهتزّت وربت وأنبتت من كلٍّ زوج بهيج) بالماء النازل من السماء دائماً وبالماء الدافق من الارض • ولم يستطع أي قلم من أقلام البلغاء ان يوجز الوصف مثلما اعجزت هذه الآية الكريمة وأبدعت واستفرغت كل نعت شامل للارض التي يدلّلها الغمام برذاذه ووابله • وتتعهدها يد الانسان العارف ببذورها وطريقة غرسها والصبر عليها • والشجر في سيلان مثل الكوائن الحية المتحرّكة أو مثل المجتمعات البشرية تتعارف وتتعاطف وتتغرس فروعها وغصونها في جذوع بعضها بعضاً لكي تخرج من الشجرة الواحدة عدة

أغصان فتلتقي بالشجرة الاخرى وتلتصق بها لتمتد بينها غصون كأنها السُرر(١) ، وبعد ذلك يصبح من المتعذر معرفة الشجرة الأم • فقد تعود أهل سيلان أن يتناولوا بعض فروع الأشجار وأغصانها العالية فيغرزون أطرافها في الأرض ويركّزونها في التراب الثرّ الخصيب فما هي إلا سنين قليلة أو شهور معدودة حتى ينبت الفرع في التراب ويمشي في الأرض ويظل الأصل ثابتاً في بطن أمه الأولى التي أرضعته ! وبذلك تتمدد العروق ملتفة بعروق الأم فتصير الشجرة الواحدة عدة أشجار • وتصبح الدوحة عدة دوحات • فتتلاحم الغصون صنواناً وغير صنوان •• حينما أخذ الفكر يتوارد على نفسي من كل جهة بما تثيره مناظر الطبيعة السيلانية في قلبي • وعندما كنت أغمض عيني وأفتحهما ولست بمصدّق الذي أرى وأبصر وأشاهد وألمس من هذا الأفق الذي يختلط فيه الندى والطل والثمر بحمرة الورد والشفق وألوان السحب الراكضة في هذا الجو الريّان المخضّل • لقد كنت أشعر بثقل المعاني المنسكبة في قلبي حيث تجول في نفسي ألوف الأسئلة والاستفهامات عن أسرار الطبيعة وحقائقها وغاياتها • فكنت أعجز وأنكص خائباً وأتعب فلا أستطيع كل جواب ! ووقتما يشتد اندماجي في هذ الكون الملون بين (كاندي وكولمبو) عن يميني وعن شمالي كنت أحس بامتلاء الروح وأن قلبي قد طفح بكل معنى • فأنا لا أقدر الآن على مواصلة النظر ومداومة التحديق • فقد أخذت أشيح بوجهي

(١) السرر : جمع سر ، وهو ما تقطعه القابلة من سرة الصبي •

هارباً بعيني ، ولكن الى أين ؟! فاني لا أستطيع أن أزوي قلبي وأقصيه عن هذه المدهشات ، فان خضرة الأرض وحمرة الورد ومَيَدان الأغصان قد اختلط (بقوس قزح) وامتزج ماء الورد بالدَّيَم المتمعة بنور الشمس • وعندئذ فلا تطيق النفس معاناة الفرح المقرون بالتأمل المندمج في واقع التفكير والروية • وفي هذه الحال يقف القلم وينهمك الجسم بوسائله وأدوات مشاعره فلا يستطيع ـ متابعة العين ـ وهي تلقط بعدستها الصور والأشكال • غير أن الفرح سرعان ما يتحوَّل الى علم حضوري وقدرة فكرية إذا انفتح القلب وأنير الدماغ للتفكير في إدراك القانون الالهي القائم وراء هذه المظاهر والموجودات فينظِّمها ويعدُّها ويُخرجها الى حواسنا ونحن غافلون عن إدراك نعمة الحق بارىء الحياة • نعم إذا انتهت غمرة الفرح الى الفكر والتحليل والتصور والتصديق فان العقل ساعتئذ ينال مبتغاه وتبلغ الروح البشرية غايتها في الطمأنينة الى دلالة هذا الكون على وجود خالقه وإقراره بحدوث الموجودات من خالق لا خالق له •

وما دمت في طريق ـ كولمبو ـ كاندي ـ فيجب عليَّ أن أقدِّم وصفاً لهذه الصور الأرضية المُلهمة • فلأسترسل إذاً ولأتحدث في الذي أريد من هذه الرحلة : هنا وهناك ، كل قطعة تشبه الأخرى من أرض سيلان •• شجر متلاحم مكتظ الأغصان ومتشابك الورق وعشب وأرز ومياه عذبة محصورة مطوَّقة ببيادر الأزهار وخمايل الرياض تتجدد وتملأ العيون

في كل منعطف من هذا الطريق • وهدوء الطباع وسكون النفس علامتان على المجتمع السيلاني لا يُزاحم فيهما ولا يُشارك •

إني لا أستطيع أن أزور كل مدينة وكلّ قرية هنا ، ولكن الحديث عن مدينة (كاندي) وعن الاحتفال البوذي السنوي ـ بيرهره ـ الذي يقام فيها وصور المناظر الطبيعة الرائعة التي شاهدتها مطبوعة توزع عن الجمال والسحر والفتون بين كولمبو قد حدا بي أن أبادر الساعة السادسة صباحاً بقطار الدرجة الثانية متوجهاً الى كاندي ، وكان ذلك في ١٧ رجب ١٣٩٣هـ ـ ١٥ آب ١٩٧٣م • لقد ظننت أن سيكون لي مكان أقعد فيه وأن يكون لكل واحد كرسي معروف الرقم معيّناً محجوزاً ـ حسب التذكرة التي أحملها ـ ولم يخطر ببالي ذلك السيل الدافق من الناس رجالا ونساء وكباراً وصغاراً بعضهم فوق بعض بألوف مؤلفة من السيلانيين والسائحين لا عدّ لهم ولا حصر ولا حساب ، قد زحفوا على القطار وغمروا محطات السيارات متوجهين الى كاندي بقصد مشاهدة المهرجان البوذي السنوي الذي أشرنا إليه ـ بيرهره ـ والذي اعتاد البوذيون أن يمثلوا فيــه على ظهور الفيلة بعض الألعاب والطقوس والعادات البوذية القديمة مرتدين الأزياء الغريبة الخاصة بهذه المناسبة راقصين الرقص المثير المعبّر عن تقاليد البوذيين (وديانتهم) العريقة في الطقوس والتقاليد • ساعدني في المحطة رجل بوذيّ ـ قدّمت له بعض الاكرام ـ ولولا هذا الرجل

لكان من الصعب عليّ الوصول الى القاطرة . ولذلك فاني لم أتمكن – وأنا في الحافلة – من مشاهدة أي منظر من مناظر الطريق المدهش الزاهر الفاتن لأني لا أستطيع أن أتحرك من مكاني . ولا أقدر أن أرفع قدميّ من محطّهما ، فحواليّ وبملاصقة رجليّ عشرات الأقدام تتحرك وتراوح فوق قدميّ ، وأكثر من عشرين ركبة لرجال ونساء تلزّ ركبتي وتزاحم فخذيّ وتضايقني على حال لا يجوز ذكرها الآن والذهاب بعيداً في تفصيلها . ومثل هذا العدد من الأذرع والأيدي ورؤوس الأطفال المشتجرة تتحرك (وتندس) تحت إبطي وبين ملابسي وقد طووا أذرعهم اللينة النحيلة المعروقة على رقبتي وفوق كتفيّ وعلى عِقالي وكوفيّتي ، صامتين وادعين مأخوذين بدهشة لباسي العربي ساكتين لا ينبسون بكلام . فأنا هنا لا أنا بالقاعد ولا أنا بالواقف ، فقد اتّكأت على طرف مقعد يتسع لاثنين ليس غير وقد تراصّ فوقه أكثر من ستة أشخاص ، وقد صعد على جوانبه بعض الصبيان ذوي الأقدام النحيفة المهزولة متعلقين بالرفوف وبعض أرجلهم متدلية فوق رؤوسنا وبعضها الآخر قد حُطّ على جوانب المقاعد . وكثيرون من هؤلاء الصبيان المتمرجحين بالرفوف كانوا ينبشون بأقدامهم بين خواصرنا وصدرونا ورؤوسنا يبحثون عن مواقع لهم ومكانات بيننا ، نحن القاعدين الذين قد صفّ بعضنا فوق بعض والتصق بعضنا ببعض – رجالا ونساء – في هيئات لا يستطيع المرء فيها أن يميّز بين الرجل

والمرأة ! (وهذا هو أنموذج من قطارات سيلان في أثناء الاحتفالات والمهرجانات) ·

لقد نسيت مرضي وسهوت الأوجاع التي كنت أشعر بها من عقابيل ـ ترسب الأملاح عندي ـ وكنت قبل لحظات أفكر بالخروج من القطار كله والهبوط في أقرب محطة ، ولكن ذلك أمر صعب !! وبعد ثلاث ساعات في القطار وصلنا محطة مدينة (كاندي) وتفرقنــا جينئذ لا يعرف بعضنا بعضاً · وقد رأيت سيلان كلها قد اجتمعت في هذه المحطة التي توافد السائحون إليها من جميع أنحاء الدنيا · وكان من عزمي المبيت في كاندي · ولكن هيهات ، فالفنادق مملوءة ، والمطاعم لا مكان فيها · والشوارع مكتظة يموج الناس فيها موجاً · وبعد أن نزلت من القطار أحسست بالتعب والأوجاع في كل جسمي الذي كان محصوراً مضغوطاً تحت أكداس من البشر · وما كدت أمشي على قدمي خطوات خارج المحطة التي هي جزء من مدينة كاندي · حتى استفزّني الورد وشاهت عيناي ونسيت ما حلّ بي في القطار ووقفت أنظر مستغرباً دهشاً أمام جمال الأرض الفاتن الذي احتضن كاندي من كل أقطارها وأشاع في سمائها ومن حواليها دنيا تحير لها النفوس الرزينة وتعجب العقول من اصطفاف النرجس والأقحوان والياسمين كأنه ينظر إلينا ويريد أن يتكلم ·

وليس لي بعد ذلك إلا البحث عن فندق استريح فيه · فرحت ودرت وصعدت ونزلت في عدة فنادق فلم أجد مكاناً ·

وأخيراً فقد فكرت بالمسجد فلم يكن لي مأوى غيره . فتوجهت الى أحد المساجد العامرة . وبعد صلاة الظهر ، انبطحت قليلا ابتغاء الراحة والجمام من سهر الليلة الماضية إذ كنت قضيتها متململا قلقاً في الفراش ومن التعب الذي عانيت هذا اليوم في زحمة القطار إذ كنت مدفوناً أربع ساعات لا أدري أين أنا !

وأقبل عليَّ المسلمون الموجودون في الجامع يسلّمون ويرحّبون .. وقالوا : أنت أول عربي يدخل هذا المسجد بلباسه العربي . وأخذوا ينصحونني أن أتجنّب الدخول في مطاعم الكفّار ، وحذّروني من تناول الأطعمة المخلوطة بلحوم الخنزير . ولما تحدثت مع بعضهم قائلا : إني أفتّش عن مكان لي في الفنادق لأنام سواد هذه الليلة . فقال لي المؤذن : إن بامكانك أن تنام هنا في المسجد . وأنا مستعد لخدمتك ، وسأهيّىء لك كل ما يلزم من الفراش والطعام . وقال جُملا رقيقة صافية باللغة العربية كان يعبر بها عن حبه للعرب . فرقّ قلبي له وأهاجني بذكريات عربية . وتذكرت العرب والمضايف وإقراء الأضياف . وتمثلت آداب العرب أمام ضيوفهم . وكيف يفخر العربي ويتباهى كلما بالغ باكرام ضيفه وإعزازه . وكيف يتمسك العربي بقواعد حماية الضيف والذود عنه والموت دونه . وقلت للمؤذن : انك تعرف الغاية من المساجد ولماذا أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . فبعد الصلوات وذكر اسم الله الأعظم فيها وإقامة العبادات ، فان المساجد هي مدارس المسلمين ومراكز القيادات العربية

الاسلامية في التاريخ • والمسجد دائماً يجب أن يكون مأوى السائحين والعابدين وملجأ الدعاة والذاكرين • وإني لا أدّعي هذه المنازل الشريفة والمراتب العالية التي اختُص بها العلماء والآيبون الى الله • فقال : وماذا تريد هنا ؟ ومن أنت ؟ فقلت له : إني عربي • أضرب الأمثلة وأذكر العبر مقتبسة من تاريخ العــرب الاسلامي ، فيهشُ لها المسلمــون ويصغون ويستزيــدون ، وأعرض صوراً مــن تاريخ أمتنا لتحريك العاطفة الاسلامية الفطرية في هؤلاء المسلمين نحو ذكريات الفتوح العربية الاسلامية لتهيئتهم واستفزاز قلوبهم للاهتمام بالدعــاة المبشريــن بالتاريخ العربــي الاسلامي والديانــة الاسلامية •

فقال المؤذن : إن المساجد هي منازل المسلمين في ديار الغربة ولا معدى لهم عنها • فشكرته وناولته إكراماً قليلا جداً ، وأبى ، ولكنني أجبرته على قبوله • ثم ودعته ومشيت في شوارع كاندي التي اجتمع فيها خلق كثير من سيلان ، وإنجذب إليها جميع السائحين القادمين من الغرب والهنــد والصين والأرجاء الأخرى • وما إن سرت قليلا حتى انتبه للباسي العربي مجموعات مختلفة من الشباب السائحين ــ غربيين وشرقيين ــ فاندفعوا نحوي يتحدثون معي عن اللباس العربي وعن الشريعة الاسلامية وعن أسباب تحريم الخمر وعن تعدد الزوجات • وكان المسلمون يستغربون اهتمامي بأسئلة هؤلاء (الهيبز) الذين لا تأتلف شعورهم المنفوشة

ولباسهم الوسخ ولحاهم الكثّة وأعمالهم المنكرة (في الفنادق) مع الذي يحملون من العلم والمعرفة (والشهادات العالية) ٠ وقد شرحت بكلام مفصل وجهته للمسلمين ، حقيقة هؤلاء (الهيبز) وأغراضهم وحالاتهم النفسانية وبينت لهم اضطراب الفطرة الانسانية في حضارة الغرب المنحرفة ٠

ومن قوة تأثير اللباس العربي وهيبته وما يذكر به لدى المسلمين في سيلان ٠ ولعمق إحساس المسلمين بقبول هذا اللباس وإكبار من يلبسه وخاصة العرب القادمين من أرض الآباء والأجداد « لأن مسلمي سيلان يقولون بانتسابهم الى الأصل العربي » ٠ فانهم كانوا يستكرهون وقوفي مع هؤلاء الغربيين والغربيات من (الهيبز) إذ لم يكن هؤلاء المسلمون يستمعون الى ما كان يدور بيني وبين هؤلاء الشباب من الجدل والمناقشات حول فلسطين وتاريخ العرب والثورة الفلسطينية ٠ وقد تقدم مني واحد من المسلمين وسألني : كيف يجوز لك أن تتحدث مع هؤلاء الفتيات وأنت بلباس المجاهدين العرب ؟ فقلت : إن هذه الفتاة طالبة ألمانية تدرس الفلسفة الشرقية في جامعة مدراس في الهند ٠ وكانت تسألني عن تأثير القرآن في المنطق الفلسفي وعن (كتاب إحياء علوم الدين ـ للغزالي) فأنا الآن أريد أن أقدم لها مجملا من مبادىء الاسلام ٠ وقلت له : إذا كنت على علم باللسان الانجليزي فتعال إليّ وكن الترجمان بيني وبينها ٠ فوقف الرجل المسلم بيننا فكان المترجم الفهّامة ٠ فكنت أنشىء الجملة الركيكة باللغة

الانجليزية فيصوغها هو مرّة أخرى ويقولها لهذه الفتاة ·
وكان علمه بمبادىء الاسلام وعقائده خير معوان على معرفة
القصد من المحاورة · وقد أخذ يبادر الى شرح ما أريد
توضيحه !

وقد أمضينا ساعة واحدة مع هذه الفتاة ، ونحن وقوف
في الشارع وقد ختمت هذه الفتاة الألمانية كلامها بأنها جاءت
مع (صديقها وزميلها في الجامعة) وكان على وعد معها بالزواج
في سيلان إلا انه قد أخلف الوعد لأنه قد تعرف على فتاة
أمريكية التقى بها في أحد مطاعم كولمبو · وحينئذ هي وحيدة
الآن (بدون صديق) وأنها الليلة مضطرة الى النوم في أحد
الفنادق وحيدة ! فضحك المترجم المسلم السيلاني ، وقال
لي : هل سمعت ! هذا ما خفناه عليك ·

إن المسلمين في سيلان يفترضون في العربي المرتدي لباس
الآباء والأجداد أن يكون داعياً إسلامياً مبلّغاً ومبشّراً بدين
الاسلام · ولذلك فانهم يبادرون الى كل من يرونه لابساً بُرداً
عربياً وعليه الزي العربي ، أو بخاصة العربي الذي يعتمر
العقال والكوفية · هل جئت للتبليغ؟! هل زرت المساجد ؟!
أين جماعتك ؟ فاذا علموا بأنك لست من أهل الدين أو لست
من الذين يرقون المنابر للخطابة في الدعوة الاسلامية ، سألوك
في التجارة ودعوك الى شراء الأحجار الكريمة التي يتعاطون
بيعهـا ·

وحينما كنت في غمرة النقاش والجدل أناظر هؤلاء الشبّان في أمور دينية وحول الفرق بين نظرة الاسلام الى المرأة وبين نظرة الحضارة الأمريكية اليها اتجه اليَّ رجل أوروبي وهتف بي قائلا : انظر : انظر ، إرفع رأسك ، ماذا ترى ؟ ٠٠ إنها أجمل مناظر الطبيعة في الشرق ٠ إفتح عينيك نحو هذه التلال الراقصة بحلل الورد ٠ وهدّىء قلبك من العصبية العربية الدينية والانفعال الشديد برؤية الشعور السوداء والسوالف الفاحمة الطويلة تموج أمامك في هذا الشارع ٠٠ وداوِ (جراحك الدينية بالاستماع الى الموسيقى) ٠ فجاوبته جواباً طويلا ، وقلت له : لو كانت الموسيقى تهذّب الطباع وتعيد الانسان الى الحال السليم لأعادتكم ــ أنتم ــ معشر الأمريكان الوالغين بدماء الأمم ٠ ولكانت رادعاً لكم عن قتل الشعوب ٠ وقلت له : أنت يهودي تريد أن تضلّل القلوب والعقول بهذه الدعوة لكي يتسنَّى لكم الاجهاز على أمة ساهية غافلة عن نفسها لاهية بالموسيقى والكلام عن شعر النساء ٠ وقلت له : ان هذا هو برنامج الغزاة المستعمرين في خدمة اليهود ٠ فانتفض الرجل وقال : إنــه ليس يهودياً ٠ وإنه يستنكف أن يكون يهودياً ، ولكنه يكره الديانات جميعاً ، ولا يؤمن بدين ٠ وقال إن الازدحام يمنعه من الانتقال الى مكان آخر ٠ إذ ليس بوسع المرء أن ينقل قدمه من شدة التصاق الناس وتراص صفوفهم بعضهم الى بعض انتظاراً لموكب الفيـلَة في هذا المهرجان ٠ وقال إنه قد تطفل بالكلام لأنه قد ضجِر من صخب كلامي ــ المترجم ــ حول الأديان وادّعى أني قد

كدّرت متعته بمشاهدة عرض الفيَلة · قلت له : لقد شاهدت سيلان كلها ، وهي ترتدي هذه البزة القشيبة المحفوفة بالألوان الخلابة · وتجولت بين الأشجار وبلّلت أثوابي بالسحاب الهاطل على هذه الأغصان نهاراً وليلا · ورأيت البراعم والأزهار وشممت العطر من حدائق (كاندي) و (كولمبو) ولكن يجب علينا قبل الانجذاب الى هذا العالم الحسّي ان نخشع لله خالق هذا الكون رحمة وتدبيراً وتنظيماً · ووقفنا نتكلم عن شجرة جميلة باسقة أمامنا فقلت : ان في صورة هذه الشجرة الباسقة وفي أليافها وداخل ذراتها وبين عناصر الماء الذي يبث النماء والأزدهار في عروقها وأوراقها تدبيراً مطلقاً مهيمناً عاماً مؤثراً موجهاً ومدلّلا على وجود القوة الالهية القائمة بالأمر والمُلك · وقلت له : إن دين الاسلام هو البيان الواضح لكل ما غمض ودقّ في مسائل الايمان ، وهذا هو سبب الجدل بيني وبين رفاقك ، وهذا هو سبب الكلام الذي سئمت الانتباه له · ثم قال لي : انك لا تجيد الانجليزية · وقال انه يريد توضيحاً لأقوالي وتفسيرات لبعض الجمل · ثم قال انه سيذهب الى الهند ويدخل في إحدى جامعاتها ليتعلم اللغة العربية ويدرس دين الاسلام ·

وقبل بدء الاحتفال ، وخلال ترقّب الناس المصفوفين كألواح من الخشب ترقّباً وانتظاراً لظهور موكب الفيَلة · وخشية الازدحام على المقاعد في السيارات والقطارات فقد رأيت أن أبادر الى إحدى السيارات الكبيرة على خلوة من الجموع

التي سيركب بعضها رقاب بعض عندما يرفض المهرجان ويحين الانصراف من كاندي ٠

وهكذا فقد أخرجت جسمي بعناء ومشقة من بين الكتل البشرية ٠ ومع أني قد تركت الاحتفال ولم أشاهده وغادرت مكان العرض في الشارع على غفلة من الناس ، إلا أني قد وجدت ألوفاً من الناس مثلي قد فروا من هذا الحفل وسارعوا الى السيارات لتنقلهم الى أماكنهم خارج مدينة كاندي ٠ ولم أستطع الوصول الى إحـدى السيارات إلا بمساعدة صبي باكستاني مقيم في كولمبو قد سلّم عليّ مصادفة ؛ وتحدث معي عن رغبته في دراسة اللغة العربية ٠ فقلت له : ليس الوقت وقت دروس ولكن القصد الوحيد الآن هو الوصول الى باب السيارة ٠ فأخذ هذا الصبي يتخطّى الصفوف الطويلة الممتدة مسافة طويلة ـ بنظام وسكون ـ وبدأ يكلم القوم بلسانهم السنهالي قائلا : إن هذا الرجل عربي وهو ضيف سيلان ويحب شعب سيلان ٠٠ وإنه مسلم ٠ فخرج المسلمون مـن الصف لتقديمي ، فأوسع لـي أيضاً جميع المواطنين السيلانيين ٠ وعدت الى كولمبو ـ بثلاث ساعات في السيارة ـ ووصلت الفندق الذي أقيم فيه في الساعة الثامنة والنصف مساء ٠

حول المعهد الثقافي العربي

في ساعات الصباح الأولى من يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ ـ الموافق ٢٤ تموز ١٩٧٣م ـ وهو اليوم الأول لوصولي كولمبو ـ اتصلت هاتفياً بالسفير العراقي العقيد الركن المتقاعد السيد بشير الطالب ، لكي أبيّن له اسباب قدومي الى سيلان ، واذكر له الغاية من عزمي على تأسيس معهد ثقافي لتدريس اللغة العربية في كولمبو . فرحّب بي السفير ودعاني الى الغداء ، وجاءني بعد ذلك بنفسه الى الفندق يرافقه بعض موظفي السفارة . وفرح الاخوان العراقيون بهذه الخطوة وأيّدوا الفكرة وتحمّسوا لها واستبشروا جميعاً بتكوين مدرسة عربية في هذه الديار النائية . وقد وجدت السفير يهيء الأسباب والوسائل للمباشرة في مثل هذا المشروع . وعندما جلست عنده في مكتبه قال لي : يا فلان ـ الله جابك ـ فقد سبق مني الوعد المؤكد للمسلمين بفتح (معهد عربي) لهم هنا .. غير أني لم أجد شخصاً مثلك يتفرّغ لتحقيق ذلك وتنفيذه ويستعد للاشراف عليه وإدارته وتسيير أعماله . ثم تحدث لي السفير عن تاريخ المسلمين في سيلان وأطنب في الكلام حول سيرة الزعيم العربي المصري أحمد عرابي . وقال : إن أحمد عرابي قد أمضى هنا تسعة عشر عاماً ـ منفيّاً من قبل الانجليز ـ فكان مثلا صادقاً وانموذجاً عالياً للعربي المسلم وكان مجاهداً وداعياً من دعاة الاسلام . وقد استطاع أن يؤسّس مدرسة تعرف اليوم

(بمدرسة الزاهرة) وأن يبني جامعاً يدعى اليوم (بجامع الزاهرة) والزعيم أحمد عرابي هو الذي أطلق هذا الاسم على الجامع . ثم عاد السفير بكلامه إليَّ وقال لي : إن من الضروري أن تصمم وتثابر من أجل تأسيس هذا المعهد في سيلان ونحن سندعمك ونؤازرك ونمدك بكل الذي يلزمه تأسيس المعهد . وعلينا أن نستأجر المكان ونؤثثه على حساب السفارة العراقية ، ولعل هذا المجهود العربي الاسلامي سيكون امتداداً لما بذله الزعيم أحمد عرابي في سبيل المسلمين هنا . وفي الوقت نفسه فقد بادر السفير الى مخاطبة وزير التربية والتعليم في سيلان الحاج الدكتور محمد بدر الدين محمود . وقد أبدى له لمحة من الفكرة ، وذكر له سبب مجيئي الى سيلان وتواعد معه بأن نحضر إليه في الساعة الرابعة من مساء هذا اليوم عينه بلقاء خاص في منزل الوزير السيلاني . وقد انتظرت في الفندق عند الموعد المقرر فحضر إليَّ السفير ومعه السيد طلعة كاظم الخضيري - الملحق التجاري في السفارة - وذهبنا الى الوزير الذي رحَّب بي وتلقاني بغاية الاحترام .. وأخذ يتبادل الحديث مع السفير العراقي حول تاريخ العرب والاسلام . وكان يتألم من الفرقة والتفكك والانشقاقات بين الدول العربية والسفير الطالب يجاوبه ويصغي إليه . ثم قال الوزير بصوت جهوري : آه لو توحَّد العرب فان السيادة والمجد والنفوذ في كل مكان سيكون للمسلمين . وبعد قليل من الكلام توجَّه الوزير إليَّ بالسؤال - فقدَّمني الأخ السفير بكلمات صافية أخوية

خالصة · فأخذ يتكلم كأنه هو الذي يريد أن يؤسس المعهد · وقال إنه كان يسعى من أجل تحقيق هذا المطلب منذ سنة كاملة · وأشار إليّ قائلا : إن مجيء الأخ فلان الى سيلان مدفوعاً بهذه الفكرة قد جعله ملزماً بأن يجدّ الجدّ كله من أجل إقامة هذا المشروع العلمي الثقافي · ثم تحدثت أنا باللغة الانجليزيــة ـ والأستاذ طلعــة الخضيري ينظّم كلماتــي ويساعدني ـ فشرحت الغاية من المعهد · وقلت للوزير المسلم المنحدر من أصل عربي ـ كما سمعت ـ إني أعمل من أجل الوجود التاريخي العربي الاسلامي الواحد لهذه الأمة ·· ولهذا فسيقوم المعهد بتعليم العربية ويكون مدرسة أيضا لتثقيف المسلمين تثقيفاً إسلامياً تاريخياً . وسيكون المعهد بأموال عربية وبتجهيز وإعـداد وإنفاق عربي . وسيكَون القبول والتعليم والكتب المقررة على حساب المتبرعين الاخوان العرب الذين سيموّلون هــذا المعهد ويتعهدونــه بالصرف والامداد بكل اللوازم والمطلوبات الحديثة · فقبل الوزير هذه الفكرة واطمأن إليها وآمن بها وأخذ يعبّر بكلمات حماسية عن ضرورة المسارعة في تنفيذها · وطلب إمهاله بضعة أيام لكي يوفّر عليّ تهيئة الفرصة واغتنام المناسبة من التفاهم مع رئيسة الوزراء (بندرانايكا) وعرض الموضوع عليها · وأوصاني الوزير بوجوب التكتم وإخفاء القصد (لئلا يشعر الكفار بهذه الغايات) النافعة فيتعاونوا على إحباط المشروع وتشويه الهدف السامي · ثم أملى الوزير نفسه على الأستاذ طلعة الخضيري نص كتاب الطلب الرسمي الموجه إليه هو

وأمضيته أنا ووقّعته • ولقد صاغه الوزير بعبارات وإشارات والتفاتات بارعة محكمة مستوفية الغرض والغاية وبأسلوب خاص يلائم نمط القوم في مخاطباتهم الرسمية ويوافق الأسلوب عندهم في درج الأسباب والمبررات •

وفي اليوم الثاني طبعنا هذا الكتاب في السفارة العراقية وقدّمناه الى الوزير • وبعد ذلك انصرف الأخ السفير يراجع الوزير ويلح عليه لاصدار الاجازة وكان السفير يؤكد للوزير بأن هذا المعهد سوف يتكفل بارسال المتخرجين المتفوقين فيه الى الجامعات العربية لاكمال تحصيلهم العلمي والأدبي •

فعلى هذه الحال من الحديث والكلام والمواعيد وأنا أنتظر جواب الوزير شهرين كاملين • وعلمت ــ أخيراً ــ أن الوزير قد برىء من الطلب وتنصّل منه ، وكان خائفاً من أحد الموظفين البوذيين العاملين في مكتبه • وعلمت أن في مكتبه موظفاً بوذياً حاقداً على العرب • ولا شك أن هذا الموظف هو واحد من البوذيين المتنفّذين في هذه الوزارة المتحركين بقوة ومحسوبية وأنانية لا يقــدر الوزير على المجاهرة بالتحدي والعناد أمامها •

ومن كثرة الالحاح وتكرار (السؤال) والمراجعة ، فقد أراد الوزير أن يخلص كلياً من التبعة فأحال الموضوع والطلب والبت فيه والجواب بالكلمة الأخيرة على ذلك الموظف البوذي المتعنّد المصر على رفض الموضوع • وعلمنا أن هذا الموظف

قد كان عضواً في الحزب الشيوعي السيلاني ثم أخذ الآن يلعب على الحبال ويتقلب ويعيش على التعاون مع مدارس الارساليات التبشيرية الأمريكية ويتلقى المكافآت المادية جزاء التسهيلات والخدمات التي يقدمها لمدارس الأمريكان التبشيرية الاستعمارية ·

وبطلب، من الوزير فقد ذهبت الى هذا الموظف في مكتبه بالوزارة في ١٧ شعبان ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٤ أيلول ١٩٧٣م· وكان معي الأستاذ عبد الجبار العبيدي الملحق التجاري في السفارة العراقية · فاذا بنا أمام قزم من أقزام سيلان وعلج من علوج الكفار يتعالى ويتكبر بما كان يقوله لنا ، وكانت إمارات الغضب بادية في وجهه وعينيه · فاستغربت ذلك وضقت ذرعاً بـه ، وكان الأستاذ العبيدي يصبّرني على الاستمرار بالحديث معه في شرح الغاية من تأسيس المعهد · وأخيراً فقد ختم الكلام بقولة واحدة لفظها من خشمه : سنكتب إليكم بعد حين · والتفت إليّ قائلا : أليس كذلك ؟

وقبيل عودتي الى البحرين ببضعة أيام أخبرني بعض الناس في كولمبو بأن هذا الموظف قد كان يأمل رشوة مني · واتضح لي ـ آخر الأمر ـ أن بعض (الوسطاء) من المسلمين أيضاً قد كانوا يلوّحون بطلب الرشوة · والسبب في ذلك هو لباسي ، فان البعض منهم قد أخذ يقيس ويحسب كل قطعة من ملابسي على ما يراه في جرائد الخليج وبيروت من صور الأغنياء ذوي الكوفية البيضاء والعقال ، ومن الحفلات

والمظاهر التي يبدو فيها أبناء الخليج وغيرهم من العرب وهم يلعبون بالفلوس ويلعبون بأنفسهم أيضاً • ومن عادة الناس في سيلان وفي باكستان وفي الهند ـ اذا رأوا عربياً ـ أن يسألوه عن النفط والمال قبل أي سؤال آخر • والأغنياء في سيلان يتحدثون عن النفط العربي قبل أن يتذكروا أي أمر من أمور العرب الأخرى • وقد وهم بعض الشباب المسلم بأني أنا أيضاً واحد من أغنياء النفط الأثرياء • واني قدير على البذل والتبذير وإهدار الملايين ، فكتب مراسل جريدة (الأوبزرفر)(١) التي تصدر في كولمبو باللغة الانجليزية ـ وأعلم معلناً ـ بدون تقدير وبدون أن يسألني عن إمكانياتي المادية ، بأن ميزانية المعهد التي أعددتها وقدمت بها الى سيلان ميزانية ضخمة كبيرة تبلغ المليون •• وقال عني ـ رجماً بالغيب وتخرصاً وخرقاً ـ إني سأقوم بمساعدات مادية الى الشعب السيلاني • واستغربت هذا واستنكرته • ولكني قد علّلته بسلامة القلوب البيضاء التي صدر منها وبصفاء العواطف والسرائر الاسلامية المشبوبة الملتهبة بالحماس للعرب ، وكمثال بارز من الأخوّة القلبية الدينية ودلالة صريحة على الترحيب اللائق بالبيان وبالقلم والمبالغة في الاطراء عندما يشعر هؤلاء الفتيان بقصور الأيدي عن بلوغ المقامات الواجبة والتصدّر في المواقف اللازمة لاقراء الضيف العربي وتكريمه بما يجب للضيوف •

---

(١) في عددها المرقم ٥٨ ـ المجلد ١٩٥ ـ الصادر في ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٤م •

وهذه الروح الصادقة هي التي أملت على السيد فاروق مراسل (الأوبزوفر) أن يكتب ما أشرت إليه آنفاً ، وهي التي حركت الفتى الذكي والصحفي الناشىء فيروز المحرر في جريدة (عَلَم الاسلام) التي تصدر بلغة التمل في كولمبو • فيكتب عني وعن الغاية من تأسيس المعهد وينشر صورتي ويعلّق عليها • وقد عاتبته على نشر الصورة في هذا العدد من الجريدة(١) • وقلت له : انك لم تأخذ الصورة مني لهذه الغاية •• واني لم أرتض لك الاقدام على نشر صورتي بدون الاذن مني • وقد خجل هذا الشاب ، وقال : ان لك علينا لحقاً عظيماً وأنت ضيف ولكني عاجز عن استقبال الضيوف أمثالك• ثم أصرّ عليّ إصراراً جازماً بالذهاب معه الى منزله(٢) ، وكأنّه قد شاء أن يطلعني على الحقيقة سافرة مكشوفة ، وأراد أن ينطق أمامي بالواقع المحزن المرير الذي يعيشه مع أهل بيته • ولقد جئت مع الصحفي المسلم فيروز ، وفوجئت بأبيه المقعد وأمه واخوانه الثلاثة وأخواته الست وخالته وأبناء أخته الذين لا أتذكر عددهم يعيشون ويسكنون ويقعدون وينامون في حجرة واحدة • ومن الظريف أن واحداً من اخوان فيروز ، قد اتخذ له ما يشبه العش في أحد جدران الحجرة مما يقرب من السقف • فدهشت لهذا الصبي كيف يستطيع النوم والقعود في هذا (المهد) الملصق بالحائط • وبينما كنت أردّ التحيات على أهله صغيراً وكبيراً وأجيل

---

(١) العدد الصادر في ١١ ربيع الأول ١٣٩٤هـ ـ الموافق ٣ نيسان (ابريل) ١٩٧٤م •
(٢) وكان في مساء الأحد ٨ ربيع الأول ١٣٩٤هـ ـ الموافق ١ نيسان (ابريل) ١٩٧٤ •

نظري في صور بعض القادة والشهداء العرب المنوطة بمشاجب خاصة ركّزها فيروز على الحيطان • وقف أمامي فيروز وأمه وقالا لي بلسان واحد : أنظر أيها الأخ ! هذا هو منزلنا فهل نستطيع أن نهيىء لك النـُز'ل والضيافة ونولم لك وليمة جديرة باستقبالك في هذه الحجرة الواحدة التي أنت فيها الآن ؟!

وعندما حان الخروج من هذا (المنزل) وآن لي أن أودّع هذه العائلة الاسلامية خفق قلبي وزفرت متأوّهاً حينما رأيت عيون هؤلاء الأولاد والبنات يلمع في أحداقها الدمع • وعندما سمعت كلمات الوداع ، والدعاء لي ، بلغة التمل ، تخرج من أفواه اخوان فيروز واخواته كأنها رسائل العتاب والاستنجاد الى كل عربي • ففيروز ، وأكثر المسلمين في سيلان ، يفخرون بأصلهم العربي ويؤكّدون ذلك • ولما أحسَّ فيروز بالغضب والألم والأسى الذي عراني ، أوقفني هنيهة وقال لي : لا تعجب ــ يا فلان ــ ان هذه المحلّة كلها إسلامية ولم يسكنها غير المسلمين •• ونحن هنا لسنا بِدعاً بين اخواننا ولسنا الوحيدين المحشورين في حجرة واحدة • بل إن بين المسلمين هنا من هم أكثر من عائلتنا عدداً وأزيد أطفالا أيضاً قد انحصروا في حجرة واحدة كما انحصرنا • فان لكل عائلة حجرة واحدة مهما كثر البنون والبنات • وقد بنت الحكومة هذه المنازل لتوزيعها على الفقراء » فكان الذي رأيت وشاهدت • هكذا يعيش أغلب المسلمين في سيلان ! لقد كتبت وصفاً

دقيقاً لهذه المنازل ، ورسمت صورة عميقة الدلالة بهذا القلم لهذه الحجرات ! وأفرغت من صدري وَحَراً ونفثت نفثات من غور النفس ٠٠ ولكن هذا الموضوع قد كان من جملة الأبحاث والمواضيع التي قرّ الرأي على بترها وحذف الكثير منهـــا ٠

وكان من الواجب تأليف كتاب كامل خاص بأحوال العمّال المسلمين وضنك العيش الذي يكابده هؤلاء المواطنون من أبناء الشعب السيلاني ٠ مسلمين وغير مسلمين ٠ وكنت أعددت وصفاً دقيقاً لبيوت الطبقات الفقيرة في سيلان وللضيق والتبرّم والنقمة المتفجّرة في صدور ملايين من الشباب الذين لا أعمال لهم ولا وظائف ولا ضمان اجتماعي ٠ حتى اني كنت أسمع من الشباب المسلم هذه الكلمة مكرّرة في كل وقت : « ليس لنا وظائف لنعيش ، ولا بيوت لننام فيها ، ولا فلوس لننفق منها ، ولا تمر لنفطر عليه في شهر رمضان »٠

ولكني قد أردت أن يكون ذلك الوصف مطابقاً للواقع ومبنيّاً على الاحصاءات والأرقام ومصوراً وشاملا فلم يتسنّ القيام بذلك ولم أتمكّن من إنجاز ما أردت فحذفت المكتوب منه حول ذلك وألغيته ٠

المجاهد احمد عرابي وكلية الزاهرة

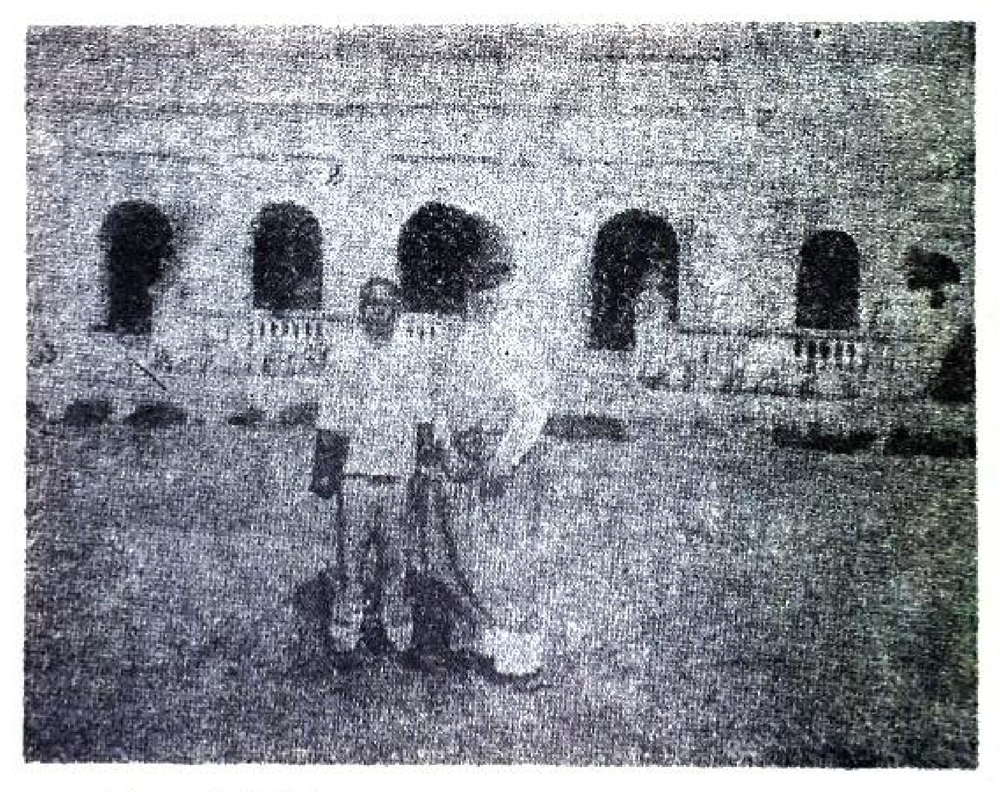
كأني أعرفه ويعرفني ومثلما أكون على موعد اللقاء به والحديث إليه وكأني قد جلست معه وتكلمت وسألت واستفهمت عن إقامته في سيلان التي استمرت تسعة عشر عاماً. فقد كنت أبحث عنه وأفكر به وأحسُّ كل آلامه وأتصور غربته وأتخيل محنته. فتعرض في خاطري هالة المجد المحيطة به. وخلال ذلك فقد خضعت لشعور غريب إذ كنت متوقّعاً أن أراه حال وصول الطائرة الى كولمبو. فصورته لا تفارق مخيّلتي وملامحه العربية المصرية الاسلامية (الصعيدية) مخطوطة أمامي وحتى صوته فقد كان يدوّي ويرنُّ في مسمعي.

كأن ليس لي في سيلان من غاية إلا أن أفكر بالزعيم المجاهد (أحمد عرابي). كان هو حديثي مع الذين عرفتهم في الساعة الأولى بمطار سيلان. إذ كان أحمد عرابي الرائد الجديد الى هذه الجزيرة. وكأني إذن أريد المسارعة الى اللقاء حتى خيّل إليّ أنه لا يزال حيّاً ولم يمت.

لقد مات أحمد عرابي عام ١٩١١م. وقد شاخ وهرم في سيلان وعمي رفيقه الشاعر سامي البارودي بعد أن أمضوا جميعاً ـ تسعة عشر عاماً ـ في هذه الجزيرة مطرودين من بلادهم منفيين من قبل السلطات البريطانية.

نعم ·· لقد كنت أبحث عن مآثر أحمد عرابي في سيلان ·· وكأن ليس لي من غاية إلا أن أحسّ وألمس وأتابع الذكر الباقي الذي خلفه أحمد عرابي في كولمبو · لقد مات أحمد عرابي ولكن الأثر الطيّب يفوح شذاه ويتضوّع · فما كان أحمد عرابي (معتقلا ـ ذليلا) خائفاً يتزلف ويرجو ويخشى · بل كان مجاهداً داعياً الى الاسلام قد استقصى كل قواه واستنفد كل مجهوده في سبيل المبدأ الذي جاهد من أجله وحارب في سبيله · لقد كان هذا المجاهد سائراً الى المجد بجميع حركاته وسكناته في سيلان لم تقف به رجله عند درجة محدودة من الصعود الى العلياء · ولم تنحرف به نفسه عن الخط العربي الاسلامي · ولم يقعد عن المسير للراحة أو التنفّس أو ليتفقّد ما بذل وأعطى وأرخص من الدم واللحم والنفس والنفيس · أجل هذا هو المجاهد الذي أعطى كل قواه وإرادته لدعوة الاسلام في كولمبو بحيث قد بلغ الجهد عنده غايته وأفضى الى حدوده ونهاياته · وقد مثّل هذا المقدام الجريء المعنى اللغوي (القاموسي) للفظة (الجهاد) بحيث لا يتحصّل ذلك ولا تطلق هذه اللفظة إلا ويجب أن يراد بها بذل كل الجهد وإنفاد كل الحول والقوة والارادة والملكات النفسيّة والمواهب الروحية ، بحيث لم تبق في النفس رغبة" ولا نزعة" للتحرك إلا وتُبذَل في ميدان الجهاد حتى يبلغ كل ما يطاق من العمل لله باللسان والقلم واليد والقلب والروح والدم حتى لا يبقى مجال للاضافة ولا سبب للزيادة · هكذا فعل أحمد عرابي

الذي حمل لواء الجهاد في كل ميدان • والمجاهد أحمد عرابي بعد أن نازَل بريطانيا وقاتل جنودها على أرض مصر مجاهداً ثائراً في جموع من الريف المصري •• وبعد أن خُذل وسقط رُمح الطعان من يده وغلبه القدر فانه قد استمرَّ يثير كلَّ قواه ويوجّه نشاطه ويرفع مشعل الجهاد الذي لم يخبُ سناه بين كفيَّ هذا البطل العربي المسلم • فاذا بأحمد عرابي ليس عربياً مصرياً يحارب الانجليز ويصاولهم فحسب ، بل ان أحمد عرابي بشير" إسلامي وهاد من هداة الدعوة القرآنية وخطيب" بالشريعة الاسلامية ورائد من رواد اللغة العربية ومثل عال للسلوك العربي البطولي الفروسي الذي عرف به الأوائل من العرب الفاتحين سلماً وحرباً •



المؤلف والى يمينه الاستاذ زروق محمد زروق محمد ـ في كلية الزاهرة بكولمبو

لقد كان أحمد عرابي منفياً في سيلان غير أنّه لم يستطع أن يدير عينيه عن مئات الألوف من المسلمين في هذه الجزيرة ؛ فقد أخذ يحارب الانجليز في ميدان جديد من ميادين القتل والموت · فهو لم يحمل سلاحاً في كولمبو وليس بين يديه أولئك الشجعان من عرب مصر الذين قاتل بهم بريطانيا · إنما قد حمل في سيلان سلاحاً آخر هو أمضى نفاذاً وأشدّ فتكاً · فقد حمل في قلبه عقيدة المسلم التي لا تلين ولا تضعف · وقد ضمّ صدره على قلب لا يحور ولا يتذبذب · وثبّت في دماغه فكرة راسخة عن دسائس الانجليز وخططهم في تفريق العرب وتشويه التاريخ · وقد وجد أن للانجليز سلاحاً جديداً يحاربون به العرب خاصة والمسلمين عموماً · ولم يكن ذلك السلاح باروداً ولا مدافع وسيوفاً ، بل هو سلاح التفريق والتدمير الخلقي والفكري وتمزيق جماعة المسلمين وغزو الجيل الناشىء بآراء المبشّرين المسيحيين ـ طلائع الاستعمار ـ فجدّد أحمد عرابي حينئذ إرادته الزاخرة بالعزم واستأنف قواه وصبره واندفاعه · وإذا به يخاطب صباح مساء ألوفاً من المسلمين في مساجدهم وفي بيوتهم يربّي ، ويهذّب ، ويدعو الى الدين ويجمع العلماء ويوحّد مناهجهم في طريق الاسلام ويكاتب أهل الدعوة الاسلاميّة في جميع أرجاء الهند· فأحمد عرابي هنا صوت جديد بين الرجال المسلمين صافي القلب مهذّب اللسان في تبليغ رسالة العرب · وقد كان مسلمو سيلان منجذبين إليه ميحطين به · وقد كان مشغول الروح والقلب بجموعهم إذا حضروا إليه وجلسوا عنده · والمؤمن

الممتحن الصابر المحتسب ليأنس بذكر ربه ويفرح بلقاء المسلمين فلا توحش قلبه ظلمة الاغتراب ولا تكدّر نفسه هموم الفراق . وهكذا فقد إرتاح أحمد عرابي الى نور القرآن وجماعة المسلمين في كولمبو فلم تشغله هواجس الأهل والعيال والأقارب في مصر . لقد دخل في حلبة هذه الصولة الجهادية الاسلامية الفكرية . فلم تخالجه وساوس الخوف والجبن ، ولم يلتو بِخُلُقِه المستقيم في سُبُل الغواية وجواذب الفتن ، فأسس مدرسة الزاهرة في محلّة (مردانه) بكولمبو ، وبنى مسجدها العتيد . وكان هناك منزله وموئله «في المنفى» . ولا تزال هذه المدرسة المسمّاة الآن بـ (كلّيّة الزاهرة) عامرة قائمة ولا يـزال مسجدها الكبير مقصوداً ومهوى لأفئدة المسلمين وملتقى للعلماء !

إن أول الكلام الذي جرى بيني وبين السفير العراقي في سيلان ـ السيد بشير الطالب ـ في الساعة الأولى التي لقيته فيها ، قد كان منصباً على أحمد عرابي في سيلان كما ذكرت سابقاً . وقد حدثني السفير العراقي حديثاً مفصلا عن أحمد عرابي ومناقبه المذكورة في سيلان .. قال لي : عليك الآن أن تزور (كلّيّة الزاهرة) وتذهب الى مقر المجاهد أحمد عرابي ، الذي يجب أن نفخر به . ولم أكن آنذاك على علم مفصل بسيرة أحمد عرابي في سيلان غير أني كنت أسمع بأن المسلمين في سيلان كانوا يقلّدونه في وضع (الطربوش) على رؤوسهم ، ولم تحفظ ذاكرتي إلا معلومات وجيزة مختصرة

ومسموعات قصيرة حول هذا الرجل الشجاع . فذهبت الى كُلّيَة الزاهرة ودخلت جامعها لتأدية الصلاة فيه . كان ذلك في اليوم الثاني من وصولي كولمبو . وهناك لقيت بعض الطلاب والأساتذة الذين كانوا قد تجمَّعوا حولي . ومن ذلك الوقت كنت أصطحب الشاب نظري محمد نزار محمد ، الذي رافقني كثيراً وكان الدليل لي في بعض أحياء كولمبو . وهو الذي عرَّفني على طلاب هذه الكلية .

لقد أخذت في تكرار الزيارات لكلية الزاهرة وجامعها وكنت أتمتَّع بالنظر الى المنزل الذي أقام فيه أحمد عرابي . وكلما حضرت الى هذه المدرسة وجدتني محاطاً بالأساتذة والطلاب وأبناء المسلمين الذين يطيب لهم التحدُّث الى العربي القادم إليهم من بعيد .

وقد صادف يوم ١٤ رجب ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٢ آب ١٩٧٣م ، مناسبة الاحتفال السنوي الذي تقيمه جماعة التبليغ الاسلامي . وقد اختيرت كلية الزاهرة مكاناً له في هذا العام كما ذكرت في مقام آخر . وما كنت أدري بأني سأشاهد في هذا الجمع الاسلامي العظيم مائة وأربعين ألفاً من المسلمين يقدمون لحضور هذا الحفل الخطابي من كولمبو ومن غيرها . فقد رأيت هنا مئات من المثقَّفين والأطباء والمهندسين والعلماء وألوفاً من العاملين في قضايا الاسلام . فلم أكن أدري بأني سأرى بعيني وسأسمع بأذني مائة وأربعين ألفاً من المسلمين يقيمون في كليـة الزاهـرة ويصطفون للصلاة في

في مسجدها وفنائها الواسع بجماعتين اثنتين كبيرتين ، إذ لم يتسع جانب واحد من المكان لجميع المصلّين من المسلمين ٠

وفي ساحة (كلّية الزاهرة) التي فرشت بالحصر وسُقفت بعرائش من سعف النارجيل وأوراق الموز ونصبت فيها الخيام وأعدّت المطابخ لتقديم الطعام قد فوجئت بقوّة المسلمين في سيلان وعرفت الحكمة وبعد النظر عند أحمد عرابي عندما اشاد هذا المسجد وبنى هذه المدرسة في هذا الموقع ٠ ولشعوري بالتدفّق الروحي في صدور المسلمين السيلانيين فلم أشغل نفسي بالتساؤل عمن ينفق على هذا (الأجتماع) الذي استمر حوالي الأسبوع ، حيث أقامت في هـذه المدرسة وفي هذا الجامع كل هذه الألوف من الناس تأكل وتشرب من موائد صبيبة وصحاف مملوءة بالطعام واستقبال منظّم وواجبات موزّعة على رجال عقلاء يباشرون أعمالهم بدون صخب ولا جلبة ٠ ولقد عرفت أن كلمة (اجتماع) أو الاجتماع ، هي إسم علَم على هذا اللقاء الاسلامي السنوي الذي تبارى فيه عشرات الخطباء بالعربية و (الاوردو) ولغة (التمل) ولغة (السنهالي) ولغة (الكجراتي) و (الانجليزية) ٠٠ إذ عُرضت وشُرحت أصول الاسلام وفروعه وفصّل القول في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ٠

وتكلّم الخطباء عن تاريخ هذا الدين وبسطت مشكلات المسلمين ٠٠ وتحمس الخطباء للثورة الفلسطينية ٠٠ وناقش العلماء جميع الأفكار والمبادىء والأحزاب السياسية المعادية

للاسلام . ومع ذلك فلم يحدث أي خلل في النظام ولم يقع أيُّ تحرُّش بأهل الديانات الأخرى الذين كان الكثير منهم يستمعون الى مكبِّرات الصوت خارج (الاجتماع) ويتفرَّجون على الاحتفال من الشارع العام الذي عليه تنفتح أبواب كلية الزاهرة . ولم أشعر بأية مضايقة ولا زحام ولا استفزاز من الجهات الدينية الأخرى . والسبب في ذلك أن المواطنين في سيلان جميعاً يتعايشون فيما بينهم تعايشاً سليماً بالمعنى التام لهذه الكلمة . والمسلمون وإن حظرت الحكومة عليهم ومنعتهم من بناء المساجد وعقد الاجتماعات إلاَّ بأذون خاصة فان المجتمع السيلاني يهتمُّ بحفلات المسلمين ويتتبَّع نشاطهم الثقافي وتحركهم الديني بالتقدير والاكبار . ان هذه الأقوام المسلمة في سيلان المنتسبة للعرب والذين استمات آباؤهم في المحافظة على دينهم لهي طلائع الدعوة المتقدِّمة الى ما وراء البحار قد زخرت بها البصرة والكوفة والبحرين وحضرموت . واندفعت من خراسان وتوجَّه روَّادها الأوائل من بغداد (الشريف) كما يسمى في ربوع الاسلام هذه . ولا يزال الاسم المذكور المشهور فوق أسماء العلماء في هذه الجزيرة هو اسم الشيخ عبد القادر الكَيلاني ــ رحمه الله ــ الذي استولى على هذه القلوب وتجاوز حبهم له التقديرات والحدود . ومن يدرس الطرق الصوفية في سيلان يعرف حقيقة ذلك (الغلوّ). فالمسلمون هنا موزَّعون بين طرق صوفية معروفة ، منها (القادرية) و (النقشبندية) و (الشاذلية) و (العروسية) وهي فروع من القادرية ، و (الرفاعية) . الأمر الذي لا يقبل

الريب هو أن تعاليم الشيخ عبد القادر الكَيلاني ونصائحه وتلاميذه ـ الأوائل الموحِّدين ـ قد كانوا هم السحاب الهتون الذي سقى هذا الشجر الاسلامي الذي يجب أن يكون خالصاً من رموز الباطنية ومنزهاً عن بدعة القول (بالحقيقة المحمدية) فقد كان الشيخ الكَيلانيّ يرسل الدعاة ويوجّه حاملي الكَلِم الطيب من أئمة الفضل وأهل الخير الى الهند وسيلان وغيرها . وقد كانت شارتهم وشعارُهم لباسَ العلم والورع والتواضع والفقر . ولا بد من الاعتزاز بالأعمال الاسلامية العظيمة التي قام بها هؤلاء الدعاة الاسلاميون فتفانوا وأذابوا قلوبهم وأجسامهم وأرواحهم في دعوة الاسلام هنا وهناك . ومع وجود البناء الاسلامي الذي خلفوه ، ومع أنا نشاهد الآن آثارهم وبقاياهم في ديار الاسلام البعيدة ، إلا أنّا لم نجد تاريخاً مدوّناً ومفصّلا يحدّث بتراجم هؤلاء الدعاة الذين نشروا دعـوة التوحيد وبشروا بالاسلام الخالص (ولـم يكونوا مسؤولين الآن عما خالط الدعوة الاسلامية ورسب في النفوس من الاصطلاحات والتفسيرات المنافية للتوحيد) . ونحن الآن لا نعرف جميـع أسماء أولئك المبلّغين المنذرين المبشّريـن الذين نشروا الاسلام في الهند في السنين الأولى من دخول الدعوة الى الهند . ولا ندرك أحوالهم . ولا نستطيع الحديث عن سِيرهم وبخاصة تلك (الصفوة المختارة ، المجهولة الأسماء) التي أقبلت الى سيلان من البصرة و (القورنة) كما يقال هنا ، والتي حطّت في ساحـل كولمبـو وبنت (كجي مسجد) في (بيروله) .

نعم ! ان أول مسجد إسلامي أقيم في هذه الديار هو هذا المسجد (كجي مسجد) ـ هذا ما سمعته من المسلمين هنا ـ وكج لفظة فارسية معناها الأعوج أو المائل ، وبعض المطّلعين في سيلان يقولون إن هذه اللفظة ـ بالجيم المثلثة ـ وتعني عندهم معنى آخر •

والمسلمون يتناقلون بينهم في أحاديث مرويّة منقولة عن آبائهم أن هذا الموقع الساحلي كان ميناء إسلامياً تقصده سفن التجارة القادمة من بلاد العرب • ومن هذا المكان مشى الدعاة الاسلاميون الى بقاع سيلان كلها يبلّغون ويهدون الناس بالدعوة الاسلامية •

هذه خاطرات استدعاها الكلام حول الزعيم أحمد عرابي الذي تجوّل في كولمبو شبراً شبراً فخطّ مدرسة الزاهرة وجدد جامعها الكبير بروح عالية الادراك والتصوّر مثل تلك الروح التي أسس بها اخواننا السابقون (كجي مسجد) في (بيروله) • ولذلك فلقد كنت أحوم حول آثار أحمد عرابي[١] ، وأطفىء

---

(١) قرأت في ص ١٢ من كتاب «أحمد عرابي» تاليف محمود الخفيف ـ منشورات الهلال : ان احمد عرابي كتب في مذاكراته ذكراً أن والده كان رئيساً لقبيلته ، وعدد آباءه حتى أوصل نسبه الى السيد صالح البلاسي نسبة الى (بلاس) وهي قرية في بطائح العراق • وذكر أن السيد صالحاً قد تزوج بالسيدة صفية شقيقة السيد احمد الرفاعي الصيادي • وقد ارتقى احمد عرابي بنسبه وذكر آباءه ـ بعد البلاسي ـ حتى وصله بالامام موسى بن جعفر ـ ١ هـ •

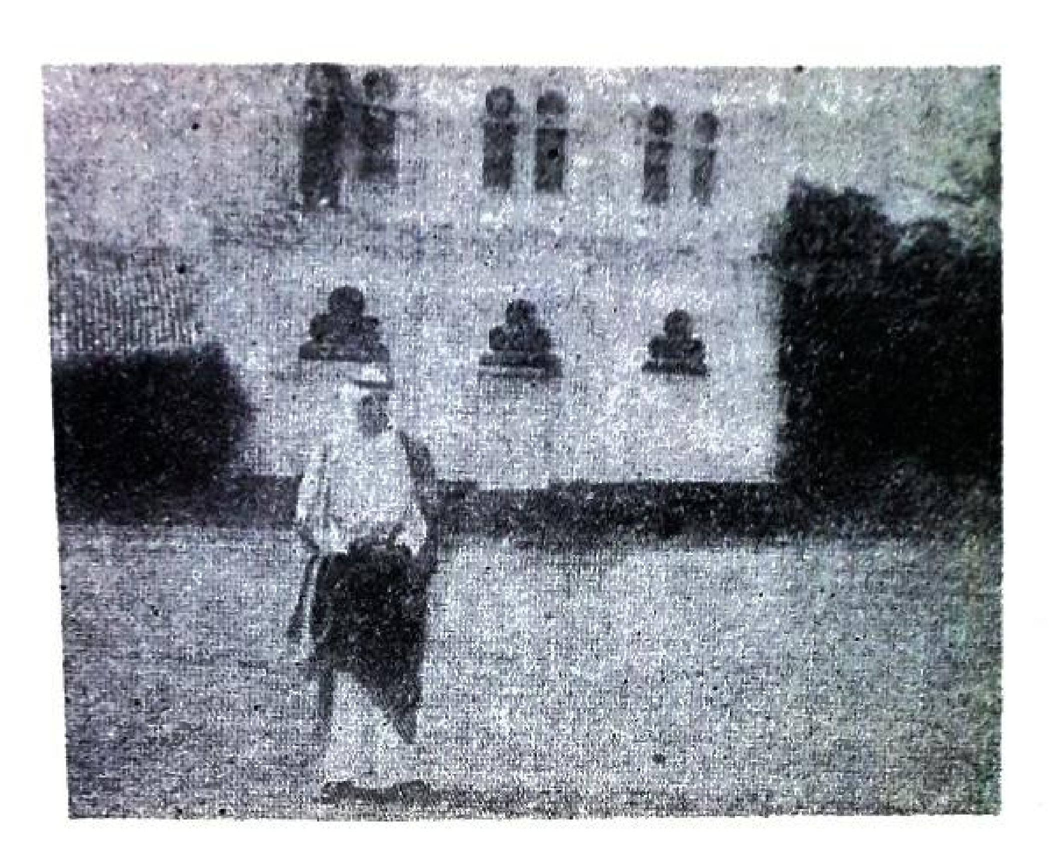
=

أنوار قلبي وأزيح عن صدري ظلام الغربة ووحشة الملل بالجلوس في كلية الزاهرة والحضور الى جامعها والحديث مع الأساتذة والطلاب الذين يدورون كل وقت حول مسجدهم هذا ويتجمّعون زُمَراً في باحات هذه المدرسة • لقد حرصت على متابعة هذا الاجتماع الفخم • ولم أكن مقدّراً الأهمية الضخمة والجهد الكبير الذي بذله الخطباء والمشرفون على تنظيم الاجتماع إلاّ بعد أن حضرت ثلاثة أيام متوالية ورأيت وفود المسلمين من جميع أنحاء الدنيا وبعد أن رأيت نفسي بين عشرات الألوف من مسلمي سيلان •

عندما أقبلت ــ المرة الأولى ــ لحضور الاجتماع كانت الحشودُ الكبيرةُ تتدفق على ساحة الكلية وعلى جامعها ، وقد أمست هــذه البقعة من كولمبو تمــوج بالقائمين والواقفين والجالسين ويزدحم عليها الألوف من الشباب المسلم المتطلّع

= وقال انيس منصور في كتابه « ٢٠٠ يوم حول العالم » ص ١٧٢ : في ١٠ يناير عام ١٨٨٢ وصلت الباخرة التي تقل أحمد عرابي وصحبه الى كولمبو • وقال في ص ١٧٧ : لقد صدر قرار العفو من الخديوي عن احمد عرابي ، فسافر احمد عرابي بحراً الى القاهرة في ١٨ سبتمبر ١٩٠١ ووصل السويس في أول اكتوبر وتوفي في ٢١ سبتمبر ١٩١١م • وقال انيس منصور ان احمد عرابي ما كان يملك أجور الباخرة ومصروف الطريق عندما صدر العفو عنه •

ولقد عرفت مما قاله انيس منصور انه التقى بالأستاذ عبد العزيز ابو بكر فابلغه ان احمد عرابي كان يدعو الى تعلم اللغة الانجليزية • وقد كان ذلك سبب جدال بيني وبين الأستاذ عبد العزيز ابو بكر ، وقد أشرت الى ذلك في موضوع : حديث الموت مع عبد العزيز ابو بكر •



المؤلف امام منزل الزعيم أحمد عرابي في كلية الزاهرة

الى المعرفة الاسلامية . وفي اللحظة الأولى سمعت قائلا يقول : هذا عربي قادم من البحرين (إذ كان هذا الرجل قد رآني في أحد المساجد قبل هذا الوقت) وما كادت الكلمة تخرج من فمه حتى اندفق سيل الجمــوع وركض الناس إليّ كأنهم ينتظرون أمراً مهمّاً جئت لأقوله لهم . فأسرعوا إليّ متحوّلين عن أماكنهم في وقوفهم وجلوسهم المزدحم . وقــد التهبت عواطفي بالحب لهم وشعور الأخوّة عندما أخذوا يعانقونني ويتهافتون على يديّ اللتين مسكت بهما عشرات الأيدي . وكنت أقول لهم : يا اخوان ! أنا لست عالماً ولا فقيهاً إنما أنا زائر ليس غير . فازداد تلهّفهم عليّ ، فقال لي الأستاذ

أبو نظري محمد نزار : لا تعجب ، ولا تستغرب ، فهذا هو الحق . ألست عربياً مسلماً . حسبهم ذلك منك . ثم وجدتني قد غرقت في هذا السيل الدافق من العواطف الصافية . وقد بذل الاستاذ محمد نزار (رئيس جمعية التوحيد) أقصى ما يمكنه لاخواجي من بين الأذرع والأحضان والأكفّ التي اشتبكت وتلاحمت من أجل أن يلمسوا بأيديهم كوفيتي وعقالي : عربي .. عربي .. مسلم .. من مكة .. من البحرين .. من العراق .. هذا ما كنت أسمعه . ولم أستطع الوصول الى الموضع الذي يمكّنني من الاستماع الى الخطباء فلقد اضطررت بعد ذلك أن أرجع الى الفندق بعد أن شعرت بالاعياء والتعب من زحمة اكتظاظ المسلمين حولي بحيث لم أستطع العبور الى قاعة الاحتفال ولم أتمكّن من دخول (الاجتماع) .

ذلك تصوير" سريع" لموقف عزيز لا يمكن أن يذهب عن البال ولم يكن هذا مبالغة في المجاز والتصرّف بالكلام فأنا أكتب ذاكراً الأسماء والعناوين . والاخوان الذين سيقرأون كلماتي هذه سيعرفون حق المعرفة ما ابتغيته وما سطرته على هذه الصفحات . فان من الواجب الالتزام المؤكد باصدار الحقائق وإيرادها مفهومةً محددة بالكلام المطابق للأشياء بدون تفريط ولا إفراط خاصَّة عندما أدوّن كلام الآخرين وعندما أحكي ما قيل لي وما قلته في هذه الرحلة .

حول معاهد الارساليات التبشيرية في سيلان

من الواضح المعروف أن الغرب الصليبي ـ منذ اندحار الجيوش الصليبية في فلسطين ، ومنذ انتصارات السيد العظيم صلاح الدين الأيوبي ـ يوالي علينا الحملات بعد الحملات ويوجّه الغزو تلو الغزو مستمرًّا في حربه وعدوانه متفنّنًا بالغارات الفكرية والثقافية والحربية على أمتنا في كل مكان من أرضنا وفي كل جهات الاسلام بحرب ضروس شعواء لتدمير الاسلام وتفريق الملّة المحمّدية والتحريض عليها وتقسيمها وتكوين الأحزاب والمنظّمات والجمعيّات المعادية للفكر العربي الاسلامي ٠

فالتخطيط الغربي السياسي هو الأب الأصلي والأساس الأول لجميع العقائد الضالّة في هذه الأرض ٠ وهو المتعهّد ـ بالمال وبجميع الامدادات المعنوية والمادية ـ لحركات الهدم الخلقي والتخريب الديني ٠ وهو الذي يغذّي ويربّي جميع العناصر الفاسدة التي أفرزت الشر والبوار والنفاق في أوساط أمتنا ٠ وهو الذي أوصل رجالا منا الى منصّات الحكم وسدة الأمر والنفوذ للتحكّم بنا والسيطرة علينا وإذلالنا والمساومة علينا وتصديع العرب وترسيخ الفرقة وتثبيت الحدود الاقليمية ٠

ولا غرابة أن تكون المدارس التبشيرية المسيحية والارساليات الأمريكية الاستعمارية مباءات للنفوس الخبيثة



المؤلف بين مجموعة من طالبات كلية العائلة المقدسة
وتبدو الراهبة كوليت وهي الأولى من الشمال

ومجالات ينشط فيها أعداء الاسلام والحاقدون عليه . لا غرابة أن نجد أنفسنا وأوطاننا وثقافاتنا مطوّقة بحصار فكري كامل من مدارس المبشّرين المسيحيين المتحرّكين بأمر المستعمرين . نعم لا غرابة في أن يجهزوا علينا يجرّبون كل معاول الفناء والتهديم في بنيان أمتنا . ولكن الأغرب والأنكى والأدعى الى الدهشة هو أن أكثر المسلمين ومفكّريهم والمدركين العرب لم ينتبهوا بعد لخطر الارساليّات التبشيريّة التي تتقمّص أردية العلم وتكتسي زي التربية والتعليم . وأكثر العلماء لم يعرفوا أن الارساليّات التبشيرية التي تهاجم الاسلام في اندونيسيا ، والهند وباكستان ، وإيران ، وسيلان ،

والأفغان ، وتركيا ، والدول العربية ، وأقطار افريقيا (الاسلامية) لا غاية علمية لها ولا قصد فكري • وليس لها هدف تربويّ أو خدمة طبيَّة كما يزعمون •• إنما غايتها الوحيدة وهدفها المطلوب هو تحطيم الكيان الاسلامي على رؤوس العرب وهم قاعدون • ومرماها الواقعي المعيَّن هو نزع الهيبة الاسلامية من قلوب المسلمين وتبديل الدين وإزالة معالم الفتوح العربية الاسلامية وتحويل الأقوام المسلمة من دينها الأول الى مذاهب ونحل وأديان غريبة وأحزاب ملحدة وتقليد أعمى للحضارة الغربية • إن سبيلهم الى زعزعة الاسلام وهزهزة دعائمه هي مناهج التربية والتعليم في الدول العربية السادرة الحائرة العمياء أمام هذا الوباء الفاتك القاتل الذي يرتع آمن السِرب في ربوع الاسلام يحاربنا ويهاجم ديننا في عقر ديارنا ويفسد القلوب ويشكّك الناس بتاريخنا ودين أمتنا • إن هذه المدارس التبشيرية تنهج كل نهج من أجل تمزيق مآثر العرب والمسلمين • فهي تغذّي — بالمال والايحاء والتوجيه — جميع الحركات والدعوات الفاسدة والبدع والتيارات الجارفة التي تهاجم الاسلام من جميع نواحيه • والمتتبِّع المستقرىء لهذه الأعمال الاستعمارية الصليبية يندهش مذهولا ويستغرب متعجِّباً من سبات العرب حيالها وسكوتهم أمام هذه المعاول التي تدقّ على الجدران التاريخية للعرب وتهدّ الأسس والدعائم الاسلامية وتضرب قواعد التاريخ العربي ضرباً دراكاً مستمرّاً بتخطيط دقيق وبرامج مهذّبة مصبوغة بصبغات مختلفة يشرف عليها

ويدبّرها رجال متخصّصون بالتربية وعلم النفس ، وعارفون متدرّبون على تقاليد الاستعمار وأساليبه • ولذلك فقد رسخت هذه المؤسّسات الصليبية الاستعمارية ونفذ فعلها في كل قطر من الأقطار الاسلامية فتخرّج منها أعداد كبيرة من المسلمين والعرب وجاءوا متنكرين لتاريخهم ومستنكفين من الاشادة به (والأمثلة على ذلك كثيرة) • وليس عجيباً بعد ذلك أن نجد الأغنياء العرب والطبقات الثرية في الأقطار الاسلامية يدفعون بأولادهم وبناتهم الى مدارس المبشّرين • إذ يتعلّمون ويتعلّمن قشور الثقافة الأمريكية وتلفيقات المبشّرين المسيحيين • لقد كنت أتتبع التبشير الصليبي منذ كنت يافعاً ، وقد أصدرت كتابي (في البصرة) طُبع عام ١٩٤٩م ، وتحدّثت فيه عن مدرسة الرجاء الأمريكية التبشيرية • وتكلمت بصراحة على تلك المدرسة التي كانت متنفّذة في ذلك الزمان ، والتي كان يديرها (مستر وانيس) المستشرق الأمريكي ، والتي لم تنجح بتنصير أحد من أهل العراق • إنما نجحت بتخريج ثُلة من الملاحدة وأعداء العرب • وقد كان من خرّيجيها مجموعة من الذين (لعبوا على الحبال) والتقلّب بين الأحزاب الشيوعية واحزاب الأقليات الشعوبية الانفصالية التي تخدم العدو الاجنبي •

كتبت هذه المقدمة لأني قادم من البحرين حيث يزداد الكلام هذه الأيام حول الارسالية الأمريكية التبشيرية في مدينة المنامة في البحرين • وذلك بسبب ما قامت به هذه الارسالية

من توزيع الكتب المعادية للاسلام والعرب جهاراً وباللسان العربي كما سنشير الى ذلك تعليقاً[1] في آخر هذا الموضوع .

وقد كانت هذه الخواطر هي الدافع القوي الذي حرّكني الى زيارة أكثر المدارس التابعة للارساليات لأمريكية والأوربية في سيلان كي أطّلع وأنظر وأقف على أحوال الطلاب والطالبات المسلمين . والذي عرفته في سيلان أن المدارس الأمريكية والأوربية المتظاهرة بخدمة الدين المسيحي قد تسرّبت في تلك البلاد وأوغلت وانتشرت انتشاراً واسعاً بدوافع إستعمارية وأغراض خاصة للسيطرة على سيلان والهيمنة على الفكر والثقافة والحياة الاجتماعية والسياسية فيها . ولا يستطيع أي كاتب عَجِل أن يقدّر إمكانيّات هذه المدارس الواسعة ويلمّ بالاخطبوط التبشيري الاستعماري الذي قد التفّ حول رقبة سيلان والهند واندونيسيا وباكستان وبعض البلاد الاسلامية الأخرى بدون أن يشعر أهل هذه البلاد بوخامته الوبيلة وشناعته وفظاعته . إن المسلمين والبوذيين في سيلان مطوّقون تطويقاً خانقاً بحركة تبشيرية يشرف عليها الأمريكان وتمدها الدول الغربية بأساليب ووسائل بالغة الاحكام والدقة في السيطرة الفكرية على البوذيين الذين تسوقهم الحاجة ويدفعهم الفقر الى معاونة المبشرين والاستناد عليهم وطلب المساعدة منهم .

---

(١) حذفت التعليق المذكور من هنا لاني قد اصدرت بحثاً مفصلا عن الارسالية الامريكية التبشيرية بالبحرين . ذلك . في كتابي . على شواطيء الخليج العربي . الحلقة الثانية .

وبرغم ادعاء حكومة سيلان أنها من دول العالم الثالث ومن دول الحياد إلاّ أن جميع المدارس الحكومية السيلانية توجّه وتسيّر وتُفتَح وتُغلق وتخطط لها المناهج بأيد أمريكية وأوربية • ولكن الأمريكان بحافز من إباحيتهم وانحلال حضارتهم قد أخضعوا الكنائس والمدارس المسيحية لسلوكهم وتقاليدهم المنفلتة من قيود الدين • ولذلك فان من الواضح أن ديانة المسيح المذكورة في القرآن الكريم هي غير الديانة المسيحية التي يدعمها الأمريكان ودول الغرب (ويبشّر بها جماعة الأستاذ حداد في لبنان) مؤلف كتاب «القرآن دعوة نصرانية» الذي وزّع في البحرين عام ١٩٧٣م) •

عندما كنت أتجوّل في المدارس التبشيرية في كولمبو وأطيل الحديث مع الراهبات اللائي كن يلقينني ويرحّبن بغاية من الأدب والتفضّل والقبول لكل ما قلت وتحدّثت ، والاستماع لكلّ الملاحظات التي كنت أناقش بها هؤلاء القوم الذين يتجاهل أساتذتهم تاريخ الاسلام فيها جمونه ويكذبون عليه • وعندما كنت أدخل هذه المدارس ـ باذن أم بدون إذن ـ كان لباسي العربي يجلب إليّ الطالبات المسلمات ويوجّه أنظارهنّ نحوي فيتقدّمن للتسليم عليّ والترحيب بي •

في يوم من الأيام حينما كنت أقول لأحد القساوسة إن من الأفضل لنا ولكم أن نتبادل السلم والمسالمة ونعيش في هذه الدنيا بدون أن تأكل قلوبكم ذكريات الحملة الصليبية المذمومة • فذلك أجدى وأفضل من التورّط في الأخطاء

التاريخية والوقوع في جرائم التحريف والتزوير ضد الاسلام. بينما أنا أتكلم هكذا وإذا بطالبة مسلمة في التاسعة عشرة من عمرها تقاطعني وتقف أمامي متحمِّسة لتقول : والراهبة تسمع . إنها تشعر الآن بالعزة ونشوة التاريخ حينما استمعت الى عربي يتحدَّث عن الاسلام وعليه لباس العرب . وقالت : لقد ذكَّرتني بآبائي العرب الفاتحين الذين رفعوا المساجد والمآذن في سيلان وفي غيرها . وقالت متسائلة : لماذا لا يقوم العلماء العرب بتكرار الزيارات لهذه البلاد ليسألوا عنا ويتفقَّدونا ؟ إننا مضطرَّات على دخول هذه المدارس الأجنبية . وها نحن أولاء قد تعلَّمنا في مدارس المبشِّرين وخرجنا منها لا نعلم ما هو ديننا ولا ندري ما هو تاريخ آبائنا وأجدادنا ؟ لماذا لا تنشط الأقطار العربية الغنية بالنفط والثروة والامكانيات الفنية لتأسيس مدارس وكليات تزاحم مدارس المبشرين وكلِّياتهم . ففهم الأستاذ القس كلامها وقال : إن هذه الفتاة متحمِّسة جداً وإنها من طائفة (البهرة) وأخذ يبتسم لها ويلاطفها ويشجعها على المضي في الكلام الصريح . وقالت الراهبة الواقفة معنا : إني أحافظ على أخلاق المسلمات وأعتزُّ بالعفيفات منهن ، وأحذِّرهن من الفساد المنتشر في المجتمعات ولكن النفس الفاسدة لا يفيد معها النصح والارشاد . فقلت أنا : إن الفتاة في هذا الزمان ـ مهما كان دينها ـ إذا دخلت مدارس الأمريكان ومدارس الارساليات الغربية فانها لا تتعلَّم إلاَّ الرقص والدعارة والاغراء والتعرِّي في حفلات (السمر) . فقالت الراهبة :

ي أردّ عليك أيضاً بأن التعرّي والرقص والعبث وحفلات السمر المختلطة هي من جملة التقاليد الشائعة في مدارسكم الرسمية في البلاد العربية • وقالت : انها قد إطّلعت على أن أكثر الحكومات العربية تشجّع الرقص والتعري والشرب والحفلات الخليعة في ضمن مناهج التربية والتعليم • فسكتّ وارتج عليّ ولم أتمكن من الاعتراض •

أول مدرسة تبشيريـة زرتها في كولمبو وتجـوّلت فيهـا وأعجبت بنظامها وضبط إدارتها وتوزيع الأعمال والواجبات فيها هي كلية (العائلة المقدّسة) (Holy Family College هولي فاميلي كولج) • ففي مساء ١٤ شعبان ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م •• جئت الى هذه الكلية ودخلت بلباسي العربي الذي لم يكن مألوفاً ولا معروفاً في هذه الأماكن والمدارس • وما كدت أتخطى الباب الرئيس حتى تقدّمت مني إحدى الراهبات وحيّتني وسألتني عن إسمي وعن البلاد التي جئت منها ثم هرولت مسرعة لكي تنادي الراهبة المحترمة (كوليت) مديرة الكلية والمسؤولة الادارية ولتخبرها بوجودي• وبعد التعرّف على هذه الراهبة الأولى ، أخـذت الراهبات الأخريات يدنون مني ويسلّمن عليّ بالتواضع الجمّ والأدب والسكينة • وقد أردت أن أعرف عدد الطالبات المسلمات في هذه الكلية • فقالت الراهبة (كوليت) : أرجو أن تطّلع أولا على جميع فصول الكلية وتطوف في صفوفها وأقسامها وتختبر طريقتنا في معالجة الأمور • فاستجبت لها ، وقلت :

لا بأس . فان من الممكن أن تتآخى الأديان المختلفة وتلتقي الأجناس المتباينة تحت قبة العلم الذي يجب أن يكون خالصاً من الأغراض والغايات المنافية لشرف الرسالة العلمية .

وقد كانت هذه الراهبة مؤدّبة ومعنيّة بزيارتي ومهتمّة بأقوالي وعندما كنت أوجه الأسئلة الدقيقة إليها حول شؤون الطالبات المسلمات كان الخجل يدبّج محيّاها بدم الخفر وحمرة الحياء . وقد وجدت في هذه الراهبة ـ وأقول هذا حقاً ـ النفس المهذّبة والثقافة العالية . ولقد مشيت مع هذه الانسان المؤمنة متجوّلا في كلية العائلة المقدّسة (هولي فاميلي كولج) . وقد دارت بي على كل الفصول والحُجُرات والمختبرات والمكتبة ومكاتب الموظفين ، وعرضت أمامي جميع الطالبات والتقطنا صوراً مشتركة . وعرّفتني على إحدى المدرسات المسلمات ثم نادت على الطالبات المسلمات وقدمتهنّ لي واحدة بعد الأخرى . وكان لباسي العربي يبهر بعض الطالبات . إن زيارتي قد أحدثت هِزّة عنيفة في نفوس الفتيات وخلال ذلك كنت أصغي للراهبات اللائي كنّ يتحدّثن معي بوجوه مرحِّبة وقلوب صافية . وعندما عرف هؤلاء الراهبات الغاية الحسنة من زيارتي لكليتهنّ وفهمن القصد السليم من السؤال عن الطالبات المسلمات ، أخذت إحدى الراهبات تتلطّف بروح إنسانية رقيقة مع الطالبات المسلمات وتقدّمهنّ إليّ واحدة واحدة . وقد كانت حمرة الخجل تتسع في وجهها خوف الاحراج والمضايقة وتحسُّباً للمناقشة والأسئلة . إذ كانت تستمع إليّ وأنا أفسّر هذه الآية الكريمة

لاحدى الطالبات المسلمات : « ولا تجادلوا أهلَ الكتابِ إلاّ بالتي هي أحسنُ إلاّ الذينَ ظلموا منهم » (سورة العنكبوت) • ولقد رقّ قلبي للراهبة (كوليت) وتأثرت لها وهي تعرض أمامي أمثلة ووقائع تمثّل أقصى مجهوداتها التربوية وتشير الى نماذج من سعيها الثقافي وخدماتها العلمية • فلقد شعرت أن هذه المربيّة العذراء كانت تبالغ في الترحيب بي وتستحسن كل ما أقول عن مبادىء الاسلام وأركانه وتظهر الاعجاب بما فصّلته من القول حول الشريعة الاسلامية وأركان الايمان وقواعد الدعوة القرآنية وتاريخ العرب الاسلامي • لقد رأيتها تتباهى أمامي بالفتيات المسلمات الموجودات عندها في هذه الكلية النموذجية التنظيم والادارة • وعلمت أن الداعي الأول الذي كان يجذب المسلمات الى هذه الكلية هو ما يتوفّر في هذه الكلية من القدرات الاختصاصية في التربية والمستوى العالي في تدريس العلوم • ولوجود الأجهزة الفنية الحديثة الضرورية لمن يريد أن يدرس ويتعلّم جادّاً غير هازل ، ولكنها في الأول والأخير هي معهدٌ من معاهد التبشير المسيحي • ولا شك في أنها مدرسة من المدارس المحسوبة على الجمعيات المسيحية العالمية في تموينها والانفاق عليها •

ففي هذه المدرسة تعرّفت على بعض الفتيات المسلمات • ولقد أخذت أحاورهن وأحذّرهنّ من أساليب المبشّرين الحاقدين على الاسلام • وكان ذلك بمشهد من بعض الراهبات وبمحضر المسؤولة (كوليت) ، ولقد كان كلامي شديداً وجدّياً

وعلى مسمع من زميلاتهن الطالبات المسيحيات والبوذيَّات ، فلم أحس بأيٍّ إنكار أو استغراب • ولم أشعر بأيٍّ نفور أو اشمئزاز من كلامي •• ولم أشاهد أيَّة إشارة في الغضب أو التذمُّر ، بل وجدت الراهيات والطالبات المسيحيات يسمعن واعيات القلوب ، مرهفات الحواس ، وينظرن إليَّ حديدات البصر كأنهنَّ يطلبن المزيد ويسألن المعرفة بتفسير ما أقول • ولقد ألفيت الطالبات المسلمات فرحات بزيارتي وحديثي مع معلماتهنَّ وزميلاتهـن • ورأيت الجميع يتواثبن أمامـي متسابقات من أجل التقاط الصور بأفواه ضاحكة مستبشرة وعيون تفيض بالبراءة والفرح • (وعند عودتي الى البحرين جاءتني بعض الرسائل مـن هؤلاء الطالبات يطرحن عليَّ بعض الأسئلة ويطلبن مني الصور التي التقطناها) •

والتفتت إليَّ الراهبة الأولى (كوليت) وقالت : إسأل هذه الطالبة المسلمة ما شئت ، فانك حرٌّ هنا ، تكلَّم ما تريد وصرِّح بما شئت • فتوجَّهت الى الطالبة المعيَّنة وقلت : هل أنت قادرة على حماية عقيدتك الاسلامية ، وصيانة أخلاقك أمام الحيل الجهنمية التي يمارسها المبشِّرون المسيحيون في محاربة الاسلام باسم العلم والتربية وتحت غطاء الخدمات الصحية ؟ فقالت الطالبة : الواجب عليكم أنتم معاشر العرب ، أن تحفظـوا اخوانكم وأخواتكم هنا وتتعهَّدوا الرسالـة المحمَّدية وتعودوا الى نشرها والجهاد في سبيلها مثلما كنتم في الماضي • ثم قالت إنها لا تعرف العربية ، وإنها تقرأ

معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية • وعندما انتهت زيارتي لهذه الكلية وصادف ذلك ارفضاض الدوام الرسمي وانصراف الطالبات ، تبعتني إحداهنّ الى السيارة وقالت لي بصوت جهري : أنا أحب العرب ، وأتمنى الموت في سبيلهم لأنهم قومي • وقالت : إن المسلمين في سيلان كانوا قبل مائة عام ضعف عددهم الحالي ، ولكن الألوف منهم قد بادوا وتفرّقوا •• وإذا توجّهت أمة العرب الى الاسلام فسيعيد الله قوّتنا وننشر ديننا في جميع أهل سيلان • وقالت لي أيضاً : يجب أن تعلم أن المرأة السيلانية شريفة النفس ومؤمنة ولم يؤثّر على دينها التقليد المزيّف والبذخ والثراء• والمسلمات في سيلان يستنكفن من الخدمة في بيوت الكفّار • ولم يشهد الناس لا في الماضي ولا في الحاضر إمرأة مسلمة خدمت في بيوت الكفار إلاّ النادر الأندر من الساقطات والمنبوذات •

لقد شغلت نفسي في سيلان بأن تجوّلت كثيراً في المدارس التبشيرية (التي تبلغ العشرات من الكليات والثانويات) • غير اني لم أتمكّن من دخول (كلية السيّدات المسلمات) مثلما كنت أزور مدارس الارساليات المسيحية بدون رخصة ولا إستئذان • فعندما هممت بدخول (كلية السيّدات المسلمات) (في كولمبو) طلبت مني معاونة المديرة الحصول على إذن مسبق من وزارة التربية والتعليم ليخوّلني هذه المدرسة • واستغربت ذلك • ولكني علمت بعد حين أن

هؤلاء المدرسات المسلمات ـ وهنَّ يؤدِّين العمل في مدرسة نسوية خاصة ـ قد خجلن من لقائي ومن حضوري إليهن وبعضهنَّ يرتدي لباس البوذيات والمسيحيات الذي تبين منه البطن والخاصرتان ، كما ذكرنا في موضوع آخر • ومع ذلك فقد عرفت أن هؤلاء المدرِّسات المسلمات تتحرَّك قلوبهنَّ بنفحات الاخلاص للعرب والاسلام وتنتعش نفوسهن بنسيم الأمل والاطمئنان الى الدعوة الاسلامية • فلقد تحدَّثت مع بعضهن وأنا في باب المدرسة فأدركت ذلك إدراكاً تاماً • ولقد سألتني إحدى هـؤلاء المدرسات المسلمات عـن سبب زيارتي للأديرة والمدارس المسيحية ، وقالت : بمَ تفسِّر إتّصاف بعض الراهبات بالمزايا الرفيعة والأخلاق الفاضلة مع انحلال المجتمعات التي تحيا فيها هذه الراهبات ، وفي وسط الكـذب والدجل والعصيان والفسوق الذي يمارسه المبشرون المسيحيون ؟ فقلت : لقد كان ذلك تأثُّراً بدعوة القرآن الكريم (وإن لم تعرف الراهبات ذلك وإن لم يطَّلعن على الدعوة الاسلامية) • فان نزول القرآن وانتشار آياته في صدور المسلمين والتطبيق العادل المنصف لتشريعاته في عصور الفتوح قد أحدث هزَّاً كونيّاً في النفوس البشرية عامة • وقـد أثَّر على الديانات الأخرى ، والمسيحية على الأخص • فكان أدب الراهبات وحياؤهنَّ وإحصانهنَّ إنعكاساً من دين الاسلام وأثـراً لوصف القرآن الكريم لأمِّ المسيح مريم العذراء عليهما السلام ، فكانت (مريمُ ابنةُ عمرانَ

التي احصنت فرجها) قدوة الطهر والعفاف في البيان القرآني السماوي ، غير أن هؤلاء القوم قد انحرفوا بالديانة المسيحية وغيّروا إنجيلها فابتدعوا الرهبانية والانقطاع عن الزواج والعزوبة . فقالت المدرسة المسلمة : وهل يمكن إقناع بعض الراهبات باعتناق الاسلام ؟ فقلت : ان من الممكن أن تأخذ الدعوة الاسلامية سبيلها الى هذه القلوب النقيّة والنفوس الذكية لو تيسّر الدعاة الاسلاميون القادرون على بثق النور القرآني في هذه الفوانيس المتلألئة بالأدب والشعور المهذّب . وضربت لها مثلا باحدى الراهبات التي طلبت إليّ أن أبحث لها عن عمل شريف في بلاد العرب .. فلقد كانت تلك الراهبة ـ وقد لقيتها في باب إحدى المدارس متذمّرة من حياتها ـ وقد عرّفتني عليها إحدى المدرّسات المسلمات وهي لائذة خلف السيارة متوارية عن عيون زميلاتها ، وتكلمت معي وهي عَجْلى خائفة ، فقالت : إني قد مللت الرهبنة .. أريد أن أكون مدرّسة في بلاد العرب . وتحدّثت بقلب مفتوح نحو دراسة التاريخ العربي الاسلامي راغبة في ذلك ومتمنّية وقالت : آه ، لو اني أعرف العربية حتى أقرأ القرآن . ثم قالت : فلو أني درست العربية وتفهّمت القرآن ودخلت في دين الاسلام .. ماذا سأشعر عندما يذكر أمامي نبيُّكم محمد بن عبدالله ؟ فقلت لها : إنك ستشعرين بأنه رسول الله وخاتم النبيين حقاً .. وانه إنسان من البشر .. وعربي من أعلى قبائل العرب كعباً

ونسبا .. ولكن الله تعالى كرّمه ورفع درجته فبعثه رسولا الى الناس كافة . ثم إنك بعد ذلك ستشعرين بلذة الايمان بالله الأحد الذي خلق عيسى بن مريم وجميع الأنبياء وأنشأ الكائنات والموجودات عامة . فقالت : يجب عليّ إذن أن أسافر الى بلاد العرب وأدرس العربية . ثم تعجّبت متسائلة : فلماذا نكفر بدينكم ونكذّب نبيّكم ونحقد عليكم ؟ هكذا ضربت مثلا لهذه المدرّسة المسلمة . وقد حذفت الآن كثيرا من الكلام والتفصيلات .

وزرت مدرسة اخرى من المدارس التبشيرية في (كولمبو) فرأى أحد المدرسين أن يحاورني في الفرق بين أسلوب الدعوتين المسيحية والاسلامية ، وسألني عن الوسائل البلاغية للدعوة الاسلامية . وأخرج قلما وورقة وأخذ يكتب . فتحدّثت له ــ والأستاذ زرّوق محمد زرّوق يترجم ويشرح بالانجليزية ــ وقلت : إن الوسائل والغايات في الدعوة الاسلامية يجب أن تكون من جنس واحد . وهنا يبدو الفرق بين الديانتين . فالوسائل والأسباب مباينة للغاية ومخالفة لها في طرق الدعوة المسيحية (وهذا كلام واضح) . فوسيلة الدعوة في شخصية الداعية الاسلامي هي أن يندمج سلوك الداعية وفكره وفعله ومنطقه بفقه الدعوة وتاريخها ونظامها وقوانينها المفروضة في الكتاب والسنة والمستمرة في كل زمان

ومكان . فالمسلمون يعتقدون أن الاسلام لا يتبدل . وأحكامُ الله نافذةٌ في كل العصور . ويعتقدون بوجوب إخضاع الزمان للاسلام لا باخضاع الاسلام للزمان . ويرفضون تغيير أحكامه وراء التغيرات الاجتماعية والزّمنية . أما الدعوة المسيحية فهي رهبانية صرف تعالج المطالب الروحية ليس غير ، ولا تعبأ بالتشريع ، ونظام الحكم ، وسياسة الأمم . وليس من شأنها التدخّل بتغيير الأنظمة (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) . أما الدعوة الاسلامية فانها تستهدف تحطيم الدول الكافرة وإسقاطها وتحرير شعوبها من الالحاد والاباحية وإرشادها الى دين الله . ولا تهادن النظم والحكومات المتظاهرة بالاسلام قولا والمعادية له فعلا وذلك بحكم هذه الآية ومنطوقها « ومن لَمْ يحكُم بِما أنزلَ اللهُ فأولئكَ هُم الكافرون » . ثم إن الاسلام يحرّم على الحاكم المسلم إمتلاك الذهب وخزن الأموال باسمه وباسم عائلته (فلا قيصرية ولا كسروية) أي لا استعباد ولا استغلال ولا استبداد بمصادر الثروة كما كان يفعل القياصرة والأكاسرة (وكما يفعل اليوم الحكام الأغنياء في أمة العرب) .

ولا شكّ أن الديانة المسيحية خالية من النظام السياسي . ولقد تعرّضت أناجيلها الأربعة أو الخمسة للتبديل والتحريف الكثير على مرّ العصور . فقد تناقضت نصوصها وتباعدت ولم يبق فيها إلاّ مواعظ ونُبذ وتعليمات وبشائر كتبها أتباع السيد المسيح مصحّفة متعارضة المقاصد .

إنها خمسة أناجيل متناقضة الدلالة والصدور ينفي بعضها بعضاً وليست إنجيلا واحداً • أما القرآن فهو كتاب واحد(١) •

هذا هو الفرق بين الدعوتين •• فوسيلة الدعوة الاسلامية مقتبسة من صميم الغاية • أي أن رضا الله هو المطلوب في كل حركة من الجسم وكل خطرة من القلب وفي كل نصح أو جدل أو مناقشة • والداعية يجب أن يكون محكوماً في القرآن ومفروضاً عليه ـ جهد المستطاع ـ محاكاة الدعوة في أيامها الأولى والاقتداء بالرسول الكريم في نشر الاسلام والتبليغ به • ولكن هل تستوي هذه الدعوة ودعوة المبشرين المسيحيين الذين تسيِّرهم الدول الاستعمارية بأموالها ومغرياتها وخداعها وحضاراتها الفاسدة ليلعبوا باسم السيد المسيح (ع) ويمسخوا تاريخه ويعبثوا به •

---

(١) راجع :

١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، للامام ابن تيمية •

٢ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، تاليف محمد طاهر التنير •

٣ ـ الفارق بين المخلوق والخالق ، تاليف عبد الرحمن باجه جي وبهامشه • الأجوبة الفاخرة للقرافي وهداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن القيم الجوزية •

٤ ـ الرحلة المدرسية ، للشيخ محمد الجواد البلاغي النجفي •

٥ ـ عقيدة الصلب والفداء ، تاليف السيد رشيد رضا •

٦ ـ دين الله ، للدكتور محمد توفيق صدقي ، طبع القاهرة •

٧ ـ أضواء على المسيحية ، متولي يوسف شلبي • الناشر : الدار الكويتية للطباعة والنشر •

في هذه الكتب اجوبة شافية كافية لكل من يريد الاطلاع على التحريف والنقض والتبديل في الأناجيل • (راجع التعليق في آخر هذا الموضوع) •

لقد كان أحد المدرّسين البوذيين يستمع الى كلامي وينظر إليّ حاضر الذهن مرهف الادراك قد صعّد فكره وخواطره وسمعه الى كل كلمة خرجت من فمي · وعندما أنهيت كلامي وودعت الموجودين وشكرني الأستاذ الذي كان يكتب كلماتي · تقدّم مني المدرّس البوذي وأخذ عنواني ورقم هاتف الفندق · وفي اليوم الثاني جاءني الى الفندق وطلب مني كتباً إسلامية مؤلّفة باللغة الانجليزية · فلم أجد ما أقدّمه له من الكتب المطلوبة · وقال لي : قد فهم أمس ما لم يكن يفهم ، وإنه الآن قد عزم على دراسة الاسلام واعتناق الديانة الاسلامية · وبعد أن عدت الى البحرين تسلّمت منه رسالة وأرسلت إليه بعض الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية · ثم انقطع عني خبره ولا أعلم عنه شيئاً الآن ·

وأحب أن أقول هنا للتاريخ وللحقيقة إن الراهبات في هذه المدارس يمثّلن أعلى نمط وأرقى نموذج من نماذج المرأة المحافظة على واجباتها التربوية · إذ يبدو هؤلاء النساء وكأنهنّ ثريّات من النجوم اللامعة في ظلام الشكوك والريب التي يبثّها المبشّرون المسيحيون الموجّهون من قبل الاستعمار الأوربي والأمريكي والذين يتّخذون من وقار الراهبات وسلامة قلوبهنّ أشراكاً ومصائد لتضليل العقول وإفساد الذمم ·

وفي رحلتي الثانيـة الى سيلان ٢٧ صفر ١٣٩٤هـ ـ الموافق ٢٤ مارس (آذار) ١٩٧٤م • نزلت فندق جمعية الشبان المسيحيين (Y. M. C. A.) . والفندق هذا هو مؤسسة خيريّة تابعة للارساليّات التبشيرية المسيحية ، وفي داخل هذا الفندق مطعم مخفّض السعر قليلا ما • وفيه مكتبة عامة حافلة بأهـم الكتب والمصادر التاريخية التي يختص أكثرها لخدمة الديانة المسيحية والثقافة الغربية ، ويشتمل قاعة للمحاضرات مرصوفة بالخشب السيلاني لممارسة الألعاب والهوايات الرياضية المختلفة • ولقـد وجدت أن الألعاب الرياضية هنا قـد نصبت كفخ لاصطياد البوذيين الفقراء وخداع بعض الشباب المسلم • ولقد وجدت أيضاً أن هذا الفندق قد تحوّل الآن مـن مؤسسة تبشيريـة ساعية لنشر الديانة المسيحية الى مأوى للأوروبيين من طبقة الهيبز • ولا شك انه هو الفندق الوحيد الذي يمتاز بطابع ديني فكري وتتصدّر قاعتـه الأرضية مكتبة عامرة بالكتب • وليس لي من غرض هنا في الحديث عن هذا الفندق ، ولا يهمني أي شأن من شؤونه • إنما قد التفت فيه الى توجه خاص نحو العناية بالمتنصّرين من المسلمين • فلقد أحسست آن اثنين أو ثلاثة من شبان المسلمين قد اندرجوا في قائمة المتنصرين الداخلين ضمن هذه الجمعية المسيحية • وعندما كنت أخترق قاعة المحاضرات متجهاً الى حجرتي في الطابق الثاني وحيثما تكون القاعة مشغولة بلاعبي التنس والكرة كنت أرى ناشئاً من بين اللاعبين يطيل النظر في وجهي ويرمي

الكرة من يده إذا رآني داخلا متجهاً الى حجرتي • فكنت أتعمَّد النظر إليه وأهزُّ رأسي أمامه مستفهماً • وفي أحد الأيام عندما كنت أمشي في أحد أسواق كولمبو التقيت به مع مجموعة من البنات المطابقات له في السن •• فسلَّم عليَّ وإذا بهؤلاء البنـات اللائي لـم تتجاوز أي واحدة منهن السادسة عشرة من العمر يرحِّبن بـي • وكانت عيونهن وشفاههنَّ كأنها تنطق بكلام وتعبِّر بجمل يستفهمن فيها عـن موقفي مـن أخيهن الذي يريد أن يتنصر • ووقفت معهـنَّ وصرت كأني أعرفهن فردة فردة • فسألتهنَّ عـن مدارسهن وعن شؤونهن كطالبات ثم علمت منهن أن هذا الشاب الناشيء هو أخ لواحدة وقريب للخمس الأخريات • وقد أنكرن عليه في أيامه الأخيرة إنجرافه وراء الاغراءات المالية البسيطة واستغربن منه كيف يحمل صليباً في رقبته •• وكيف قد ظهرت عليه آثـار الانحراف النفساني عندمـا تزلزلت فطرته الاسلامية •

فتوجهت إليه بالأسئلة وأخذت أستفهم منه عن أسباب تنصُّره وإذا به شاباً ساذَجاً حائراً لا يدري أين يذهب • ومن ساعة اللقاء نفسها نزع الصليب مـن رقبته وكسره أمامي وأخذ يكبِّر الله ويبكي ويقول : كيف ينقلب نصرانياً شابٌ مثلي قد ولد المئات من أجداده على فطرة الاسلام • وأخذتـه معي الى المطعم وانصرف البنات • وسألته عـن السبب الأول الذي أثَّر فيه • فأخذني الى الفندق وأشار

الى شاب مسلم كان مهاجراً الى استراليا وقد عاد من هناك متنصّراً يهاجم الاسلام ويسخر منه • وهو الذي قد استهوى صاحبنا هذا وأثّر فيه واتجه به الى هذه الجمعية لتنصيره • وعندما جنّ الليل وفرغ الشارع من الناس رأيت زمرة من الأشخاص في باب الفندق قد التفّوا حول شخص يحمل بيده عوداً وقد إنهمك بالعزف عليه وهو يغني باللغة الانجليزية • وعندما دنوت منه ، إذا به هو الشخص المقصود (المسلم) المتنصّر الذي أحبّ فتاة في استراليا واشترطت عليه أن يتنصّر لكي تتزوّجه • وقد أعطته قدراً من المال والمصرف • وعاد الى سيلان ليقوم بخدمة المبشّرين المسيحيين • فلما تحدّثت معه بغية إرشاده وإنقاذه من النفاق والرياء وسقوط النفس في حمأة التنصّر وجدته كريه الصفات جِلفاً ذا وجهين وقلبين ليس بصالح لأيّ دين من الأديان •

وحينما التقيت بواحد من عائلته بادرني بكلام مفصّل حوله وشرح لي ترجمة حياته وقال : إنه من شذّاذ المسلمين • والمبشرين المسيحيون في سيلان لم يتمكنوا في كل ما بذلوا من المجهودات المادية والمعنوية وفي كل ما أنفقوا من أموال الأمريكان واليهود ، فلم يتمكنوا إلاّ من تنصير نفر قليل من حقراء المسلمين وفاسدي القلوب أمثال قريبهم هذا الذي طردته عائلته وبرئت منه • وخلال كلامي حول هذا الرجل المتنصّر بلسانه لا بقلبه إنتبهت الى شاب أخر من الذين جرفهم الجوع والفقر وألقى بهم اليُتم وفقدان المعيل في

كنائس المبشّرين الاستعماريّين الدجّالين • فقد عرفت هذا الشاب ملتهب الحس كثير الحركة وكان يلحّ بالأسئلة حول الاسلام • وقد فوجئت به في مطار كولمبو والصليب يتدلّى من عنقه • فقلت له : أين حماسك في سبيل الثورة الفلسطينية ؟ •• وأين دينك الاسلامي ؟ •• ومن أقنعك بأن تتقلّد الصليب ؟ • فأجابني بكلام بذيء يشتم به المسلمين في سيلان ويسخر منهم • وعندما سألته : هل أنت متنصّر ؟ قال : لا •• لا •• أنا أعدى عدوٍّ للمبشّرين المسيحيين •• ثم أخرج مبلغاً من المال من جيبه ، وقال : أنا رجل يتيم ليس لي عائلة وقد مات أبواي من زمان بعيد •• ولم يشفق عليّ المسلمون • فساعدني هذا الألماني (الغربي) بمبلغ كبير من المال • وقد تعهّد له بأن ينقله الى ألمانيا • وفعلا • إن هذا الشاب المسلم الذي اسمه (نسطار) قد انتقل مع صديقه الألماني الى ألمانيا الغربية • ومن هناك أخذ يكتب الرسائل الطوال في شتم المبشّرين المسيحيين وفضح أساليبهم التي يخدمون بها الصهيونية ويخطّطون لمحو الدين الاسلامي والقضاء على العرب •

لقد استرسلت في الكلام عن هذا الشاب والذي قبله بدافع شعوريٍّ خاص • وقد كنت متألماً وهائج النفس ولكني قد اكتفيت بلمعةمن الكلام حول (نسطار) هذا الشاب المسلم البائس الذي هو واحد" من ألوف الشباب السيلانيين المشرّدين الضائعين المهددين بالسقوط في كنائس التبشير

الاستعماري • أو في أحضان الحركات السياسية المعادية للاسلام •

إن (نسطاراً) والذين يشبهونه بالتشرد والفاقة قد كانوا ضحايا لاهمال المسلمين واستخفافهم ببعضهم بعضاً •

المنظمات التبشيرية الاستعمارية في سيلان ، والهند ، وباكستان ، واندونيسيا وسائر بلاد المسلمين تتبع مناهج دقيقة وطرقاً مؤثرة في جلب الناشئة والسيطرة عليهم • فانهم يتودّدون الى الفتى أو الفتاة أولا بالصداقة الشخصية عن طريق واحد من المسلمين متنصّر أو واحدة من المسلمات متنصّرة ثم يقدّمون للفتى المساعدات المالية والألبسة والهدايا وصور بعض البنات الجميلات • كل ذلك يجري ويرتّب ويعدّ بصورة تدريجية تُراعى فيها نوازع الشباب الروحية والمزاجية • وعلى ضوء الحالة المعاشية للفتى أو الفتاة • وبعد دراسة سلوكه وميوله أو دراسة سلوكها وميولها تبدأ الأساليب الجهنّمية في مرحلة الاغراء والاثارات العاطفية ـ بدعوته أو بدعوتها ـ الى حفلات الرقص المختلطة والى المشاركة بالرحلات التي تجمع البنين والبنات • ثم يتدرّجون بعرض ديانتهم عليه أو عليها خطوة خطوة ورويداً رويداً • وهو في كل ذلك مذهول لما يرى ويسمع ومأخوذ مسحور بما يحسّ ويلمس حتى ينفذ التأثير في قلبه ويستولي عليه الاعجاب بدعوة الارساليات التبشيرية المسيحية الاستعمارية •• ويعتقد بنزاهة المبشّرين

وإخلاصهم . فهـو كالأعمى وكالأصم ، لكنه منبهر القلب لاناقة الطالبات المتدربات في مدارس هـذه الارساليات ، وخاضع لتأثير الشعور بلـذة الاختلاط في حفلات الرقص بأعياد الميلاد وغيره . وعندمـا يلين ملمسه ويسهل قياده ويمد رقبته ، حينئذ ، يسفُل ويهوي على الأرض عندما يطلبون منـه .. للمجاملـة ومسايرة أصدقائـه الشباب المتنصّرين .. أن يعلق الصليب على عنقه . وبعد هذا يعلن المبشرون الاستعماريون فرحهم بصيدهم الجديد الذي قنصوه كما يقنص الطير المهيض الجناح بين مخالب الكواسر من الطيور .

وأنا أختم هـذا الفصل الذي حذفت نصفه المقدّر أن يكون مطبوعاً في هذا الكتاب ومكمّلا لهذا البحث . لا بد أن أقول إن الراهبة (كوليت) قد استأثرت باهتمامي الفكري بأقوالها وتقديراتها مـن بين عموم المدرّسين والمدرّسات الذين التقيتهم في هـذه المعاهد . ولكني قـد علمت أن الراهبة (كوليت) وجميـع الراهبات والرهبان والمعلّمين والمعلّمات في هذه المدارس .. أنهم كلهم يجهلون الاسلام جهلا تاماً . ولـم يفهموا نظرة الاسلام الواقعية الى السيد المسيح (ع) . ولم يطّلع هؤلاء جميعاً إلاّ على الكتب المؤلفة من قبل المستشرقين ورسل الاستعمار الغربي مـن كتّاب المسيحية المحرّفة . عرفت هذا في كل مدرسة من المدارس التي زرتها . وأدركت جهل القوم بالقرآن وبالاسلام ..

عندما قالت لي الراهبة (كوليت) : إنكم ـ معاشر المسلمين ـ تعتقدون أن المسيح روح الله ٠ وفي ذلك اقتراب واضح من الديانة المسيحية وتقرير لما نعتقد ونرى في (عيسى بن مريم) ٠ فعرفت ما ترمي إليه ٠ فهي تريد أن تقول وتتساءل: ما الفرق بين أن يكون المسيح هو الله أو هو روح الله ٠ وأدركت أنها قد اطّلعت على (ترجمة معنى) قول الله تعالى ـ إنما المسيحُ عيسى بنُ مريَم رسولُ اللهِ وكلمتُه ألقاها الى مريَم وروحٌ منْهُ ـ وفهمت أنها لم تصل الى المعنى المعروف من كلمة (روح) الواردة في هذه الآية ٠ ولم تترجم لها هذه الكلمة (روح) حسب مدلولها اللغوي عند العرب ٠ وحسب نصوص التفاسير القرآنية المطابقة لمأثور اللسان العربي ٠ فقلت لها : أريد أن أفهمك عقيدة المسلمين بالمسيح عيسى بن مريم (ع) ٠ نحن نعتقد أنه بشر من بني آدم ، وأنه من ذرية إبراهيم على الأخص ، وهو عبدالله مخلوق بقدرة الله ٠ وقد وجد في بطن مريم وولد بكلمة واحدة من الله هي : كن فيكون ٠ فسأل أحد الواقفين عن الغاية من الفعل المضارع (فيكون) ، فقلت : إن الفعل الماضي هنا قد ورد بصيغة المضارع في هذه الجملة ، وذلك معروف عند العرب ، وهو من آثار العرب وسننهم البيانية وفذلكات كلامهم ٠ فعيسى بن مريم موجود بأمر الله وبارادته ٠ وقد خلقه الله بهذه الكلمة المتضمّنة للايجاد والارادة والأمر الالهي ٠ أما معنى ـ روح منه ـ في هذه الآية ، أي : هو ذو روح مخلوقة من أمر الله وإرادته كما

خلقت جميع الأرواح والموجودات والأشياء عموماً • فكل الحقائق في الكون مستحدثة ومسبوقة بالعدم • وكل ذلك بأمر من الله • وكذلك عيسى بن مريم فهو بشر" ذو روح خُلق بأمر الله • ولهذه الآية مصاديق واستدلالات لغوية من الآيات الأخرى « وسخَّر لكم ما في السَّموات وما في الأرض جميعاً منه » ، أي من أمره ومشيئته وحده لا شريك له • والقرآن ينفي نفياً قاطعاً إتصاف المسيح بالقدميَّة وينزّهه عن ادعاء الألوهية • ويقول علماء الاسلام إن القصد من ـ وروح منه ـ هو إرادة التمييز والتخصيص والتشريف لمقام المسيح (ع) • وان هـذا مـن معجزات العربية وأصولها البيانية • وقد أريد بذلك ـ حسب ما قرَّر كبار العلماء ـ الاضافة والصفات المضافة ـ كما ذكرنا ـ وتوضيح ذلك في كتب التفسير وكتب العقائد ، فان الصفات نوعان : صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة والسمع والبصر ، هذه هي الصفات المضافة الى الموصوف بها ، فالعلم والقدرة والارادة والحياة صفات الله غير المخلوقة ، وكذا الصفات الخبرية والذاتية والفعلية فهي صفات الله القديمة قد أضيفت إليه • أما النوع الثاني من الصفات فهو إضافة الأسماء العينية الى الله سبحانه وتعالى مثل : بيت الله ، وناقة الله ، وعبدالله ، ورسول الله ، وروح الله التي وصف بها المسيح • فكل هذه الاضافات العينية هي تعابير مجازيـة وتركيبات لغوية قصد منها تشريف هـذه الأشياء العينية والأماكن والمخلوقات • فليس لله بيت خاص ولا ناقة خاصة

ولا عبد خاص إنما هذا كله حمل إضافي اقتضاه التكريم والتحسين ٠

وتفسير ذلك واضح" ٠٠ فروح المسيح ووجودُه وخِلْقته ٠ كل ذلك حادث" مسبوق بالعدم مثل جملة المخلوقات التي أضيفت الى الله خالقها ٠ ولكن بعض المخلوقات لها معنى خاص من التفضيل وعلو الشأن ، كبيت الله ورسول الله وناقة الله وروح الله ٠ كل هذه الأشياء بالنسبة الى مدلولها الاضافي فانها ذات معنى واحد ٠ ولا شك أن الجميع مخلوقات لله ومحدثات بقدرته ٠ نعم ٠ إن هذا النوع من الاضافات تشريفي وإكرامي وتوكيدي بالقول واللفظ لأنه مسند ومحمول ومضاف الى الله سبحانه وتعالى لطلب رحمته ومحبته ٠ وهذه الاضافات الخاصة كما هو معلوم ، تستدعي الاختيار والتكريم ٠ فالله يخلق ما يشاء ويختار ، وقد أضيفت الروح الى الله بهذا المعنى ، أي بالمعنى الخصوصي المختار وليس من قبيل الاضافات العامة ٠ ولا تدخل في إضافة صفات الله الذاتية إليه ٠ وبهذه النظرة الاسلامية فان المسيح (ع) عند جميع المسلمين رسول الله ومخلوق" من أمر الله ٠ والروح في هذا المعنى صادر" من أمر الله ومن فعله وتدبيره ٠ هذا هو كلام العلماء من أهل الاسلام ، فقد جاشت به صدورهم تنزيهاً للسيد المسيح (ع) عن صفات الاشراك في ألوهية الله وربوبيته وقِدميَّته ٠

وقد فهمت الراهبة كلماتي المختصرة وشعرت بدقة التفاسير الاسلامية للنص القرآني ، وعلمت بالاحتياط الفكري الاستدلالي الذي يدعم المسلمون به مدلولات كلامهم المطلوب في بيان آيات القرآن وتوضيح مفرداته . فتلوت عليها الآية الكريمة المقصودة كلها ـ من سورة المائدة ـ يا أهلَ الكتاب لا تغلُو في دينِكم ولا تقولوا على اللهِ إلاَّ الحق إنما المسيحُ عيسى بنُ مريَم رسولُ الله وكلمتُه ألقاها الى مريَم وروحٌ منه فآمنوا باللّه ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهُوا خيراً لكم إنما اللهُ الهٌ واحدٌ سبحانه أن يكون لهُ ولدٌ لهُ ما في السموات وما في الأرض وكفى باللّه وكيلا » .

فالمسيح هنا ليس ابن الله ولا هو ثالث ثلاثة كما يزعم المشركون ، بل هو رسول الله وكلمته أي أمره أوصله الى مريَم . وروحٌ منه ، أي ذو روح من أمره . وقد أضيف إليه تقديراً له وتكريماً ـ كما ذكرنا ـ لا كما يزعم محرِّفو الانجيل ومبدِّلوه أنه ابن الله أو الاله التام أو ثالث ثلاثة .

نعم .. ان كل ذي روح لا بد أن يكون محدثاً ومركباً من أجزاء في حياته وجسمه وعناصره ، والذات الالهية منزهةٌ عن ذلك . هذه الحقائق يؤمن بها كل مسلم ويعتقد بصوابها كل ذي عقل .

وهذه هي نظرتنا الايمانية الى السيد المسيح (ع) . أما رأي المسلمين في الأناجيل الأربعة أو الخمسة (زائداً

إنجيل بارنابا) فان كل مسلم من كل مذهب من المذاهب الاسلامية قد آمن واعتقد بأن التوراة والانجيل (أو الأناجيل) الموجودة الآن ، هي كتب" موضوعة" وأقوال" كتبها اليهود والنصارى بأيديهم وقالوا هي من عند الله • ولقد دخل كعب الأحبار على الفاروق عمر رضي الله عنه • وكان كعب يحمل بيده التوراة والانجيل يريد أن يقدّمهما الى الخليفة الفاروق • فقال كعب : هاتان التوراة والانجيل يا أمير المؤمنين • فأجابه الخليفة الفاروق : لو كنت أعرف أنهما التوراة والانجيل حقاً لقرأتهما •

هذه هي نظرة المسلمين التاريخية الواقعية الى تاريخ الكتب السماوية عامة وما أصابها من التغيير والمسخ • ولذلك فاني أعتقد أن الكتب التي وزعت في هذه السنين من قبل الارساليات الأمريكية التبشيرية الاستعمارية في بلاد العرب ، والتي كان أولها كتاب « القرآن دعوة نصرانية » تأليف الأستاذ الحداد • إن هذه الكتب لم تؤثّر في المسلمين • ولقد ذهبت هباء الجهود القلمية والفكرية التي بذلت فيها من أجل المقارنة بين الأناجيل والقرآن • فلقد كدّ هؤلاء القوم أذهانهم وأخذوا عليها الأجور الضخمة من الأمريكان والصهيونية فلم ينالوا من القرآن شيئاً •

حديث عراقي في ميناء كولمبو

جاءني ثلاثة شبان من الطلاب الذين كانوا يرافقونني في بعض الزيارات والتنقلات : نظمي محمد نزار ، وعبد الحكيم محمد ، وشهود محمد •• وقد كانوا فرحين يطفح السرور من قلوبهم وعلى وجوههم وكانوا يتسابقون على تقديم (البشارة) إلي . في أي شيء ؟ فقد نطقوا بلسان واحد وبصوت جهير كأنهم ينقلون نبأ خطيراً قد سمعوه : إن الباخرة العراقية (السندباد) قد وصلت كولمبو •• وإنهم قد جاءوا ليخبروني بذلك لأنهم متشوّقون الى رؤية اخوانهم العرب • وأن الكثيرين من رفاقهم وأصدقائهم قد استبشروا بوصول هذه الباخرة العراقية • وقد طلبوا مني الذهاب معهم الى الباخرة وأن أسأل ربانها « السيد خالد محمد جابر الأسدي » بأن يسمح لهم بالتجول فيها والاطّلاع عليها والتعرّف على الملاحين والقائمين على قيادتها • ومع أني لم اشعر بأهمية هذه الباخرة كما شعر هؤلاء الشبان ولم أكترث لها ، إلاّ اني قد استجبت لهم وصحبتهم معي وأريتهم إياها وعرّفتهم على بعض العراقيين • فرأيت هؤلاء الفتيان المسلمين يُقبلون على العراقيين بفرح لا حدّ له واعتزاز يفوق الوصف • وكانوا يتودّدون للعراقيين ويلاطفونهم ويسألونهم عن بغداد وعن المساجد والجامعات وعن التاريخ الاسلامي وعن الجيوش العربية والاسلامية • لأن اسم بغداد راسخٌ رسوخاً تاريخياً في قلوب هؤلاء الناس وفي أذهانهم وفي

عقولهم • فعندما يسمعون بالعراق أو يسمعون باسم بغداد تندفق في أفكارهم صور المجد الاسلامي وتشخص أمام بصائرهم معالم القوة والسؤدد والتفوق الروحي والعسكري والعلمي في حضارة القرون العربية الاسلامية النيِّرة • ولا شك أن في أفكار المسلمين السيلانيين وفي أخيلتهم وفيما علموه من كتب التاريخ وفي المنقول والمسموع من ذكريات آبائهم وأجدادهم ، وفي الأثر المكتوب بين يدي وجودهم التاريخي في هذه الجزيرة ذكريات عميقة ومثلا عالية ونماذج فريدة من أسماء البطولات والقيادات البارزة في فتوح الاسلام وصفحات يحفظها الكبار والصغار عن عباقرة العلم والفقه والتفسير وفنون العربية والحكمة التي حواها تاريخ بغداد وتمثّلت في تلك الأمة العربية والاسلامية الواحدة التي أزهرت بها الأرض وتنوّرت الدنيا •

في صباح يوم ٩ شعبان ١٣٩٣هـ ــ الموافق ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م جاءني الأخ السيد بشير الطالب ــ السفير العراقي في سيلان ــ وكان معه الأمين الأول للسفارة الأستاذ عوني بكر صدقي ، والأخوان أعضاء السفارة الآخرون • وقال لي : إنك ستلقى وجوهاً عربية من اخوانك وقلوباً صافية من الرافدين على ظهر الباخرة • وسيكون هذا اللقاء عامراً بالأخوة والأدب والأحاديث التاريخية والذكريات الاسلامية في هذه البلاد •

لقد كنت أتحدّث مع الاخوان متجذباً باصغائهم إليّ وتجاوبهم ومناقشاتهم ومتابعتهم للكلام في تاريخ العرب . وعندما انكشف الغطاء عن حوض الدم الكبير في تاريخ بغداد منذ بناها الخليفة المنصور ، وحينما أخذت أشير الى الرؤوس المهشّمة والعظام المحطّمة على مسرح العداوات والخصومات العامة والخاصة . وفي ساحات الانتقام إبتداء بالنطع وانتهاء بحبال السحل . وعندما احترق قلبي في صدري واشتعلت النار في الكلمات ، تدخّل السفير وأخذ يتلطّف ويداعب لينتقل بنا الى موضوع آخر حول سيلان ومناخها وأشجارها وعن دخول الاسلام فيها .

وقد وجدت ذلك حقاً . فان العراقيين إذا اجتمعوا بعد فرقة ، والتأم شملهم بعد تصدّع ، فسوف يخجل بعضهم من بعض . حتى إننا لنشعر ونحسّ بأن الذكريات الملوّثة بالغدر والكذب والتمثيل بالموتى إذا جرت على ألسننا وتحرّكت بها أفواهنا أو سمعناها من غيرنا ، حينئذ ، فان من الواجب علينا أن نتوارى عن عيون الناس خجلا وغيظاً وحنقاً وتأسفاً ، ثم نتلمّس ثيابنا فاذا بنا من شدّة الصلف وقبح الفعال وتزوير المنطق بعضنا ضد بعض ، كأننا من قلة الحياء ، عراةٌ بلا ثياب على قارعات الطرق وأمام البشر من كل جنس .

إن ربّان الباخرة وأكثر العاملين فيها قد كانوا يعرفونني معرفة تامّة ، ويعلمون بغيبتي الطويلة عن العراق . وقد

شعرت بأنهم يرغبون في أن أحدثهم عن آثار الاغتراب في نفسي وعن الذكريات العزيزة التي تكبر في روح المرء وتنمو وتتأشب في العقل وتنوص في الروح فلا يمكن أن تزول وأن تضعف وتصغر مهما خسفت الأرض ومهما انكسف نور الشمس ٠ وفي بعض المحن والمصائب يتجدد قلب الانسان بالمدد الالهي والرحمة الرضوانية فيشعر المرء حينئذ معتقداً بأن كل أحوال الموجودات وحركاتها راجعة الى حول الله وقوته ٠

فابتدأ السفير حديثه عن المسلمين في سيلان والمجتمع السيلاني وعن التبادل التجاري بين العراق والخليج العربي وحضرموت من جهة ، وبين سيلان في العصور القديمة ٠ ولكن الحديث قد اتجهت كلماته وتفرقت مناحيه فتكلمنا عن ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني وعن شعلان أبو الجون الذي أشعل نيران الثورة في الرميثة ، وعن ضاري المحمود قاتل (لجمن) القائد البريطاني ٠ وتحدثنا عن جيشنا وهو يحارب الانجليز في ثورة مايس عام ١٩٤١م ٠ وذكرنا شهداءنا واخواننا الذين قتلهم الانجليز وأعدموهم في هذه الثورة ٠ ثم دار بنا الكلام دورته حول خطر الأقليات في العراق وبالأخص الأقليات المسيحية غير العربية ـ فقلت إن هذه الأقليات الدينية بكل طوائفها وأفرادها فهي من القلة وضآلة الشأن في العراق بحيث لا تساوي نفوسها جميعها في العد والحساب قبيلة واحدة من قبائل عرب

الموصل • وقلت : اننا لا نخاف من خطر هذه الأقليات المسيحيَّة • ونبَّهت الاخوان الى أن العرب الأقحاح في العراق يزيد عددهم على اثني عشر مليوناً •• وقلت أيضاً : إن اخواننا الأكراد منحدرون من أصول عربية(١) ـ وقد اتفق على ذلك جميع المؤرخين المسلمين والعلماء المسلمين الأكراد أنفسهم ـ قبل (الفتنة الانفصالية) • ولا يستطيع الانسان المعاند أن يغالط إلاّ بالكذب والاعتماد على ما كتبه المستعمرون المفرّقون الداعون الى تمزيق الجسم الواحد وتقسيم الروح الواحدة ـ العرب والأكراد ـ فبين أيدينا الكثير من المصادر المتينة الدلالة على النسب العربي للأغلب الأعظم من اخواننا الأكراد • يضاف الى ذلك وضوحُ الأنساب العربية فيما كتبه التاريخ عن السادة (البرزنجية) وعن أمراء الأكراد وعلمائهم العظام العريقين في أصولهم العربية • والسند التاريخي الثابت هنا محقَّق" فيما كتبه المسعودي حول أصل الأكراد لا في الذي يكتبه الحزبيون المغرضون الداعون الى تقسيم العراق وتمزيقه مستندين على أقوال المستشرقين ومعتمدين المصادر الاستعمارية المعادية للمسلمين •

ومردّدين اسطورة ـ كاوه ـ وخرافة ـ الكوتيِّين ـ الذين جعل لهمُ وضَّاع (التاريخ الكردي الحديث) عاصمة

---

(١) مروج الذهب ، للمسعودي ـ ج ٢ ـ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ •

(٢) نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، تأليف شمس الدين أبي عبدالله الأنصاري الدمشقي • ص ٢٥٤ •

(٣) الأكراد في نظر العلم ، للدكتور محمد رشيد الفيل •

خيالية سموها ـ أرانجا ـ واخترعوا لها مكاناً قرب مدينة كرلوك العربية العراقية الاسلامية التي كانت ارضها وجبالها موطناً للعرب منذ خمسة عشر الف عاماً وغلفوا التاريخ ـ الكردي ـ أيضاً باسماء وكلمات لا واقع لها ولا مدلول لا في التاريخ القديم ولا في التاريخ الاسلامي . مثل كلمة ـ كاردو . وكلمة ـ كردستان ـ والنوروز . والزردشتية . الخ ... وقد اراد احد العراقيين أن نتوسَّع في الكلام عن الاقليّات المسيحية الوافدة الى العراق وتساءل عن الارمن والنسطوريين الذين سماهم المستعمرون والمستشرقون بالآشوريين . وتساءلنا جميعاً : من الذي فرض علينا هؤلاء الغرباء بأن نسمّي لهم حقوقاً قومية في أرض الآباء والأجداد؟ وكيف نعترف بهؤلاء ونخضع لمشيئة الصليبية ودول الاستعمار فنمهّد لهم ـ باذاعاتنا وجرائدنا ـ لكي تقوم لهم كيانات قومية صليبية على أرضنا ؟

إن الأرمن والنسطوريين (المسمَّين بالآشوريين) قد فرضهم علينا الانجليز فرضاً عام ١٩١٨م ، عندما كانت أرض العراق تحت الاحتلال البريطاني . ولا شك أن هؤلاء النسطوريين (المسمَّين بالآشوريين) هم فرقة مسيحية نسطورية معلومة النسبة الى الكنيسة النسطورية التي كوّنها (نسطوريوس) بطريرك القسطنطينية ، في أوائل القرن الرابع الميلادي . وقال فيها : ان مريم العذراء ليست أم الاله ـ كما يزعمون ـ بل هي أم المسيح الذي له

«أقنومان» أي مظهران أو شخصيتان ، وليس ثلاثة أقانيم : الأب والابن وروح القدس • فالنساطرة الموجودون عندنا والذين استخدمهم الانجليز ضد أهل العراق ليسوا من سلالة الآشوريين قطعاً • وتسميتهم (آشوريين) هي غاية إنجليزية استعمارية وهدف تخريبي مقصود لتقسيم أرض العراق • إذ لم يكن هؤلاء آشوريين ، وليس بينهم وبين تلك الأمة البائدة أي ارتباط عنصري أو تاريخي[1] • ولا مرية أن النسطوريّة انتماء" ديني منطبق" على طوائف مختلفة الأصول من أتباع الكنيسة النسطورية ولم تكن انتساباً قومياً حتى يتحدّث المتحدّثون عن علاقتها بتاريخ آشور • فالنسطوريون هؤلاء فئات" من المسيحيين جلبهم الانجليز ليكونوا خَدَماً للجيش البريطاني في العراق • ولا زلنا نتذكّر تلك (الريشات) التي كانت تنسّم فوق خوذ النسطوريين أيام جنّدهم الانجليز وساقوهم يقتلون أهل العراق ويمثّلون بالأموات ويعتدون على الأسرى انتقاماً وحقداً •

وفرق بعيد بين الأقلية التي تلجأ الى أمة من الأمم لكسب العيش وطلب الأمان والمساعدات الانسانية وبين الأقلية المسلحة الغازية الصليبية المتحركة بأوامر الجيش البريطاني تنهب وتدمّر وتعيث فساداً •

---

(١) راجع تاريخ العراق السياسي – للحسني – ج ٣ – ص ٢٨٠ •

مرقس وداود[1] ، راهبان نسطوريان تحرَّكا من قبرص الى ديار المغول ليحرِّضا (هولاكو) على التخريب والفتك وإفناء العرب والمسلمين . مرقس وداود ، هذان القسَّان أو الراهبان ، هما اللذان استطاعا أن يجمعا الأرمن والكَرج والنساطرة واليعاقبة وكل الفرق والجماعات المسيحية الصليبية الغربية في جيش (هولاكو) الذي أزال الوجود العربي والاسلامي من خوارزم وسمرقند حتى بغداد . فلقد اجتمع من هؤلاء النسطوريين والأرمن جيش عظيم كان يرقص رجاله خلف (هولاكو) على جثث العلماء وفوق صدور الفقهاء . وقد استباحوا كبريات المدن الاسلامية وأبادوا سكانها . لقد كان أبرز القادة في جيش (هولاكو) الذي اجتاح بغداد وهدمها وأحرقها وقتل أكثر من فيها في ٩ صفر ٦٥٥هـ ـ الموافق ١٥ شباط (فبراير) ١٢٥٨م ، هم القادة النسطوريون (أجداد هؤلاء المسمَّين بالآشوريين) ، وعلى رأسهم كبيرهم والذي يفتخر به النسطوريون دائماً في العراق هو القائد النسطوري (كتبغا) الذي كان ظامئاً عطشان على دماء العرب والمسلمين عموماً . فان جيش (هولاكو) كله كان يتحرك ويهاجم بأمر النساطرة والأرمن . وكان المغول كالوحوش الكاسرة والبهائم العمياء يندفعون بتوجيهات (طغز خاتون) المسيحية النسطورية التي كانت من أشدّ المحرِّضين على القتل الجماعي وقطع الرؤوس وإباحة

---

(١) راجع : مجلة «العربي» الكويتية ـ العدد ١٥١ ـ سنة ١٣٩١هـ ـ الموافق ١٩٧١م .

الأعراض وحرق الكتب . إن الهجوم المغولي قد كان هجوماً صليبياً نسطورياً . فلولا النسطوريون (الآثوريون) والأرمن، لما سقطت الدولة العربية الاسلامية ، ولما أبيد جنود الاسلام والأمة كلها فيما وراء النهر وخراسان وايران والعراق . ولولا النسطوريون والأرمن لما انطفأ نور الحياة في كل بيت من عاصمة الدولة العباسية : بغداد .

إن هذه الأقليات في العراق : الأرمن والنسطوريين ، الذين يسمّيهم الاستعمار الآشوريين[1] ، لتشبه الزلزال الموقّت الذي ينفجر في ميقاته المحسوب عندما تنفطر الأرض ويقذف بنيران الموت وحجارة الخراب المسجورة . فهؤلاء جند" احتياطي" للغرب الصليبي وللدول المستعمرة يهيئونهم ويجنّدونهم لليوم الذي أتوا بهم الى العراق من أجله ، وللساعات التي ادّخروهم لها من ضرب جيش العراق والتآمر عليه وتعزيز الدعوات المعادية للوحدة العربية ، وتأسيس دولة صليبية في شمال العراق .

هكذا يتحدّث تاريخنا عن النسطوريين هؤلاء الذين شفوا غليل نفوسهم وأدركوا ثاراتهم بعد اندحارهم في

---

(١) أشور : اسم صنم كان معبوداً سميت به هذه الأمة . راجع مجلة «المعرض» البغدادية ، العدد ١٢٢ ـ الجزء الأول ، الصادر في بغداد ـ جمادى الآخر ١٣٤٤هـ ـ الموافق كانون ثاني ١٩٢٦م .

وعند ابن خلدون ـ ص ١٣١ ـ ج ٢ ـ من تاريخه . أن أشور هو ابن راثف بن الموصل .

الحملات الصليبية . فعقدوا ذلك المؤتمر الصليبي المشهور في قبرص ، وعلى إثره توجه الراهبان النسطوريان مرقس وداود ، للاستنجاد بهولاكو وتجنيد الأمة المسيحية كلها معه لافناء العرب وقتل المسلمين عموماً والأخذ بثارات الصليبية المندحرة في ديار الشام .

إن بقايا هؤلاء النساطرة هم الذين نسمّيهم الآن ـ كذباً وجبناً ونفاقاً ـ بالآشوريين . الذين انخدعنا بهم وكأنا لم نرَ أجدادهم ولم نشهد سيوفهم في الجيوش الصليبية وفي عساكر هولاكو حتى رأتهم بغداد مرة أخرى جنوداً محاربين يتراكضون بين أيدي الضباط الانجليز كما تراكض أجدادهم على ميمنة (هولاكو) وميسرته كأنهم كلاب الصيد ينهشون أجسام القتلى في ثورة العشرين ويتواثبون على سور النجف في حصار النجف بثورتها المشهورة عام ١٩١٩م .

اجل ! لقد نسينا أعداءنا . نسينا أدلاّء (هولاكو) وعيونه والسيوف المسلولة التي كانت تقطر من دمائنا والرماح المهزوزة التي كانت مركوزة في صدور الفقهاء والعلماء وأهل القرآن . حتى صحونا على النسطوريين (أي الذين نسمّيهم الآن آشوريين) غزاة (فاتحين) مع الجيش البريطاني عام ١٩٤١م يهتكون الحرمات ويجهزون على الجرحى ويقتلون العزّل عند حصار الفلّوجة[1] في

(١) الفلوجة : مدينة عراقية قريبة من قاعدة الحبانية التي زحف منها الانجليز لاحتلال بغداد في ثورة العراق التي قادها المرحوم الأستاذ رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م .

مايس ١٩٤١م • فقد كان هؤلاء النساطرة جلاوزة ومسخرين وأدوات للانتقام جنَّدهم الانجليز وألبسوهم خُوَذاً خاصة تحمل علامة الحروب الصليبية • وما كانوا يتقيَّدون بنزعة إنسانية ولا يردعهم أي رادع عن قتل الجرحى من الجنود وبقر بطونهم • فما كانت قلوبهم الكافرة القاسية تعرف الشكر والوفاء والرأفة بأهل العراق الذين آووهم وأطعموهم وأشبعوهم وأعطوهم الأراضي وأنزلوهم منازل الأمان • فكان الجزاء أن يقتلوا الأسرى ويمزقوا بطون الجرحى من الجنود في حصار الفلوجة •

هذه حقائق يجب أن نقولها ونعلنها وندرِّسها في المدارس بالعراق وبالعالم العربي • إن هذه الأقليات هي مكامن للحركات الصليبية القادمة وركائز للتحرُّك الجديد الهادف تقسيم العراق وتمزيقه تحت شعار (حقوق الأقليات القومية) •

نحن لا ننسى أن النساطرة هؤلاء قد طلبوا من الانجليز بعرائض عديدة إدامة السيطرة البريطانية على العراق والاستمرار في الانتداب[١] الانجليزي على أهل العراق الى آخر الزمان • وقد ذهب رؤساؤهم يؤلبون العالم الصليبي ضد العراق آنذاك ويدعون الدول الأوربية لتنفيذ خططها في تدمير العراق وتقسيمه • وعندما دخل الانجليز العراق

---

(١) تاريخ العراق السياسي ، عبد الرزاق الحسني – ج ٣ – ص ٢٨٠ •

عام ١٩١٤م ، قد كانوا أول المتطوعين في الجيش البريطاني وأجرأ المرتزقة على سفك الدماء ومهاجمة المدن العراقية في الشمال والوسط والجنوب .

ونحن لا ننسى أيضاً أولئك النسطوريين المتعالين المتفاخرين عندما كانوا يقومون بأعمال الدوريات بعد فشل الثورة عام ١٩٤١م ، وكيف كانوا يشمخون بأنوفهم متباهين بخدمة الانجليز الذين رفعوهم وأعلوا مكاناتهم وأجلسوهم على أكتاف أبناء الوطن ليستأثروا بالامتيازات الخاصة وينعموا بفرص التعليم والبيوت المرفهة وتوقف عليهم الوظائف الكبيرة في السكك الحديد وشركة النفط وتختص بهم دون غيرهم الوظائف المهمة في أشغال الطيران المدني . يجب أن نكون حذرين فان الشبه قوي" بين هؤلاء وبين الأقليات الطفيلية المخربة في كل قطر عربي .

فليس من المفروض علينا أن نصمت الى الأبد وتخرس السنتنا ، صاغرين خانعين أمام هؤلاء وهم يتحدّثون ويؤلّفون الكتب عن انتسابهم الأسطوري الى الأمة الآشورية . فنقبل هذا الانتماء المزوّر ونؤمن بلغط هؤلاء ونصدق تصديق الأطفال والبلهاء كل ذلك على حساب أرضنا العربية . وهدماً في بنياننا الديني وضرباً لأمتنا ووحدتها من الصدر والظهر . فيأخذ بعض الكتّاب من قومنا يردّدون هذه المصطلحات الانجليزية الاستعمارية فيوهمون عقولهم ويكذبون على أمتهم

بأن النسطوريين الذين جلبتهم الحملة البريطانية(١) عام ١٩١٨م ، أمة آشوريَّة قد بعثت من الرمم وقامت من عالم الغيب وتراب القبور • فجاءت مع القوات العسكرية الانجليزية لتقيم لها وطناً وتؤسِّس دولة مسيحية لها في شمال العراق •

أريد أن أكرر مرَّة أخرى بأن هؤلاء النسطوريين ليسوا من سكان العراق العرب الأصليين ، وليست لهم علاقة أيضاً بالنصارى العرب الموجودين بالعراق من قديم الزمان • ومن الكذب والتجني والبهتان الشنيع أن نرضى بانتساب هؤلاء الى الآشوريين • فمن الواجب أن نستنفر جميع عروق أجسامنا ونشحذ كل إرادة فينا ونبذل العظم واللحم والدم والأرواح دون أصغر حجارة من أرضنا العربية الاسلامية • ويجب أن يعرف ذلك كل من له مصلحة مع هذه الأقليات • فليس من حق أي أحد منا أن يزوِّر التاريخ ويستهين بتراب الأرض الواحدة الموروثة من الآباء والأجداد ، فيتحدَّث عن حقوق قومية للأقليات مهما كان جنسها وخاصة الأقليات التي تمتد عروقها وتغوص أصولها في أعماق التاريخ الصليبي •

فمثلما انقطع نسل الأمم القديمة وغبرت عهودها ، فقد اندثرت أمة آشور أيضاً وانقرضت وانقطعت أسباب

(١) بدا الانجليز حملتهم على العراق في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م • وقد احتلوا بغداد في صباح يوم الأحد ١١ آذار ١٩١٧م •

وجودها ، كذلك من السفاهة والخبال أن يدّعي أي واحد في هذا الزمان بانتهاء نسبه الى ملوك آشور أو رعاياهم في القرون الغابرة أو الجاهلية الأولى . ويجب أن نقول للنساطرة الموجودين في العراق ، إن تسمية أبنائكم بأسماء آشورية منقولة من التاريخ القديم ومنسوخة من المتاحف لا يمكن أن يصحّ باتخاذه حجة تاريخية تلزم الآخرين بالتسليم لكم بانكم سلالة آشورية صحيحة الانتساب الى اولئك القوم المنحدرين من سلالات العرب الاوائل . وبعد .. فكيف تقبل العقول ادّعاءكم بأنكم ورثة (الآشوريين) وحفدتهم وأهل الحق في تجديد حكمهم ودولتهم في العراق !!

إن الانجليز قد أغمدوا النساطرة والأرمن كخناجر صليبية في أحشاء العراق وضللوا عقولنا برغم التاريخ والمنطق . وبعكس الحقائق الناطقة التي ترفض وجود (مار شمعون) وجماعته فوق أرضنا . فقد أخذنا نصغي ونهز رؤوسنا تصديقاً أمام تبجّح هؤلاء وادعائهم الباطل في الانتساب الى أمة آشور .

في عام ١٩١٨م ، قام الانجليز بنقل طوائف من النسطوريين . الطائفة الأولى مكوّنة من خمسة وعشرين ألفاً . فأحضروهم الى العراق مع القوات البريطانية وأسكنوهم في بعقوبة . ثم جنّدوهم في عسكر (الليفي (LEVI) — الجنود المرتزقة — وبعد ذلك درّبوهم وسلّحوهم ونقلوهم الى أطراف الموصل في شمال العراق وأوعزوا إليهم بالثورة

وأغروهم باقامة (دولة مسيحية) لهم في أرض العراق ليجعلوا منهم قاعدة ثابتة لحركة صليبية عامة . وليكونوا دعامة للوجود اليهودي في فلسطين فتمدّها بعد ذلك الدول الاستعمارية وتتعهد بحمايتها والمحافظة عليها .

لقد رفضت تركيا وإيران (حتى العالم المسيحي أيضاً) قبول النسطوريين كلاجئين . ولكن العراق قد ابتُلي بهم . فكان جزاء المعونة والرفد والايواء التنكّر للعراق وقتل المواطنين في كوكوك(1) والموصل والتطوّع في الجيش الانجليزي . ولكن ذلك كله مكتوب في التاريخ ومخزون في ذاكرة الجندي العراقي العربي والمسلم . وبشعور عربي إسلامي أدرك جيشنا خطرهم على مستقبل العراق فعاجل فتنتهم وهجم عليهم وافترس المحاربين منهم في يوم واحد من شهر آب عام ١٩٣٣م ، فجعل أحلامهم أثراً بعد عين ونكّس صلبانهم وأتى على بنيانهم من القواعد . وكانت ضربة يعربية إسلامية مكنها جيش العراق العروبي المسلم من رؤسهم على مرأى ومسمع من الجيش البريطاني الجاثم على صدر العراق يومذاك .. وعلى مشهد من أنصارهم ومحرّضيهم .

ولا بدّ الآن من الحذر المستمر من دسائس الصليبية الموتورة وأن نتفقد بالعيون والقلوب والسلاح كل شبر من

(1) كان الانكليز يحرضونهم على قتل الناس في كركوك تمهيداً لحركتهم ١٩٣٤م .

أرض الآباء والأجداد • ويجب أن ننبذ من عقولناكل ما يكتب عن هذه الأقليات بأقلام المستشرقين ودعاة الاستعمار • وليعلم العراقيون والعرب عامة بأن المناجاة والهمس والنجوى الخفيّة والاجتماعات السرية متصلة غير منقطعة بين هؤلاء النساطرة وبين دول الاستعمار الصليبي • ولهؤلاء القوم شعب" وفروع" وبرامج سياسية لا تزال تتحرك في دماغ (مار شمعون) وفي أدمغة خلفائه بعده •

أيها العراقيون •• أيها العرب •• أيها المسلمون : خذوا العبرة من تجمّع اليهود وكيف تدرّجوا الى إقامة إسرائيل في أرضنا • ثم احذروا وانظروا الى هذه الأقليات الصليبية وراقبوها واستعدوا لها • إن وجود الأرمن والنسطوريين في العراق هو أثر" من آثار الانتداب البريطاني وبقية" من مخلفات المجهود الحربي الانجليزي •• فلقد جلب الانجليز في أثناء حملتهم علينا أجناساً غريبة منكرة مناصبة للعرب والاسلام فرضوها علينا • وقد أرادوا أن يبدّلوا وجه العراق العربي المسلم ويطمسوا تاريخ الاسلام بكل وسيلة من وسائل التدمير والتهديم والافساد الخلقي • فلم يكن الخمر مباح البيع علناً قبل احتلال الانجليز للعراق • وما كان في العراق معامل لعصر الخمور وبيعها وتوزيعها • وما كان في كل المدن العراقية آنذاك ولا دكان واحد لبيع الخمر • ولكن أول عمل قام به الانجليز عندما احتلوا البصرة عام ١٩١٤م ، هو المسارعة الى فتح دكاكين الخمور وإباحة

البغاء جهرة في كبريات المدن العراقية وتأسيس الملاهي الليلية وقد استعانوا بالأقليات اليهودية والمسيحية لترويج هذه المفاسد وسخَّروا المبشرين المسيحيين للتخريب الفكري والتضليل الخلقي وإثارة الناس بعضهم ضد بعض بالطائفية المذهبية وغيرها ·

وهناك فرقٌ شاسع بين الدول الغافلة المتساهلة بحماية أراضيها والتي لا يتعمَّق أهلها في دراسة تاريخها فتعبث بها الأقليات وتمزِّق كياناتها وتقطِّعها أوصالا ·· وبين الدول الحذرة المرتقبة للأحداث والمفاجآت والكوارث والأخطار التي تنزلها الأقليات المستوردة بالمجتمعات والأمم المضيفة لها ·

ولهذا السبب فقد كان ـ منح النسطوريين والأرمن ـ الجنسية العراقية ـ عام ١٩٥٩م ـ عملا اجرامياً وعدواناً على تاريخ العراق ووحدة ترابه العربي الاسلامي · وتصرُّفاً ساذَجاً وعاطفة رخيصة هي البلاء دائماً وسبب التدهور في الخلق السياسي العراقي ·

وقد ذكرت لهؤلاء الشباب ما كتبه الأب انستاس الكرملي في مجلته ـ لغة العرب ـ ج ٢ ص ٥٧٩ ـ الصادرة في بغداد عام ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م ·

قال الكرملي :

فليس اليوم على الاراضي كلداني أو آشوري واحد صادق النسب ينتمي الى اولئك الكلدان الأقدمين فكيف

القولُ بوجود قوم يعرفون بهذا الاسم • لاجرم أن التاريخ يزيّف هذا القول بدون أن تعارضه حجة ثبت • هـ ١٠ •

وفي عام ١٩٦١م دخلت احدى الدوائر التابعة لوزارة النفط العراقية ببغداد لكي اسأل عن احد الاشخاص فأخبرني (الفراش) بأن الشخص المقصود قد طرد من عمله وقد حلَّ محله احد الآثوريين ــ بعد ان رقي الى درجة مدير ــ وبينما كنت اتحدث مع (الفراش) اذ اقبل المدير الآثوري ودخل مكتبه وما كاد يجلس حتى قرع الجرس فهرول اليه (الفراش) ملبياً • وما هي إلا بضع دقائق حتى رأيت (الفراش) يعدو وبيده حذاء (المدير الآثوري) • وكان يركض هنا وهناك باحثاً عن صباغ الاحذية • ثم سمعته ينادي الصباغ • تعال • تعال • اصبغ حذاء المدير • وعندما شعر بأني انظر اليه واتابع حركته بعيني وبقلبي التفت اليَّ لاهثاً مشمئزاً وهو يقول إنه حذاء هذا المدير ــ الآثوري ــ قد امرني أن احمله بيدي الى صباغ الأحذية • فقلت له ــ متجاهلا ــ إني لا اعرف الآثوريين فمن هم هؤلاء الآثوريون ! فهل اصبح منهم مدراء ورؤساء دوائر في العراق • فاستغرب (الفراش) كلامي وتجهّم واكفهّر وجهه • فقال • اسكت • عمي • إن دوائر الميناء في البصرة والسكك الحديد ووظائف المطارات المدنية وكل الأجهزة في الحبانيّة ومصفاة النفط في الدورة جميعها بيد الآثوريين يضاف الى ذلك ما يتميز به هؤلاء على عموم المواطنين من تهيئة جميع سبل التعليم العالي

تهم وتفضيل ابنائهم في كل الفرص العلميــة والدورات والبعثات الى (الخارج) • ثم قال : إن هذا كله وغيره مفروض على العراق من ايام الحكم البريطاني ومشروط على امثالي أيضاً ان نخدم الآثوريين والأرمن وأن نصبغ احذيتهم !!

فقلت له • ولكنك من قبائل العراق • فقال • أوه • ما هذا الكلام • نحن عشائر العراق الآن ــ وخاصة نحن الأميين ــ فاننا بين (فراش) وحارس • وخادم واقفين على ابواب الأرمن والآثوريين نحمل اولادهم على اذرعنا ونسقي حدائــق بيوتهم وننقل اولادهــم الى المدارس بالسيارات الحكومية المخصصة لهم • ونأخذ احذيتهم الى الصباغين ثم نعيدها فنصفها امام اقدامهم اكراماً وتعظيماً •

فسألته من اي قبائل العراق انت ؟ فاجاب أنه من قبيلة الجبور • ثم اقترب مني وكأنه يريد أن يبكي واخذ يهز يده قائلا • اسمع • اسمع • اريد منك ان تسمع قصتي وان تنظر كيف دار عليَّ الزمان • وكيف فعلت بي صروف الليالي والأيام لقد مات والدي وانا طفل رضيع • اما جدّي فانه قد كان شرطيّاً يقوم بحماية الوطن في احــد المخافر العراقية على نهر الزاب ــ ١٩٣٤م ــ فهاجم الآثوريون ذلك المخفر وقتلوا الشرطة الموجودين فيه • وقاتل جدي قتالا مجيداً فلما ظفر به الآثوريون جريحاً اخذوا سلاحه وسلبوه ثم نقلوه معهم الى الكنيسة ومثلوا به وقطّعوا لحمه

ووزعوه على كلابهم ورمَوا برأسه على كلب ـ مارشمعون ـ قائدهـم ورئيسهم (الروحي) ودمعت عينـاه • وانتصب غاضباً • وهو يقول اي نعم • لقد دار الزمان علينا ـ نحن ابناء الشهداء ـ من الجنود والشرطة ـ واذا بنا ـ خدماً (وفراشين) وصباغي احذية برسم الطاعة والامتثال لمدرائنا ورؤسائنا من الآثوريين والارمن الذين نصبهم البريطانيون على مقاعد النهي والامر في هذه الدوائر العراقية •

إن هذا الذي اوردته في هذه الصفحات قد جاء مختصراً لما قلته على ـ ظهر الباخرة العراقية ـ السندباد ـ وكان هـؤلاء الشباب العراقيـون الذين اقاموا لي هذا اللقـاء التكريمي يعرفون تفسير كل كلمة من الكلمات التي قلتها لهم • وقد اخبرتهم بأني سأقتصر احاديثي معهم ثم اضيفها الى هذا الكتاب •

وفي الختام فقد رأي هؤلاء الشباب العراقيون كيف يتطلع المسلمون في سيلان الى رؤية اعمدة النور التي كانت صاعدة الى الثريـّا تشـّع وتضييء من شرفات بغداد ومن مساجدها ومن قناديل المدارس ومعاهد العلم الاسلامي فيها •

وللوقوف على بعض مصادر التقريرات التاريخية التي اوردتها في هذا الموضوع فلتراجع الكتب التالية :

١ ـ الكامل ـ لابن الاثير •

٢ ـ تاريـخ جهـان كـَشا فارسي ـ تأليف عطـا الله الجويني •

٣ ـ تاريخ كَزيدة ـ فارسي • تأليف حمد الله المستوفي •

٤ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة تأليف ابن الفوطي •

٥ ـ المغول تأليف الباز ـ استاذ في جامعة عين شمس بالقاهرة •

وللوقوف على حوادث الآثوريين في العراق وما قاموا من اعمال الغدر والتخريب ومحاربة اهل العراق في صفوف الجيش البريطاني فليراجع أيضاً •

١ ـ تاريخ العراق السياسي ـ للاستاذ عبد الرزاق الحسني •

٢ ـ تاريخ الوزارات العراقية للحسني أيضاً •

الصينيون في سيلان امام التبشير المسيحي !

اذا دخلت المدن السيلانيّة فان اول ظاهرة تلفت نظرك وتستوقفك للتعرف على اسبابها والتفكير بها هي احتكار المهاجرين الصينيين لمهنة المطاعم والفنادق واستئثارهم بمحلات البيع الكبرى والمتاجر المتوسطة . وسوف تشعر بالنشاط الجمّ الدائب والمثابرة القائمة المستمرة التي يمارسها هؤلاء الصينيون في اعمال البيع والشراء للتفوق في اجادة كل حرفة واتقان كل عمل .

وقد عجبت انا أيضاً من ظهور الصينيين في سيلان كمجموعة من المهاجرين المستحدثين الذين استطاعوا في عقدين من السنين أن يستولوا على اهم المطاعم والفنادق والمحال التجارية الكبرى . ولكن هذا التعجب قد زال وانتفى عندما علمت أن هؤلاء الصينيين ليسوا كسائر الشعب الصيني . بل هؤلاء هم الفئات الخاصة المشمولة بالرعاية والايثار والكنف الموطأ من قبل حكومة سيلان . وليس كل صيني بقادر على بلوغ هذه المنزلة ، والفوز بالوصول الى هذه الدرجة من عناية حكومة سيلان به لتسهيل السبيل له لكي ينجح النجاح السريع في هذه الحرف المتنوعة والاعمال السياحية الواسعة . فان هؤلاء الصينيين المقربين الاثيرين المدللين لدى حكومة سيلان المتجنسين بالجنسية السيلانية هم فصائلُ من اعداء الصين الشعبية قد هاجروا بعد استيلاء الشيوعيين على

الحكم في الصين فاستهوتهم الاغراءات الامريكية والانجليزية وجذبتهم منظمات الارساليات التبشيرية التابعة للدول الاوربية والامريكية • فحصرهم المبشرون المسيحيون وتمكنوا منهم فساوموهم على نبذ (ديانتهم) الأولى واعتناق الدين (المسيحي الامريكي) • وقد كان الثمن النقدي المشروط قبل عملية التنصر ـ هو أن تطلق ايديهم في سيلان لمزاولة جميع الاشغال الحرة وتقدم لهم كل التسهيلات للاقامة والملكية والاستقرار الدائم وإعطائهم الجنسية السيلانية بالسرعة المفروضة تفضيلا لهم وتخصيصاً وتمييزاً عن جميع الأقليات الأخرى • وهكذا فقد نجح التبشير المسيحي في تنصير عشرات الألوف من الصينيين المعادين للشيوعية المنتشرين الآن ليس في سيلان فحسب • بل إنهم قد انتشروا في مناطق اخرى مثل ـ سنغافورة ـ وماليزيا ـ واندونيسيا ـ وغيرها • وهكذا أيضاً فقد وجدت هذه الأمة من الصينيين نفسها بأجيالها وكهولها وشبابها وبكل قابلياتها ومؤهلاتها محجورة تحت المراقبة (المسيحية التبشيرية الامريكية) • ووجدت شبابها الصيني المتنصر مسخراً في تنفيذ اوامر التبشير المسيحي الاستعماري • فقد تخلى هؤلاء الصينيون عن وطنهم ودينهم (والنظام الشيوعي الجديد) في بلادهم وافكار (ماوتسي تونغ) ليسقطوا عبيداً ارقاء بين ايدي المبشرين المسيحيين المستخدمين للسياسة الامريكية والمبادىء الصهيونية •

لقد امتلأت سيلان بعشرات الألوف من الصينيين الهاربين من بلادهم . ولقد كان شعار هؤلاء وهم على ابواب (المبشرين المسيحيين) تنصَّر وخذ جنسية سيلانية ! وبهذه الأوامر المفروضة على سيلان فقد حملت سيلان على ظهرها الموقور بالمتاعب والضيق الاقتصادي عشرات الألوف من اللاجئين الصينيين المتنصرين قد جلبهم اليها المبشرون الامريكان والانجليز بقصد إضعاف المجتمع البوذي وتطويق الدعوة الاسلامية والتضييق على المسلمين وتقليل اهميتهم في الوطن السيلاني ومواجهة نشاطهم الفكري الاسلامي بقوة نصرانية كثيرة العدد .

لقد عرفت هذا السبب فلم اتعجَّب عندما رأيت شريان السياحة والاقتصاد الوطني السيلاني مقبوضاً بين اصابع هؤلاء المهاجرين الصينيين . ولا شك أنَّ الصيني الذي لم يتنصر . والصيني الذي بقي على (ديانته) أو ظلَّ على ولائه لأمته الصينية فان حكومة سيلان لا تعترف بوجوده كمواطن ولا تُصدر له الاقامة ولا تقرّ له حق التجنس مثل ابناء جنسه المذكورين .

تذكرت الخليج العربي وانا اكتب هذا الموضوع الآن . فان الجزاء على التنصر ومكافأة المتنصرين من الهندو والبوذيين والوثنيين الآخرين ، قد اصبحت في الخليج العربي وسيلة من وسائل الاستعمار الامريكي والبريطاني للاجهاز على بقايا العرب في هذا الخليج وتشريدهم بالتخطيط

لهجرة نصرانية أو (متنصرة) تغمر هذه الامارات وتتركز في المواقع الحساسة فيها فكل بوذي أو هندوسي أو وثني أو مجوسي أو غير هؤلاء يتنصر ويدخل (الديانة المسيحية) فان الشرط الأول له هو أن يحصل على الوظيفة وبيت السكن والاقامة الدائمة في (وطنه الجديد) الخليج العربي . إن اول خيار يعرض على المتنصر واول امتياز يتقدم له هو خارطة الخليج العربي كاملة مصحوبة ببيانات واضحة لاسماء الشركات ومجالات عملها ولمكاتب المقاولين وجداول باسماء الأغنياء والمصارف والمؤسسات الاجنبية والعربية ودوائر الحكومة ومكاتب السفر والسياحة . ثم يقال له (ايها المتنصر العزيز » هذا كله امامك . فاختر الوظيفة الملائمة لك . وانظر مكانك الدائم . واستعد . واقم . وارتبط بالكنائس وداوم على خدمة الأغراض الامريكية الصهيونية في الخليج العربي . وتعاون مع المنظمات الماسونية والبهائية . ونوادي الروتاري . وتفاهم مع الحركات السرية الخفية المعادية للعرب في الخليج العربي . ثم انتظر الجنسية من الكويت ـ البحرين ـ قطر ـ دبي ـ الشارقة ـ عجمان ـ رأس الخيمة ـ الفجيرة ـ ام القيوين ـ أبو ظبي ـ مسقط ـ عمان ـ اي نعم !

اجل . فلنفهم هذه الحقائق وليعرفها المؤرخون العرب ولنفتح عيوننا لنبصر ونرى كيف يطوقنا التبشير المسيحي الامريكي في كل مكان .

انا لا يهمني هجرة الصينيين الى سيلان • ولست وكيلا على البوذيين الذين يتركون المهن الحرة ليقوم بها هؤلاء الصينيون • وانا لست وكيلا للشعب السيلاني ولا انا بالعدو للشعب الصيني أيضاً • ولكني قد ضربت من هذا الحديث مثلا لكي نطلع جميعاً على الاخطبوط التبشيري الاستعماري الصهيوني الامريكي الذي يسخر (الديانة المسيحية) ويوظف المبشرين المسيحيين في هذا السبيل لكي يجهز على ديانة الاسلام ويهاجم الفكر الاسلامي من كل جهة من الجهات •

في جامع كولبتي

التقيت اول مرة بجماعة التبليغ الاسلامي يوم الجمعة ٥ رجب ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٩٧٣/٨/٣م ـ وكان ذلك في (جامع كولبتي) المشهور في كولمبو ـ وعندما هممت بالانصراف ـ بعد صلاة العشاء ـ قال لي الاستاذ محمد طعمة ـ وهو أردني من اربد وعضو في جماعة التبليغ ـ ارجو ان تنتظر قليلا لتستمع الى الكلام الذي سألقيه هنا · فاجبت طلبه وعدت الى الجلوس في الجامع المزدحم بالناس منتظراً كلمة الاستاذ محمد طعمة ـ والحق اقول · إني ما رايت فئة من الدعاة الاسلاميين تضاهي جماعة التبليغ بمعرفة اللغات المختلفة واتقان الكلام بالالسن المتباينة واختيار البلغاء المكينين من الكلام والخطابة والكتابة والبارعين بالترجمة الشفهية من العربية واليها مع الاقتدار على اكثر من خمس لغات ـ العربية ـ والانجليزية ـ ولغة التمل ـ ولغة السنهالي ـ ولغة الكجراتي والأوردو · وقد اتفقوا جميعا على اتخاذ اللغة العربية هي اللغة الأولى الاصلية لهم يتخاطب بها من يجيدها ويتمرن عليها من ابتدأ في دراستها ـ وتنقل مترجمة الى من يجهلها ويتكلم لغة اخرى أو هو بسبيل تعلم العربية في نطاق هذه الجماعة · اذ ان للغة العربية المقام الأول والمكانة المشرفة عند المسلمين لأنها لغة الاسلام الواجبة التحصيل والطلب والتعلم والتي يحافظ المسلمون عليها وعلى كل حرف من حروفها · وبدأ الاخ

الأردني يلقي كلمته باللغة العربية وبجانبه عالم سيلاني ــ هو خطيب الجامع وامامُه ــ يترجم كلامه الى لغة التمل . وكان الجامع غاصا بمسلمي سيلان الذين يتفانون بحب العرب والتفاخر بهم وبتاريخهم ويتعالون بانتسابهم الى الرس العربي .

وقد فهمت من كلام الاستاذ محمد طعمة انه لم يدرس التاريخ العربي ولم يطلع إلاّ على (مثالب العرب المزورة المختلقة باقلام الاعداء) فوقف الرجل واخذ يعدد عيوب العرب ومساوئهم المدعاة افتراء وكذباً على العرب في جاهليتهم ومراحل تاريخهم القديم فقلت لنفسي .

عجباً لداع مسلم أن يتقول على العرب ويردد على لسانه ما قاله المنافقون واعداء هذه الامة . فالنبي عليه السلام واصحابه وتابعوهم كلهم من امة العرب وعساكر الجهاد والفتوح كلهم أيضاً من قبائل العرب . فليس مقبولا ولا معقولا ولا مسموعاً اذن اي كلام يمس العرب ويشوّه تاريخهم يلفظه قائله امام المسلمين المؤمنين (السيلانيين) المربوطين دما وروحاً بهذه الأمة فيسلم ناظم هذا البهتان من اللوم والانتقاد والارتياب والهزؤ بكل ما يتحدث به وما يتكلَّم .

وقف الاستاذ (محمد طعمة) خطيباً فافتتح كلامه بسب العرب وذمهم في الجاهلية وكانت الفاظه تمزق احشائي كأنها الخناجر وتطعن كبدي كأنها السكاكين عندما قال . (ان

العرب – قبل الاسلام – كانون اذلاء صاغرين منبوذين الى الدرك السافل الذي جعلهم يعرضون نفوسهم على الروم والفرس ليكونوا خَدَما لهم وخولا فلم يقبل الروم خدمتهم ولا الفرس أيضاً) . كان هذا نص تعبير الاستاذ محمد طعمة – الذي ارسله ارسالا بدون روية ولا تقدير ولتاثير هذا الكلام في نفوس العرب ، فلقد شعرت كأن الرجل قد اطلق طلقة مميتة على رأسي وسمعت دويا عاصفا قاصفاً في دماغي وهممت بمقاطعته واشرت اليه بيدي وبكلمة واحدة وهو يخطب غير انه لم ينتبه للآثار المؤلمة التي تركها كلامه في نفسي . بيد أني هدأت نائرتي وكبحت ثائرتي وكظمت غيظي إجلالا للمقام الكريم الذي كنا فيه اي (جامع كولبتي) واحتراماً للمسلمين السيلانيين وللعلماء المسلمين الذين كانوا موجودين في الجامع . وبعد ان أتى المتكلم على آخر كلامه في شتم العرب وفرغ من خطبته ، قلت له بعد مقدمة موجزة من الكلام . هل لديك دليل على ما قدمته ؟ وما هو الدافع لأن تشتم امتنا بحضورنا ؟ وكيف يتلاءَم هذا مع دعوة الاسلام ؟ وهل قرأت تاريخ العرب ؟ وعرفت ايامهم ومواقفهم وانتفاضاتهم بوجوه اباطرة الروم واكاسرة الفرس ؟ وقلت له . إن جميع النبوّات السماوية قد نشأت من بين العرب . وسميت له اكثر الأنبياء . وقلت يجب عليك ان تعلم بأنك شتمت العرب امام قوم من اهل سيلان يتشرفون بالانتساب الى العرب ويعلُون بذلك على غيرهم . قلت له . إن تاريخ العصبيّة العربية يرفض رفضاً قاطعاً ما قلته ويؤكد

إباء العرب وكبرياءهم امام الروم والفرس في الجاهلية • ولو كنت قرأت التاريخ العربي لعرفت أن طبيعة العرب في (الجاهلية) من قبل ابراهيم الخليل عليه السلام • وقبل عاد الأولى والى العصور الاسلامية المُنيرة ، لترد رداً تاماً (هذه الدعاوى) على امثالك • فليس هنا اذن من سامع لما تقول كيف ينطبق كلامك هذا على امة العرب التي بلغ الترّفع بابنائها وسما الاباء وشمخت الأنوف بالمنعة والأنَفة بحيث كان العربي في جاهليته يسمي جميع الناس غير العرب عبيداً وعلوجاً • وكان في ـ الجاهلية ـ أيضاً كل من ليس عربياً يُعد ـ في لسان العرب وحسب نظام حياتهم ـ عبداً يُباع و'يشرى •

اجل لقد ازال الاسلام هذه العصبية المتعالية وساوى بين العرب وغيرهم •

ولكن هذا حق تاريخي وواقع معلوم مسلم به وجب ان تعرفه وتنظر فيه قبل السقوط في رذيل الكلام والجهل والهذر الذي لا معنى له فبهت الرجل وخجل وعرق جبينه واحمرّ وجهه وندم ندما عظيماً واعتذر وقال انها زِلّة' من اللسان وعثرة" في النطق • فقلت له انا لا أومن بهذه العصبية التي رددت بها عليك ولا اشعر بفوارق الجنس والعنصر ولكن تلميحك وتصريحك وتعريضك بالعرب هو الذي حملني على هذا الكلام • وبعد ذلك فقد ادركت سلامة النية في صدر هذا الرجل والقصد الحسن في ضميره • فقد حرك لسانه مقلدا بعض الخطباء والمتحدثين في مثل هذه الامور •

وفي اليـوم الثاني عقد في (كلّيّة الزاهـرة) الاجتماع السنوي الكبير الذي اعتادت (جماعة التبليغ الاسلامي)(١) إقامته بصورة دورية في اي بلد اسلامي يتفق على اختياره مسؤولو هذه الجماعة . لقد إجتمع في كلّيّة الزاهرة مئة واربعون ألفا تقريبا وماجت بهم هـذه المواقع المحدودة . وكان الجمهور مثل البحر يفيض بعضه على بعض كما ذكرت (في الحديث عن المجاهد احمد عرابي) . وكان القليل الاقل من هؤلاء الناس قد صمتوا للفهم والتأمل والاصغاء . أما سائـر الجمهور فكانوا يتحدثـون باصوات عالية ويتبادلون السلام والسؤال ويتجولون كتلا من البشر بعضها لا يهتم ببعض . فاقترحت على العلماء بان تقسم الجماهير اربعة جموع أو عشرة ، كل جمع على حدة منفصل قليلا في هذه الساحة الكبيرة ثم يتولى كل خطيب من هؤلاء الخطباء جمعاً من هذه الجموع يتحدث فيهم قريباً منهم متمكناً من ايصال اغراضه الفكرية الاسلامية الى قلوبهم وبهذه الوسيلة يُصار الى تسكين اللّغط وإخماد الضوضاء بحيث لا تذهب هباء كل

---

(١) جماعة التبليغ الاسلامي مقرها في دلهي بالهند . وهي منظمة اسلامية عالمية (قوام حركتها الوعظ والارشاد) ولها فئات عديدة تطوف العالم الاسلامي . وعلى كل فئة (أمير) . قام بتاسيسها عام ١٣٦٣ هـ ـ في مدينة دلهي المرحوم العلامة الشيخ محمد الياس . ولما توفي هذا المؤسس الاول تسلم رئاستها ولده المرحوم الشيخ محمد يوسف الذي توفي قبل عدة سنين . والذي يقود (جماعة التبليغ الاسلامي) في ايامنا هذه هو العلامة الشيخ انعام الحسن .

لقد راجعت في كتابة هذا التعريف (بجماعة التبليغ الاسلامي) كتاب ـ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند لمؤلفه الاستاذ عبد الحليم الندوي ـ ص ١٧٦ .

الخطب الطويلة البليغة التي اعلنت من منبر واحد باربع لغات أو خمس ٠

لقد ابديت هذا الاقتراح ولكني رأيت أن خطباء جماعة التبليغ لا يستمعون الى آراء غيرهم ولا يعبأون بما يقوله الذين يريدون من هذه الجماعة ان تكون دعوتها شاملة لنظم الاسلام كافة وجدية صريحة تبلّغ بالاسلام ديناً ودولة ولا تقتصر على الوعظ والارشاد والسور القرآنية المكية وان تستفيد من وجود الأمة العربية وتاريخها العملي الواقعي في كل مراحل الثورات الاسلامية ٠ وفي جامع (الزاهرة) الكبير تعرفت بشاب اسكتلندي قد قطعت يده وهو يؤدي فروض الدعوة الاسلامية في احدى مقاطعات الهند ٠ وقد سمعت رفاقه ينادونه باسم محمد فكان هذا الشاب يشاغلني بكلام ظريف عن لباسي العربي ويسألني عن تاريخ العقال العربي ٠ وقد طلب مني ونحن جلوس أن اجيبه عن القصد من اعتمار العقال ووضعه على الرأس ٠ وقلت له ٠ ان لبس العقال له سبب من روح العربي الممزوج بالاباء والرفعة والنفور من الذل والضيم (ولقد اوردت الجواب المطلوب حول ذلك في آخر هذا الموضوع) لقد توسع الكلام حول ذلك وتشعب فانتقل الاستاذ زرّوق محمد زرّوق مدرس اللغة العربية في كلية الزاهرة الى الحديث عن ايام العرب في الجاهلية ٠ وكيف كان العرب يدافعون عن شرفهم ويوالون الوثبات والانتفاضات بوجه الحكم الكسروي والقيصري ٠

وقد كانت قبائل العرب تغير على جنود كسرى بين الحين والحين وكانت التجارة واللطائم الكسروية لا يمكن نقلها من مكان الى مكان دون خفارة وحماية من قبائل العرب الى ان حدثت انتفاضة ـ ذي قار ـ المشهورة الجريئة • وعندما سمع الاستاذ زرزوق محمد زرزوق بيوم ـ ذي قار ـ طلب مني ان اسرد هذه الموقعة ويقوم هو بالترجمة من العربية الى الانجليزية في محضر جماعة من اهل الفضل والعلم • وكأن الكلام هنا سيكون تعليقاً على الموارد التي خاضها الاستاذ محمد طعمة •

وكما قلت في مواضع متعددة من هذه الرحلة ، إني قد كنت اتعمد خلال المحاضرات والندوات ان اكشف للمسلمين المزايا الاصيلة الصافية لتاريخ العرب الجاهلي واجتهد بان ابدد الأوهام والشكوك وما رسب في الاذهان من الافكار الغامضة عن تاريخ العرب القديم قبل الاسلام • وكنت اشير دائما الى زحوف القبائل العربية التي وجدها رسول الله عليه الصلاة والسلام واصحابه بعده جاهزة مكتملة القوى العسكرية والرجولية وكاملة الفروسية وقادرة على ملاعبة الاسنة وشن الغارات • ولم يكن يعوز هذه القبائل إلا التأليف والتوحيد والتنظيم القيادي • وقد كان ذلك بامر الله الذي الف بين قلوب العرب • نعم • كنت اشير الى ان الكيان العربي المؤلف من قبائل العرب العظيمة التي فتحت الشرق والغرب قد كان راسخا ثابتا موجوداً قبل الاسلام •

وما اسرع ما انفتح هذا الكيان العربي كله لموجة النور الاعلى التي سرت في نفوس العرب مع البيان القرآني الذي احس فيه العربي بوجوده كله فاجتمعت العرب خلف لواء الاسلام ببطولاتها الموروثة وبسؤددها وعُلّو نفوسها • فكانت الفتوح وقامت المساجد من حدود الصين الى ابواب اوربا • ولقد كنت ارى من الواجب ان أعيد الى المسلم غير العربي روح التاريخ الاسلامي الصافية السليمة البريئة من سموم اعداء العرب عندما يريد المسلم ان يفكر بتاريخ العرب قبل الاسلام •

واستجبت لرغبة الاستاذ زرُوق محمد زرُوق وسردت ــ يوم ذي قار ــ بتفصيل واطناب وكان المسلمون يستمعون اليّ والترجمان يترجم ويفسر بلغة التمل ــ ولغة السنهالي • ولقد عاد بي الحديث مرة اخرى الى (العقال العربي والكوفية) وقد فوجىء الحاضرون بمعاني الانَفَة والمَنعة المنطوية بهذه الخيوط من الوبر أو الصوف • فقد اتخذت ربيعة العراق واكثر العرب في الجزيرة وديار الشام عقال الناقة رمزاً للتماسك والاعتزاز • فبعد أن اهين النُعمان بن المنذر ملك العرب والقي في السجن وغُلّت يداه وقيّدت رجلاه بعقال الناقة اذلالا وتحقيراً رفعت العرب هذا العقال على الرؤوس تشريفا وتكريماً(١) • وكان ذلك أنا فأنا ثم

(١) ان هذا مقتبس من المرويات المسموعة بين القبائل العربية • ولم تذكره كتب التاريخ الا باشارات قليلة • لم اجد بعضها الا في كتاب (تاريخ الحيرة) ليوسف غنيمة •

انه قد عمَّ وانتشر واعتادت العرب لبسه فوق الهامات ولا يزال مستعملا في العراق ونجد وديار الشام حتى يومنا هذا ٠ ومنذ ذلك الحين وللعقال منزلة عالية في قبائل العراق حتى إنهم ليفضلونه على العمامة ويعدونه رمزاً للوقار وبلوغ الرجولة ٠ فحدَّ الطفولة هنا هو لبس العقال ٠ عندئذ يصبح الفتى رجلا مسؤولا عن كلامه وفعله ٠ وترى العربي في قبائل العراق يستميت ويهلك دون انزال عقاله من على رأسه ٠ ولمسُ العقالِ من قبل الآخرين ٠ أو إنزاله أو رمْيه من فوق رأس معتمره يُعد في نظر اكثر القبائل العربية العراقية اعتداء يُثأر له بالسلاح ويُدافع عنه بالغضب الشديد وتثور القبيلة كلها لمن أهين بجر عقاله من على رأسه أو بالقائه على الأرض ٠ وفي قبائل العراق ٠ اذا أهين العربي بمكروه في عرضه وشرفه ولم يستطع الانتقام لصيت عائلته فانه يرمي عقاله من رأسه ويظل بدون عقال حتى يغسل العار ٠ وإن الكثيرين من العرب في العراق فانه اذاوُتر بأبيه أو بأخيه فهو ينزع عقاله من هامته ويلقيه جانباً حتى يأخذ بثأره ٠ وترى الكثير من قبائل العراق عندما يستصرخ ابن عم له أو عشيراً أو حليفاً ويريد اثارته فانه يقف ويقول امامه ـ (اذبّه ام أخليه) اي ألقي هذا العقال ام اتركه على رأسي ٠ يقول ذلك وهو في حالة الهياج والحماسة ٠ والمعنى هل تنهض معي لنيل المراد فيبقى عقالي موكّراً على رأسي في حالة العزّة والمنعة ام اطرحه على الأرض علامة الخيبة والرزية والخذلان من ابناء العمومة وقت المحنة ٠ فاذا قال له ٠ (خلّه)

فمعنى هذا أنه سيندفع معه ويضحي من اجله واذا سكت فانه ـ اي المستصرخ ـ بفتح الراء ـ فانه ليس جديراً بالاهابة والاستنهاض والنخوة والتلويح بالعقال امام عينيه ٠

ولذلك فان ـ رضا بهلوي ـ ملك ايران الأسبق المعروف ببغضه للعرب وكرهه لتاريخ الاسلام عندما قضى على امارة عربستان العربية وسجن اميرها ١٩٢٥ اصدر اوامره يومئذ بمنع تداول العقال وبيعه وحظر اعتماره ولبسه فوق الرؤوس ولقد نفذ امر الشاه الفارسي على العرب (في ذلك الاقليم العراقي العربي) الى يومنا هذا ٠

اما الكوفية ويسميها بعض العرب ـ القَترة ـ فانها منسوبة الى الكوفة ٠ والزرقاء منها والحمراء والسوداء يسمونها في العراق ـ اليشماغ ـ وقد استعمل هذا اللباس منذ زمن بعيد ٠ ويلوح للمتأمل كأن هذا اللباس قد تطور عن العمامة التي قد كانت تعتمر ملفوفة ـ كما هو معروف ـ ثم أرخيت عند البعض وبسطت فصارت غطاء للرأس كله والرقبة أيضاً ٠ وتوسع الناس في اتخاذها لباساً واقياً من قارس البرد وحرارة الشمس ٠ وللتستر والتلثم امام رياح السموم وعند ثوران الغبار ٠ وربما أتُخذت الكوفية (القترة) أو (الحطة) كما يسميها بعض العرب أيضاً غطاء للرأس عند الغزو والفتوح للتلثم بها تحت مغافر الحديد في اثناء الغارات والحروب أو عند جوب الصحراء والسير في الفيافي طلباً للرعي والكلأ وارتياد المياه فقد كان لا بد من لباس لازم بأن يكون لثاماً أو غطاء للرأس ٠ وقرأت بحثاً

بعنـــوان ـ الكوفية أو الكفية وانواعهـا واستعمالهـا في ص ١٨٩ ـ من مجلة لغة العرب ـ السنة الثانية ـ العدد التاسع من آذار ١٩١٣ ـ الطبعة الثـــانية ـ بالأوفست في مطبعة الآداب ـ بغـداد ـ وتسهيلا لنيل المرام في هـذا الموضوع الطريف فاني قد آثرت ايراد المطلوب منه ·

أهل العراق لا يعرفون الكوفية إلا بالكفّيّة بدون واو بفتح الكاف وتشديد الفاء المكسورة والياء المشددة المفتوحة وهاء في الآخر · وهي لفظة منسوبة" الى الكفّة لا الى الكوفة والكفة عندهم كل ما استطال · ويقولون أيضاً كفّ الثوب كفاً اذا تركه بلا هدب · وكل هذين المعنيين فصيح" معروف · ومعلوم أن اهل البادية يلفظون الكاف ـ جيماً مثلثة ـ فارسية فيقولون فيها ـ الجفية ـ واللفظة الفصيحة المشهورة هي الكوفية بواو · قال صاحب التاج · والكوفية ما يلبس على الرأس سُميت لاستدارتها ولم يزد على هذا القدر · وقد ذهب آخرون الى أن الكوفية مشتقة من الكوفة ونسبت اليها لأن سكان هذه المدينة كانوا يلبسونها منذ الأزمان القديمة فنسبت الى بلدتهم ولعل الأصح أنها رومية الأصل اي لاتينية مولدة DAS. LATIN لأن الاروام هم اول من ادخلها ديـار الشام ومنها انتشرت في سائر ربوع العرب وهي بلسانهم CUPHIA أو COPHIACOFEA وقد اشتقوها من كوفة أو كفة CUPPA اي القدح أو الصحفة أو القصعة وكل منهالا يكون إلا مستديراً وقدوردت هذه الكلمة بهذا المعنى على قلم ـ

فرتناتس الاسقف المتوفي ٦٠٠ للمسيح اي المتوفي باثنتين وعشرين سنة قبل ظهور الاسلام وصاحب التاج لم يصفها لشهرتها بين العرب ٠

وقال انستاس الكرملي ـ وهو كاتب المقال في مجلته هذه ـ (وقد ذكرت لفظة كوفية في كتاب الف ليلة وليلة في عدة مواطن ٠ وكانت النساء يومئذ يلبسنها ٠ من ذلك قول المؤلف اي مؤلف الف ليلة وليلة) ٠ خلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير ٠ وقوله ٠ كوفية بألف دينار ٠ وقوله ٠ على رأسها كوفية دقُ المطرقة مكللة بالفصوص المثمّنة ٠ وقوله ٠ فوق رأسها كوفية مطرزة بالذهب ٠

وقال الكرملي ٠إن العرب كانوا يتلثّمون بفضلةالكوفية لكي لا يظهروا انفسهم لأعدائهم فيخفون وجههم كله أو بعضه حسبما يعّن لهم أو يشاؤون ٠ هـ ١٠ ٠

وخلاصة القول ٠ أن القترة بالفتح الغَبَرةُ ٠ وتقتَّر غضب وتنفَّش وللأمر تأهَّب ٠ وفلانـا حاول ختله وعنه تنحىً ٠ والتقاتر التخاتل ٠ والقُترة بالضم ناموس الصائد وقد اقترً فيها (هذا كلام القاموس المحيط) ٠ واما الكوفية فان اشتقاقها العربي مـن مصدرها اللغوي الأول معروف وهو الاستدارة ـ كما ذكره صاحب التاج ـ وسواء كان اصل هذه التسمية مأخوذاً من الكفية ـ وقد صُحف وتبدل الى

كوفية ـ أو انه بأصل التسمية الموضوعة له ـ كوفية ـ بدون تصحيف ولا تحريف : وعلى كل حال فان العلامة الكرملي قد اقر بفصاحة الاشتقاقين . فما هو الموجب اذن لرد هذا الكلام العربي الفصيح الى اللغة اللاتينية . وهل أن ورود ما يشبه هذا اللفظ على قلم الأسقف ـ فرتناتس ـ المتوفي قبل ظهور الاسلام باثنتين وعشرين عاماً يجب ان يكون داعياً لارجاع هذا اللفظ العربي الى اللغة اللاتينية . ولماذا لا يصح عكس هذا القول ونقيضه بأن يكون اللاتين ومنهم الأسقف هذا قد استعاروا هذه اللفظة من كلام العرب للتعبير بها عن مطلب خاص لهم : ولكنني قد وجدت الاستاذ الكرملي في كثير من كتبه ومقالاته يجهد مبالغاً ومعتسفاً ومخالفاً للحق في بذل الطاقة لارجاع الكثير من اللفظ القرآني والكلمات العربية الاسلامية الى اللغات الاغريقية واللاتينية وسواهـــا .

وكما قلت فان كلامي قد كان يترجم الى الحاضرين . وقد اهتم السامعون بهذا الشرح ووقف احد المسلمين يعلق على كلامي بجمل قليلة لم افهمها . وتقدم مني شاب سعودي من اصل هندي كان يرافق جماعة التبليغ وسألني ان اقدم بعض الملاحظات حول الاجتماع وانه سُيبلغ هذه الملاحظات امير الجماعة لدراستها والاخذ بها . وقلت له . ان اطالة الكلام في مخاطبة الجمهور قد يسبب الملل والضجر وانصراف الاذهان عن متابعة المتحدث . وان الاهداف الكبيرة والمعاني

الرفيعة دائما تضيع وتختفي في الخطب الطويلة التي لا يفهمها الناس ولا يصغون اليها · قلت ان للانسان خواطر وحالات نفسانية تعتمل في اعماقه وتطرأ عليه في كل لحظة بتأثيرات اطواره الروحية وشؤونه العائلية والشخصية أو اموره المعاشية أو بسبب الاحساس بالمرض أو العاهة أو بالانفعال لذكرى محبوبة أو مكروهة · فينبغي اذن مراعاة مقتضى الحال في عرض الافكار وتقديم البحوث وفوق هذا فان الانسان عاجز كلّ العجز عن توجيه كلّ حواسه وتركيز عقله وذهنه واحضار قلبه نحو متكلم واحد مدة اربع أو ثلاث ساعات مثلا كما يحدث هنا في هذا الاجتماع من الاطناب الممل والاستبداد بمكبرات الصوت ! ان الكلام هنا ينقل الى آذان الناس عن طريق المترجمين · ولا شك ان اكثر المترجمين قاصرون عن اتمام الترجمة وعاجزون عن الاجادة واكثرهم يتصرف حسب مشيئته وعلى طرازه الخاص فيأخذ المترجم في إصدار افكاره الخاصة وترديد جمله التي اعتادها بعيدا عن الغرض المقصود ·

فسجل الشاب السعودي وجهة نظري هذه ووعد بان يبلغها امير الجماعة وان يجمعني به للتعرف عليه بعد صلاة المغرب من يوم غد في المكان نفسه · ولقد كنت حريصا على لقاء الشيخ انعام الحسن رئيس هذه الجماعة · ولكني فوجئت بان امير الجماعة هذا كان مشغولا · وقد علمت

اخيراً بانه استنكر ملاحظاتي ونفر من سماعها · وقيل لي أيضاً انه قد كره « ان اتحدث معه عن الادعاء باستخدام الجن والتزوج من الجنيات » · واني استبعد ان يدعي رجل عاقل هذه الدعوة وليس ذلك في قدرة البشر · ولقد علمت بان امير هذه الجماعة رجل واسع العلم وشامل الاطلاع في الدعوة الاسلامية ·

العرب جند الاسلام

كتبت هذا الموضوع ـ كجواب ـ لذلك الرجل الذي قد انكرت عليه ـ التعريض بالعرب ـ قبل الاسلام ـ وكان ذلك منه في خطابه الذي ألمحت اليه سابقاً • وقد ترجم كلامي هذا مــن قبل الاستاذ زرُوق محمد زرُوق ـ بغاية المطابقــة والوثوق الى الانكليزية • والى اللغة ـ السنهالية ـ والقي في (جامع الزاهرة) خلال احتفالات جماعة التبليغ في ٨ رجب الفرد ١٣٩٤هـ ـ الموافق ٦ آب اوجست ١٩٧٣م ـ وقد كانت كلماتي هذه مثاراً للنقاش والمراجعة • وسبباً للجدل والبحث المستفيض بين بعض العلماء الحاضرين •

ويجب عليَّ هنا ـ وانا ألخِّص موجِزاً روابط العروبة المسلمة بالمسلمين الآخرين أن اتحدث عن حالة من حالات المرض الذهني قد لازمت بعض الدعاة الاسلاميين في العصور الاخيرة • ونشبت جراثيمها في قلوبهم وعقولهم واصبحت كأنها وظيفة" طبيعية مولودة في حواسهم وناشئة في عواطفهم فاخذت في الاستشراء والعــدوى تنتقل بين بعض الدعـاة الاسلاميين في هذا الزمان وقبله على صورة من عادات نفسانية واطوار تصورية مُنكرة ليس لها مسوِّغ لامن الدين ولا من الذوق ولا من المنطق والعلم • الذي اقصده ـ هو أن بعض هؤلاء الدعاة الاسلاميين يعتقدون أنَّ من الصعب عليهم ـ الدعوة الى الاسلام وتبليغ الدين بدون التمهيد لذلك بشتم العــرب والتشهير بالتاريخ العربي والطعن بامجاد الأمــة

العربية ـ قبل الاسلام ـ وربما خلاله وفي اثنائه ـ وتشويه التاريخ العربي القديم مردّدين بذلك كل ما حاكته ونسجته انامل اليهود والباطنيين وبقايا المانوية من تحريف التاريخ العربي وتسويده بالكذب والافتراء معتمدين في ذلك عواطف ساذجة في مهاجمة العرب بالكلام المثبّط غير ملتفتين الى حقائق التاريخ العربي القديم تسطع على صفحات وجوه الانبياء والرسل بدء من نوح وانتهاء بخاتم الانبياء والرسل محمد نبينا عليه الصلاة والسلام • ولم يعلموا أيضاً ان تاريخ هذه الامة وماضيها وكيانها الموجود الحي هو مسرح النبوات المتسلسلة وحياً بعد وحي ومُرسلا بعد مُرسل حتى الرسالة المحمدية الخاتمة الكاملة •

الأمة العربية امّةُ رسالة سماوية ـ وقد كان تاريخها القديم في كل عصوره هو المُخاض والتهيّؤَ وزمنَ الانتظار والترقب والامل والاستعداد لظهور الرسالة السماوية الاسلامية • ومن يتفحص تاريخ العرب القديم ويدّرع بالصبر في التنقيب والبحث في بقايا الرسوم والالواح والآثار فانه سوف يجد ان هذه الأمة ـ الابراهمية ـ منذ وجدت ـ وهي طموحٌ بفطرتها الى التدين متطلعة الى معاني التوحيد الالهي • وحسبنا القول أن الاسكندر عند فتح بابل سرعان ما تأثر هو وجنوده بعقيدة التوحيد فنقلها الى بلاده ـ كما يقول مؤرخو هذا الفاتح الكبير ـ فهل من الممكن أن ينجح خطيب من الخطباء أو داع من الدعاة في اقناع امة من الامم وجذب ابنائها الى قبول كلامه والايمان بفكرته والسير خلف قيادته

وهو يسب هذه الامة ويقدح في سلالاتها ويهين اصولها ويسخر من ماضيها التليد والعتيد ويهزأ باجدادها ويقذف من فمه الأمثلة والمواعظ يستعيرها ـ من اعدائها ـ الذين كانت اقلامهم والسنتهم اشد فتكاً بهذه الامة من سيوف بابك الخُرَّمي وهولاكو وتيمور لنكك (وسفاحي هذا الزمان) • ومن جهة اخرى فان من الصعب على اي داع من الدعاة ان ينقل الى العرب آراءه وافكاره ومقاييسه في الأحكام التاريخية وهو يجهل التاريخ القديم لهذه الامة التي يتكلم لغتها وينطق ويخطب على منابرها بدون أن يعرف تاريخ هذه اللغة واساس بلاغتها وعلوم آدابها • نعم كيف يستطيع ان يبشرهم بالقيم والمثل العليا ويريد جذب خواطرهم واقبال نفوسهم عليه وهو دائب على التشكيك بتاريخ امتهم • كيف يجوز لمن يدعو الى الاسلام ان يشككنا بتاريخ امتنا ثم يجهل هو أيضاً متعمدا أو غافلا آثار هذا التاريخ المتجلية في كينونة الروح العربية حيثما تنطق وتتكلم وتعبِّر عن موروثها الروحي والحربي والادبي في توحيدها الديني أو في مأثورها من الشعر والحداء وذكريات الارض والديار ومواطن البأس والايثار والكرم وآداب الضيافة والغضب للجار والانتقام للعرض • صحيح" أن الاسلام قد اتخذ من كل ارض اسلامية داراً له وقسم كل الارض بين دار إسلام ـ ودار حرب ـ ولم تنحصر طرائق الدعوة والحكم والتنفيذ والعبادة وقيادة الجهاد في ارض معينة أو بجنس معين خاص ولكن ورد في الحديث « إن الايمان (ليأرِز) الى

المدينة كما تأرِز الحية الى جحرها » اي ينضم ويجتمع بعضها الى بعض فيه ومعنى هذا أن ارض العرب هي القاعدة الاولى يعود اليها الاسلام ويكرُّ منها كلما إنحسر من بعض البلاد الاخرى .

إن توضيح هذه المفاهيم وسياق الكلام في هذه الحقائق والاستطراد في هذه البحوث يستوجب تصوير مداخل التاريخ العربي والتعمق في تأمله وولوج منافذه لمن يريد ان يدعو الى الاسلام ويعلل ويشرح علاقة العروبة بالاسلام .

لهذه الأمة العربية (وجودان) وجود حدوثي ووجود عقلي وروحاني فالوجود الحدوثي هو مظهرُ التغير والانفعال ودليل الافتقار الى العلل والاسباب وعوامل الحركة في النشوءات المادية وتبدل الحالات وتغير الاشياء .. والوجود الحدوثي التكويني هذا لا يبرز ولا يظهر إلاّ في محسوسات الأمة من متجلياتها المُدَركة وخصائصها النفسانية وتعبيراتها ودلائل انفعالاتها في آدابها وعلومها وحروف لغتها التي يترائى خلال جملها ومفرداتها كل اثر من آثار عقول ابنائها وعواطفهم وخيالاتهم ويظهر من بيانها وبلاغتها واصالتها مسير هذه الامة واخذها وعطاؤها وفعلها وتفاعلها في وحدتها الارضية الجغرافية المحتوية مجال الحياة والعيش والتنفس وتحصيل الفنون والحرف والصناعات وكسب القوة والارادة وضمان البقاء في تأسيس الحضارة وصيانة عقيدتها الاسلامية الضرورية لاستمرار النوع العربي وحفظه من الانقراض

والابادة ـ وفي تاريخها الذي ـ هو المصدر الدائم لتأملها الحضاري ومنبع إنسكابات قرائحها ورشحان اذهان ابنائها · وحراسة السلالات العربية بحفظ عناصرها الكلـّية المنطبقة على جميع الموجودات العربية المنتشرة سن جزيرة العرب والرافدين وديار الشام ومصر وافريقيا منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا ·

اما الوجود الروحاني لهذه الأمة فهو الفعل الذاتي المحض لعمل النبوات السماوية في قلب الحركات العربية الكبرى · وهو الدفع الازلي في ضمير الوجـود الروحاني الذي يهـز الضمير العربي ويوجه الفطرة نحو توحيد الله · وهو التطلـّع المحتوم في ارادة الروح العربية في السعي والمجهود والمعاناة في سبيل اعلان التعبد السماوي : آية ذلك أن هذه الأمـة (الابراهيمية الحنيفية) منذ وجدت على ظهر هذا الكوكب وهي تنازع الوثنية وتصارع الشرك وتتوق الى التوحيـد الكامل الذي نبع منها ووجدته في ديانة الاسلام فمات الوف الملايين من ابنائها في سبيله · فهي منذ الاشراقات الحضارية الأولى في الرافدين ـ وهي تستنبت البذور الدينية التوحيدية ـ في ارض · شنعـار · والجزيرة · وديـار الشام منـذ السومريين واريدو · والآكديين · والبابليين · والكلدان والمصريين العرب الاوائل ومنذ الحميرية الأولى وعاد الأولى والأنباط وغيرهم تنتشر الامثلة من طقوس هذه الأمة التي عرفت التدين قبل جميع البشر · اذ قد ولد فوق ارضها

وبدا من صميمها كل مبعوث من الانبياء والرسل . فكأن هذه الأمة بكل موجاتها من جزيرة العرب ـ قد خُلقت امة مطبوعة على التدين . وقد كانت عقول ابنائها وقلوبهم معابر تنتقل منها آيات الله المفصّلات الى عقول البشر وقلوبهم . ولا شك أن اوسع الديانات واصوبها واحقها واكمل كتبها واصدق رسلها قد تمثلت وظهرت وسطع نورها من امة العرب هذه . فقد كانت العرب تتلقى الدين ووحي السماء وحياً بعد وحي الى ان اصبح الاسلام وصفاً ذاتياً لها اذا التقى وجودها كله بدينها الخاتم الملازم لها ملازمة نور الشمس للشمس . واجتمعت مثلها ومزاياها في هذا التاريخ وسالت دماؤها راضية به ديناً عالمياً ووجوداً ماديا وروحيا فارضاً عليها انجاز وحدتها وآمراً لها بتشييد دولتها الاسلامية الكونية العالمية وتسنم القدرة والملك في خلافة هذه الارض البشرية لتحرير الانسان والدنيا كلها من العبودية والعصبية والكبرياء وليكون رسالة لها يرتفع به على مناكب ابنائها لواء الجهاد في حمل كتابِ الله الاعظم لارشاد العالم الى التدين الخالص الجامع لكل حقائق التشريع الديني الصادق المتميز بمطابقة الفطرة البشرية والمشتمل على قوة التأثير السرمدي المتجاوب مع كل الازمان والأحداث . وهذا هو المعنى المقصود من غائية الخاتمية المحمدية .

من هنا يجب ان نفهم أن الاسلام هو المصدر الروحي التاريخي لجميع العرب والمسلمين . ومن هنا ينبغي العلم

بان مخاطبة النفس العربية بالاسلام وتحريكها به وتذكيرها بانها هي والاسلام شيء" واحد" هو رجوع طبيعي الى اصول الفطرة فيها • لأن الاسلام هو وجود العرب الازلي غير المتبدل • وهو حياة أمة العرب وذكرها المرقوم في الواح السماوات العلى ونظامها المرسوم باصابع القدرة الالهية • ومن فيض الله بنعمه على هذه الأمة أن الكيان العربي ً لا يزال يموج بالقوة والخِصب والحركة واسباب الحياة • ولم يعوز العرب الآن إلاّ ترسم الخطوات الأولى من نهضة الاسلام التي فاضت بها الهجرات العربية العظمى الى كل صقع وكل اقليم من حدود الصين شرقا الى حدود اوربا غربا • أريد أن اقول إن الوجود العربي مهيأ للحركة الوحدوية العربية الاسلامية • وكل قيادة عربية اذا تفرغت لذلك ونحت نحوه واستعدت له فانها ستجد ما وجد السابقون الاولون من الجيشان والطموح والثورة الاسلامية في نفوس العرب • فان هذه الأمة المخلوقة لتبليغ رسالة سماوية عظمى لا بد أن يكون الزمان المقدر لها محسوباً فيه انتدابها لتمثيل الواجب الالهي • ومن دراسة تاريخ امتنا والوقوف على الاسانيد والقرائن وادلة البحث التاريخي لروح هذه الامة سنعرف حقاً أن المبدأ الاول لها هو مبدأ (توحيدي) ألهي ووظيفتها الاولى في وجهتها الدينية الوجودية المقصودة التعبدية هي وظيفة ربانية قد تسلسل في تنفيذها فوق هذه الارض جميع الأنبياء والرسل الذين توالوا وتعاقبوا على مخاطبة العرب •

ان التاريـــخ يُفهمنا افهاماً واضحـاً ان ليس هناك اي مذهب لهؤلاء العرب وليس لهم اي نظرية عالمية ولا فكرة خاصة إلاَّ ما يجب ان تستوحيه العرب من القواعد الأولى التي ارساها ورفعها الداعية الالهي والموحّد الأول ابراهيم الخليل عليـه السلام إعلامـا بمقصدها وبياناً لمنحاهـا في التبشير بالاسلام « واذ يَرفعُ إبراهيمُ القَواعـدَ مـن البيت واسماعيلُ ربَّنا تقبّل منّا إنـك انـتَ السَميعُ العَليمُ » سورة البقرة ـ فقواعد ابراهيم الخليل هي الأساس وهي قطب الحركة التاريخية في توحيد امتنا ٠ ومن ذلك يجب أن نعلم ان كل ما يبثه المشككون وكل ما يقال وما قد قيل من تشويه العرب قبل الاسلام هو افتراء وكذب على الحق وابتعادٌ عـن ادراك المعنى العميق لشعائر الصفا والمروة والرمز العالي في الحجر الاسود الذي يحمل بشارة الوحدة العربية وعلامة توحيد الله وتوحيد الأمة الاسلامية ٠ إن قلم التاريخ قد حملته انامل رسول الله ابراهيم الخليل الناهض من تراب الارض العربية في الرافديـن ليخط على الحجـر الاسود رمز الوحدة العربية الاسلامية متمثلة بالقلوب التي تهفو والايدي التي تلمس والشفاه التي تقبّل وقد ظلت هذه القواعد ثابتة راسخة منذ نوح عليه السلام ومنذ ارادها الله ركيزة وجود لا يندثر في بناء العرب الديني : فانا وان كنت لازلت اتحدث عن تكوين العرب الخاص فاني لن اتكىء على التعصب العنصري ولا اتفاخر بصفاء الدم ٠ وقد اصبح ذلك امراً صعباً بعد ان ازال الاسلام فوارق الطبقات بين

الناس واعلن تحرير الخلق من كلّ ظلم · ومع أنا واثقون من وحدة أمتنا السلالية ولكن الفخر كلّ الفخر يجب ان يكون بشرف الاسلام ، وبما تستطيع امتنا العربية ان تمثله من العدل الالهي الكامل في حكم الاسلام اذا اقبلت العرب على حمل هذا اللواء في هذا العصر · واستأنفت مجدها الاسلامي ·

إن هذه الأمة هي امة الشرائع والسنن والديانات الصادقة وقد جربت نظماً دينية وزمنية سماوية وغير سماوية · وكانت في كل عصر وفي كل زمان متأهبة للبذل والفداء في سبيل العقيدة والمثل الاعلى · وقد ورثت امتنا العربية من تاريخها القديم هذا التطلع الديني والادراك الروحي فرفعت لواء الجهاد بكتاب الهي منذرة ومبشرة الى الناس كافة · والمتتبع لبقايا الزُبُر والالواح في اريدو وبابل · ومن ينظر الكتابات والرُقُم في آثار الحضارات العربية القديمة منذ عاد الاولى في الجزيرة العربية ومصر ووادي الرافدين وديار الشام وغيرها ينكشف له التأمل الديني الذي تحيا عليه وجودات العرب في كل اطوارهم ويُدرك التقاليد والأسرار والقوانين والنُظُم الدينية التي استلهم العربي عناصر بقائه منها وبعد ذلك سيفهم ان جيوش أمتنا ما كانت يوما من الايام لتنطلق من اجل الوحدة ودمج فروعها بالاصل الواحد وإزالة الفُرقة وتحطيم الحدود إلاّ (بدفع ديني) · وحتى نبوخذ نصر العربي البابلي فانه لم

يسيّر الجند ويوحّد أرض العرب كلها ويهدم حكم اليهود الباطل وهيكلهم في بيت المقدس الا بشعور ديني ضد المجوسية واليهودية يومئذ ٠

فاذهب الى التاريخ القديم وتأمل الموجات السامية العربية المنحدرة من الجزيرة العربية بكل اسمائها وحُقُبها لتقنع بالتفصيل الناجع لهذه المُجملات المختصرة خاصة عند التوفر على درس التاريـخ (المجسم) الملمـوس في ـ الحفائـر ـ والمتاحف ـ فان قصور العلم بتاريخ العرب القديم ٠ واهمال التفكير بحياة العرب وحضاراتهم قبل الاسلام هو المأخذ البين على كل متسرع في الاجتهاد بدون ان يدرس تاريخ العرب ويوازن بين ماضيهم في حضاراتهم العديدة وبين حاضرهم الوجودي الذي هو ثمرة تطورهم الروحي في ادوار حضاراتهم كلها منذ تحركوا من هذه الجزيرة شرقاً وغرباً ٠

فلا شك ان كلامي هذا مقصود" به امّةُ العرب واحدة بدون تجزئة اقليميّة ٠ ومقصود" به أيضاً ان يلتزم كل داع مسلم بترويج الوحدة العربية والدعوة اليها كقاعدة للزحف الاسلامي وقوة فعالة مستمرة لتحريك تياراته في كل وجهة من العالم ٠ ومقصود به على كل حال أن يشعر الداعي المسلم بصفاء الاخوة الاسلامية التاريخية العربية ويفهم علاقته الابدية بلغة العرب ووجودهم وميراثهم الخلقي عندما يكتب أو يخطب أو يبشر بالاسلام ٠

انما نطلب الوحدة العربية ونسعى اليها بان تكون متمثلة بوحدة الواقع العربي الاسلامي المتجلي في الاندماج التاريخي بين العرب والمسلمين • والمنطوق البديه لمعنى هذه الحقيقة هو روح الاسلام النابضة في روح الأمة العربية • ان خصائص اللغة والتاريخ ووحدة الكيان الارضي والانتماء السلالي • كل هذا يجب ان يكون لازماً للزوم واحد معلوم يعرفه اولو النهى والراسخون في فهم التاريخ العربي ــ واعني به الزخم الروحي الدائم المتصل الدفع والتأثير المنصلت من قوة الاسلام الذي يوجه تاريخ العرب ويسيِّره ــ اريد ان أؤكد أن ــ الداعية الاسلامي ــ لا يستطيع ان يكون صادق الدعوة للاسلام اذا لم يفهم هذه المعاني واذا لم يمزج افكاره ومشاعره وهدفه الديني بطموح الوحدة العربية والركون اليها •

فاذا صفا الفكر العربي من غبار الثقافات الاجنبية التي يقوم بترسيخها المستعمرون في ذهن الأمة واذا انعكس الالهام القرآني على وحدة العرب وتشريعهم وجنديتهم واذا توحدت امة العرب باسم هذا الوجود الروحي العربي الذي يشع من التاريخ الاسلامي • واذا اندمجت بعالم الاسلام اندماجا قسرِّياً جبرياً بالمدلول العملي لهويتها التاريخية المعروفة يومئذ • فكل داع لهذا الدين سوف يستيقن بانه يجب ان يحيا ويتحرك ويتنفس ضمن امة العرب الواحدة • وسيجد وجهه سواء كان ابيض ام اسود ــ يزهر ويلمع في منظومات فراقد الهداية العربية الاسلامية الدالة على الحق • فلا بد

اذن للداعي المسلم – غير العربي – ان يعود الى التاريخ العربي القديم على امتداد مساحات ارض العرب وعلى مدى تدافع الهجرات العربية الأولى وان يتعرف على العربي وهو يرعى الابل والماشية أو يجول على ظهر جواده في حالات السلم أو الحرب أو عندما يكون يعمر الارض في الصحراء والسهول والوديان والجبال وعلى جوانب الانهر . واذا اخلص النظر الدقيق الفاحص في ادراك المعلومات التاريخية المُسلَّمة . واذا عرف التشابه والتجانس العرقي بين الموجات العربية العظمى التي بنت الحضارات الاولى فيما بين النهرين (العراق) وفي مصر واليمن والحبشة والصومال وساحل عُمان والجزيرة وشمال افريقيا كما ذكرنا آنفاً. واذا ربط بين ملامح طقوسها واديانها السالفة وقارن بين النبوات والملل والنحل والديانات التي برزت فوق هذه الارض العربية . فانه سيعتقد اعتقادا جازماً لامرية فيه بوجود الطبيعة الدينية في فطرة هذه الامة ويؤمن ايماناً خالصا بان العرب لا يمكن أن يخترقوا هذه التخوم والحدود التي وضعها الاستعمار إلاّ بالكتاب السماوي – القرآن – المشتمل على كل الخير الذي يسعى الانسان له منذ وجدت البشرية على هذه الارض .

فالداعية الاسلامي اذا تروّى في اصول العرب الحضارية دارساً ومتدبراً واذا تأمل في التاريخ العربي القديم واعيا ومتفهما فسوف يتمسك بامة العرب الواحدة ذات الوجود

الديني الفرد العريق وسيشعر بان الماضي الزاخار بالقيم والمعاني وروح الجهاد الذي يسوق العرب الى التجمع والارتباط هو الذي يحرك القلب العربي المطبوع على الاجتماع والجماعة النافر من العُزلة والرهبانيّة والذل والانانية والاستئثار ٠

نعم سيحس بهذا ويعقله كل من أراد ان يعلم ويتبصر فان تاريخ العرب قبل الاسلام بكل عصوره وحُقبه قد كان اعداداً وتهيئة للعقل العربي وتدريباً وترويضاً للروح العربية على سماع النداء الالهي الموجه الى العرب ـ بالقرآن المجيد ـ لتبليغه الناس كافة ٠ إن الله قد حضّر هذه الأمة وهذّبها وكمّلها لتكون امة وسطاً ٠ ولا بد لبلوغ ذلك والنهوض به من الحساب التاريخي والامتحان القهري والعناء الشديد في مسيرتها الزمنية البعيدة المدى مما يُخيّل الى الداعية الاسلامية غير العربي التصورات النائية عن الواقع فيُصدر الأحكام حول التاريخ العربي فيما لم يُدرك ولم يعرف ولم يبلغه علمه ٠

ولكي يفهم الداعي الاسلامي هذه الحقائق الناصعة فيجب ان يُقرنها أيضاً بان الاسلام لا يمكن إستئناف حكمه وبعلمائه ومبلغيه وجيوشه بدون وحدة العرب ٠ فوحدة العرب هي وسيلة الاسلام وسبيل انتشاره ٠ وعندما كانت الأرض العربية في جميع اقاليمها مقسمة ومقطعة الى ممالك وامارات وعندما فرضت الدعوة الاسلامية دمجها واعلان الحكم

الاسلامي فيها لم يوحدّها ـ مقتحما مغيراً ـ إلاّ جيش" عربي" يحمل العقيدة الاسلامية اطلقه اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام · يدك الحدود ويقيم دولة الاسلام الواحدة · لقد كانت فكرة الوحدة العربية هي المتنفس لخيول العرب المسلمين التي محت بسنابكها الحدود بين الممالك والاقاليم فلم يوقف غاراتها لا بعد" ولا قرب" · اذ كان جيش العرب هذا عسكراً قرآنياً فاتحاً قد اتخذ من وحدة العرب قاعدة لانارة العالم بالاسلام والقرآن · وقد جعل من ارض الكفر مغاراً لفرسانه وميادين حطم في ساحاتها اعظم دولتين في تلك القرون · أريد أن اقول · إن اكثر الدعاة الاسلاميين يجهلون كل الجهل تاريخ العرب القديم والحديث ويقتصرون في معارفهم على استظهار القليل من المبادىء والنظريات والنصوص الاسلامية · ثم يندفع بعضهم في المحافل والاجتماعات يخطب ويتكلم ويخوض فيما لم يعرفه من تاريخ العرب القديم ·

ان كل داعية اسلامي ـ من غير العرب ـ ينبغي ان يعرف ويدرك أو يتصور بحار الدماء الفياضة التي سالت من اجسام العرب في سبيل الاسلام منذ أن أنزل الفرقان على رسول الله عليه الصلاة والسلام · ويجب أن يفهم أنّ العرب كما أنهم قد حيَوا بالاسلام فقد ماتوا من اجله أيضاً الوف المرات · وقد شبعت الارض وحيتان البحار وطيور السماء من اجسامهم سواء" في عصور الفتوح والوحدة والجهاد ام

في أزمان الفرقة والفشل والانكماش والانكسار والمحن الداهمة منذ هجوم المغول وحتى ايامنا هذه ٠

الذي لا يقرأ التاريخ العربي القديم والحديث ولا يُلمّ بالمجتمعات العربية ولم يطّلع على مشاعر العرب في حياتهم البدوية والحضارية فانه ليس جديراً بالمنابر الخطابية للكلام حول العرب ٠ وليس اهلا لاصدار الفتاوى في ماضي العرب وتاريخهم حتى لو بلغ كلَّ مبلغ في دراسة الفقه والأصول ٠ ولو كان من اشهر الدعاة ومن ابلغ الخطباء ٠

من فرّق العرب وقسم اراضيها وفصلها دويلات واقاليم ؟ من اجتمع على هذه الأمة قتلا وسفكاً وتخريباً وتفريقاً ودسا ٠ ولا نريد ان نذكر الثورات الباطنية المانوية وغارات المغول وتيمور لنك والبابكية والحملات الصليبية التي كان العرب وقوداً لها عدة قرون من السنين ٠ فذلك معروفٌ مفصل في كتب التاريخ ٠ ولا نريد ان نذكر ماذا جرى في الأندلس من الذبح العمومي والتنصير الجبري وهتك الحرمات ٠ فذلك معروف مشهورٌ مفصَّل يعرفه كل مسلم ٠ ولكن العاقل الحصيف من دعاة الاسلام يستطيع أن يضرب الأمثلة على تضحيات هذه الأمة في سبيل ـ هذا الدين ـ من واقع (اسرائيل) ومن وجودها على هذه الارض ٠ ويستطيع أن يقف ويقول باعلى صوته ٠ إن جميع المذابح والقتل الجماعي والهدم والتدمير والحرائق والتصديع والتشتيت والفتن ومؤامرات الصليبية واليهودية والماسونية التي

قصمت ظهر الوحدة العربية · كل هذا · لأن العرب امة مسلمة · فالحملة كلها ليست على دم العرب ولحمهم · وليست رؤوس العرب هي المطلوبة بل المطلوب هو دين الاسلام · وهـذه الحرب الضروس ضد العرب وقيام (دولـة اليهود) مدعومة من الدول الصليبية · كل ذلك من اجل هدم الاسلام وازالـة التاريخ الاسلامي واطفاء هـذا النـور · ولكـن هيهات ·

فالمطلوب مـن دُعاة الاسلام ـ غير العـرب ـ التورُّع والتحفظ والفهم والوعي الوجداني عند الحديث عن تاريخ العرب وفي اثناء الدعوة الى الاسلام ·

إن أمة العرب قـد اذعنت للاسلام وايقنت بالتوحيـد الرّباني الخالص الذي لا مندوحـة للعرب منه ولا انفكاك ولا انفصال · بل هو الاسلامُ الذي احال العربي اليه فكان جنديّه المستميت في حمل لوائه · إن القوى الكامنة في صدر الفرد العربي هي الاحساسات الاسلامية ليس غير تحركت بها عضلات أولئك الرجال المؤمنين الذين اوصلوا هذا الدين اليكم في سيلان · فينبغي أن يتوجه الدعاة الاسلاميون الى فهم الحق والواقع في تقدير البناء العربي الاسلامي · ويجب العلم بان الحركة الاسلامية الجديدة من اللازم لها أن تكون متماثلة مع وجود العرب التاريخي ومتجانسة مـع الوثوب العسكري العربـي المدافع عـن الاسلام حينما ينادي منادي الوحـدة العربية المسلمة ومتجاوبة مـع الديمومة العربية

التاريخيــة في الحركة الطبيعيــة الاصيلة الفاعلة المتجهــة بالحياة العربية اتجاها فطرياً الى توحيد الله والايمان به والانصهار في التوهــج الانفعالي لروح الجهــاد والفتح في سبيل تعليم الانسانية وتهذيبها · ولا بد من التسليم بالمنطق الصائب في أنّ تاريخ العرب هو مدرسةُ المثُل العُليا التي تخرّج منها شهداء هذه الأمة · وهو مصدر النشوء والحياة والابداع لكل من يريد أن يسجل اسمه بين السطور المُنيرة في تاريخ الاسلام · ايها الاخوان إن ايقاظ المسلمين وتحريك مشاعرهم يتطلب العلم الواضح باحوال اخوانكم العرب في وحدتهم الدينية · ويستدعي الفهم الشامل لثورات العرب وطفراتهم على سلالم التاريخ العــالمي · والمفروض في كل داعيــة مسلم ان يساوق العروبة ويمشي معهــا في زحوفها وتوقانها وآمالها وفتوحها مزهــوة بانتصار الاسلام · وأن يبثها هؤلاء الدعاة المسلمون امجادها وافكارها المستلهمة من نشوة الظفــر والانتصار والظهور على معاقــل الكفر حتى تستفيق الآن على نداءات الاسلام في حركاته الجديدة · اجل المفروض في كل مسلم مخلص وصادق الايمان أن يبارك العرب ويتفاءل بهجراتهم العظيمة التاريخية ويترقّب بروز هذه الأمة مرة أخرى · إن كتاب التاريخ مندهشون من العمق التاريخي الأكبر الذي استقرت فيه امة العرب ومندهشون من هجرات العرب الكثيرة الواسعة الموغلة في القدم التي لا يمكن تحديد بداياتها · فما من هجرة عربية سابقة إلا كانت

هجرات عربية اخرى سابقة لها ومتقدمة عليها في صُور واسباب من التطلعات الروحية المغروزة في طبيعة هذه الأمة ٠

وكل حكم في هذا الدين ٠ وكل قاعدة من قواعده ٠ وجميع شعاراته وعقائده وعباداته تنطق جميعها بوجوب الوحدة والاتحاد ونبذ الغش والكذب فيجب الحذر من دسائس المتغلغلين في امتنا تحت ثوب الاسلام لكي يفرّقوا ويعيثوا فساداً في الفكر الاسلامي ومتذّرعين بالاسلام للغضّ من العرب والاستهانة بقدرهم والانتقاص من مفاخرهم في الجاهلية والاسلام ٠ والحط من تاريخهم وأيامهم العظيمة وكيانهم الواحد الذي هو مسرح (الوجود القرآني) على هذه الكرة الأرضية والمرتبط به والملازم له بالوصل الابدي الازلي الذي قد جعل من العربي جندياً قرآنياً ــ مكلفاً بنظام الاسلام ٠ وجعل من القرآن المجيد ــ حياة ونوراً ــ في كيان العروبة المسلمة ٠ وبعد الفراغ من قراءة هذا الموضوع في ذلك الاجتماع ٠ تقدم مني رجل من اهل المعرفة في الفلسفة الاسلامية والجدل والكلام ــ واسمه الشيخ محمد ضياء الدين الكَيلاني ــ اصله ٠ من كَيلان في شمال ايران وقد سكن آباؤه الهند منذ زمن طويل فأخذ يجادلني محتجاً باشكالات مختلفة حول كلمة ٠ الوجود القرآني ــ وحول ــ كلمة الشعوبية ــ فتكلم ساعة كاملة ــ بالعربية فلم اعرف ماذا كان يقصد فاستعجم نُطقُه وغمُض مطلبه فطلب منه الاستاذ (زروُق محمد زروُق) أن يفصح عما يريد باللغة

الانكليزية فاضطرب ولم يفلح في شيء فتعجَّب الحاضرون من ذلك ثم علموا أنه قد أرتج عليه ولم يكن على علم بالكلام العربي واساليب التعبير • فتوجه الي الأستاذ (زروق محمد زروق) وقال لي • إن جميع الاخوان الموجودين يدعونك لتوضيح غرضك من كلمة ـ الوجود القرآني ـ ومن كلمة ـ الشعوبية ـ فقلت إني اعني بالوجود القرآني هو الصفة الالهية الايجابية الكلامية القديمة الموحى بها من قبل الله تعالى الى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام • فالوجود القرآني علَّة" فاعلة" وجوبية الوجود في قِدم الصفة والموصوف وفي تماميّة المعنى في لفظ ـ الأحدية الالهية والوحدانية الصمدية • وهو نور الألوهية المعبودة بخالص المعرفة المكتسبة من الوجود التشريعي المرسوم في الوحي المنزل على رسول الله محمد عليه الصلاة ولسلام • والوجود القرآني ليس وجوداً إمكانياً اي ليس للَّفظ القرآني ما هية منتزعة من مفهوم الوجود الامكاني الحادث المعلول المتساوي الطرفين في ضرورة الوجود والعدم ولم يكن له (حَـد") لتشخيص كينونته في ظهوره اللَّفظي المحسوس الاعجازي بالانتزاع من حصص الوجود وحظوظه العامة أو الخاصة بأن يكون له حد الماهية الممكنة وتعريفها • ولا هو صورة ذهنية مقتبسة من الوجودات القولية المتقومة باركان القواعد الارادية العقلية البشرية • اذاً هو ـ اي الوجود القرآني ـ ليس (ما هية) ولا مفهوماً معلوماً من مسرح الوجود الامكاني • بل هو وجود الهي بحت فلا زمان معيَّن متخصص بالحركة الدورية يحويه أو يضمه ليغيَّب فيه أو يختفي فيتلاشى في

تقادم الزمان وينعدم في دوراته وتغيراته وتقلباته · ولا مكان من عالم المحسوس يبرزه ويُتعرَّف به ويشار اليه منه ثم يزول بزواله ويفنى بفنائه بل إن القرآن كلامُ الله ـ وهو قديمٌ ـ لا تدخل الفاظه وكلماته في (غيابات) الأزمان والآباد والدهور لآن الآباد والآزال والدهور هي اوعيةُ الكائنات العلوية الامكانية من الارواح والنفوس المفارقة واهل الملكوت · وهي أيضاً مفاهيم اعتبارية قاصرة عن مرتبة الوجود القرآني الذي لا وعاء له لأنه متجرد ـ بالصفة الالهية ـ عن الاشياء والامكانات · وأنه عندما يتشخَّص في التعيُن اللّفظي بحروف القرآن وكلماته ومعانيه ودلالات آياته ونظم جملها فانه يتشخص بكمال الابداع الالهي المطلق وليس بالحدوث الزماني وإمكانية الخِلقة الشيئية من المعلومات واشباح الوجودات الطبيعية والماهيّات المحدودة من الوجود الامكاني ·

وقلت · إن من رحمة الله تعالى بنا أن ظهر النطق الرحماني · ونزلت المعجزة الربانية بلساننا العربي الذي هو اكسير الحياة العربية الاسلامية وسمطُ التاريخ العربي وكنهبقائنا الذي نواصل به ـ وحدتنا ـ وتتعارف به اجيالنا · فالوجود القرآني ـ باللفظ العربي هو علم الله الذي انفطر به الوجود التكويني العقلي · والفكري والنطقي لأمة العرب · وصدعت الارادة النبوية المحمدية الرسالية بالتشريع التكليفي الاسلامي مُبْيّنة بهذه اللغة العدنانية الدهرية الباقية ما بقي الكون · ولا زال اعجاز القرآن

علّة الهية لتوحية العرب من آجل بذل الارواح في تعيين المجرى النفساني والمسير العقلي والروحي للدعوة الاسلامية في العالم عامة وتوجيه طباع المسلمين في مقامات التشريع والنُظم والقوانين الاسلامية الضرورية التنفيذ • وهذه هي غاية الاسباب والعلل لوحي الامر الالهي بهيئة اللفظ العربي وصورة الكلام القرآني وتركيبه تركيباً خاصاً مصوغاً بيد القدرة الالهية التي احكمت آياته وفصّلتها • فالغاية من وجود العرب هي تقويم (الماهيات) البشرية المدركة العاقلة بالوحي التشريعي الاعجازي الذي نفذ الامر الالهي به على امة العرب أن تكون هي المعلمة والمرشدة والمنذرة والمبشرة به وأن تعرضه ـ دعوة اسلامية ـ ساطعة النور من كلمات الله التامات بدوام قوة الفعل العربي الاسلامي المستنير بالصفة الالهية المتلألئة بالوحي القرآني كأنها قناديل من نور العرش يشع منها الامر القرآني وتظهر الطاعة النبوية المحمدية لينكشف بها وجود العرب وحدة وتوحيداً وعدلا وصدقاً وجهاداً وفتوحاً بدعوة الفلاح والخير والصلاح والسلام •

وعند التأمل في هذه الحقائق فاننا سنعرف عظمة النفس العربية المتميزة في الاختيار القرآني لها لتستجيب لامر العزة المنطوق بلسان العرب ولتلبي نداء الله تعالى الملفوظ بالعربية الى الناس كافة • فقامت العرب ليموت اربعة اخماسهم تحت بيرق الاسلام في جلاد وجهاد وفي ضرب دراك لرؤوس الكفر استمر ثمانية قرون ـ والى يومنا هذا •

ومثلما كان محمد عليه الصلاة والسلام وسيلة بين العرب وبين الوحي الالهي فان العرب قد كانوا هم حملة البشائر والنُذُر بين النبي محمد والقرآن وبين الناس كافة . وحينئذ فاض الوجود القرآني على جزيرة العرب فانتعشت هذه الأمة بالنور الاكبر مُجبرة جبراً حتمياً على امتثال القضائية الأزلية والتقدير الربوبي فلمعت لدى الملكوت الأعلى ارواح الشهداء العرب المسلمين في خراسان وفارس وفي (ما وراء النهر) وفي افريقيا . واضاء الدم العربي جبال فارس . وآذربيجان . واقاليم الهند . واهتزت الارض تحت خيولنا وشاع الخير والعدل الفرقاني . وطهُرت القلوب ورجحت العقول بعلوم القرآن .

كنت اقول هذا الكلام متعمقاً في الدلالات اللغوية على طريقة ـ الفلاسفة وعلماء الكلام لأني قد كنت اخاطب ـ بين من اخاطب سبعة أو عشرة من علماء المسلمين ـ قد كانوا يستبحرون بعلومهم العقلية ويستقصون الغاية البعيدة في محفوظاتهم النقلية ويدورون بأحاديثهم دائماً على اصطلاحات المناطقة وعلماء الجدل ـ الكلامي ـ ومنهم الاستاذ الشيخ محمد ضياء الدين الكَيلاني . وقد استغرب الكثيرون من هؤلاء الحاضرين ـ ما عدا العلماء ـ اسلوب هذا الاستطراد وضجروا من الاصغاء الى هذا التفسير الذي لم يفقهوه ولم يتعودوا سماعه .

ولا بد من القول ـ وانا اقرر هذه الحقائق العُليا في منزلة الترابط الأزلي الأبدي بين الكيانيّة اللغويّة .

الروحية · التاريخية · العربية وبين الوحي القرآني الاعتقادي والعبادي والتشريعي ـ إن ثمة وصلا حتمياً لزمياً بين ذهن العربي وعقله وبين البيان القرآني (وحساً) إعجازياً ورثه العربي من تاريخ اللفظ العربي ـ القحطاني الحمري ـ والعدناني القرشي ـ ومن سجايا آبائه واجداده ومن امجاده واياه التي تفيض من بحر البيان العربي نثراً وشعراً · فكأن العربي عندما يسمع آيات الكتاب المنزل يدرك من لفظ القرآن هيبة الخرق الكامل للناموس اللغوي والتحدي التام للفصاحة المشرقة من السنة الخطباء المصاقع والمتناثرة درراً من قرائح الشعراء العباقرة ·

قد كان العربي اذا سمع كلام الله تعالى في سبك الكلمات القرآنية فانه يفهم سريعاً بكل منافذ قلبه وحكمة عقله جميع مقاصده واغراضه وغاية دعوته · لأنه قد كان يرى جُمَلَ القرآن امام بصيرته من شدة وهجها البياني ونصاعتها البلاغية · ومن قوة النور الاعجازي الساطع بين الحروف كأنها لوحاتٌ من البلور الذي لم يُعرف في هذه الأرض · وكأنها سُرُجٌ مشتعلة بالتكوين الفريد في التركيب الأسلوبي القرآني لتنير الوجود امام عيني العربي · وتنير فطرته بعلاقة الوجود الشرطي بين حياة العربي البشرية السلالية واللغوية والوجدانية والتاريخية وبين نزول القرآن والوحي به · ولهذا السبب فقد فعل القرآن في العربي معجزة كبيرة ثانية ـ غير المعجزة القرآنية ـ هي معجزة الفتوح العربية الاسلامية · اذ انشقت الارض العربية عن ألوف

الألوف ـ في كلّ غزوة ـ من حدود الصين الى حدود اوربا ـ من كرام الأصول والفروع وصرحاء الأرومات العربية الذين قتلوا شهداء في سبيل هذا الدين فضاقت خراسان وارض فارس وما وراء النهر والسند ومكران وافريقيا بأجسام العرب النازفة بدم الشهادة والفداء تحت راية القرآن ·

فبعد أن كملت الأيام الأولى من التبليغ الاسلامي الفردي · وبدأ التبليغ الجماعي ·

فلقد تداعت العرب ينادي بعضها بعضاً فتجاوبت مع النداء القرآني فكانت هناك معجزتان معجزة التنزيل الفرقاني · ومعجزة الانفعال الادراكي في عقل العربي وفي قلبه وفي حواسه ـ لشريعة الاسلام ـ فتعالت نخوة القبائل العربية تحفز الهمم وترهف الشعور بالعزة والبأس للهبوب والانتفاض شرقاً وغرباً ملبية دعوة الله فخرج ـ ثمانون بالمائة ـ أو اكثر من هذه الأمة ليسقطوا من ظهور خيولهم قتلى وجرحى بسيوف الكفار دفاعاً عن هذا الدين وجهاداً في دعوته · هذا هو الذي يقوله التاريخ ويقره الواقع · وكانت العرب قد جاءت الى مدينة رسول الله مبايعة طائعة · وكانت تلاعب الأسنة والرماح وترتجز على صهوات الخيول متمرسة في القتل والقتال ومدربة على الرمي والطعان ومحنكَة في ركوب الأهوال ومكابدة الصبر في الشدائد فلم يكن العرب ـ بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام محتاجين الى معسكرات تدريب ـ أو الى ندوات للتوعية الحربية ـ

بل إن الآيات القليلة المعدودة التي كان العربي يسمعها عالماً بها واعياً لمعناها بصيراً بآداب التلقي والاصغاء والفهم سواء من فمه الشريف عليه الصلاة والسلام • أو من افواه صحابته الميامين والتابعين الصالحين فانها قد كانت تتوهج وتلمع وتشتعل بالنور في روحه فينطلق مكبّراً مهللا بالقرآن الذي انتظمت في عقائده وعباداته واحكامه وقوانينه حياة العربي المسلم الجديد •

والملازمة الشرطية البديهة الحاصلة بين الوجود القرآني وبين الوجود السلالي العربي ـ فوق هذه الارض ـ تفرض علينا الاعتقاد بأن العربي قد اختير في القضاء الالهي ليكون جندياً لهذا الدين وداعياً له • ولكن من الواجب علينا أن نقول أيضاً • ان كل عربي يستنكف من هذه الحقيقة ويتكبر على الايمان بها ولا يعتقد بضرورة الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان ولا يتوجه الى الاقتداء بالسيرة النبوية والهاماتها العظمى المتجلية في السنة العملية (والقولية الصحيحة) فهو ليس من هذه الأمة ولا يحق له الانتساب اليها لأن (العربي) المتنكر للاسلام والمستهين به والجاحد له فهو مسخ كريه وموجود" فاسد الفطرة وزائغ عن الحق • فالعربي إن لم يجد حياته في هذا الدين فانه لا حياة له بعد ذلك يجدر الدفاع عنها والموت من اجلها اذ أن في عنق (العربي) عهداً لله سرمدياً يلزمه القيام بهذا الديـن والدعوة له والجهاد في طريـق التبشير به فاذا نقض هذا العهد وخاس بذمته فانه ـ اما

أن تدفعه خيانته الدعوة الاسلامية الى الكفر بالله والمروق من حوزة الايمان أو يلبس ثوب النفاق مداهناً كذاباً خبيث الطوية يدعي الاسلام وهو ليس بمسلم . وبعد ذلك فانه لا يمكن أن يحسب له وجود في صعيد التاريخ العربي لأن الاسلام هو غاية الوجود العربي . وهو علته التي وجد بها ولها .

وقلت هنا . إني اقرر الآن هذه المعاني الواضحة لتذكير هؤلاء العلماء الذين يتحدثون في ـ اجتماع ـ جماعة التبليغ الاسلامي السنوي ـ عن تاريخ العرب قبل الاسلام بكلام لا يطيب لنا ـ نحن العرب المسلمين ـ الذين نربط دائماً ونوصل وصلا مستمراً في كل افكارنا وابحاثنا الدينية والتاريخية والفلسفية واللغوية ـ بين العروبة والاسلام .

وقلت . لقد كان للعرب ـ قبل الاسلام ـ رسوم وقواعد خلقية وحضارات ومثل عليا تتمثل باقراء الضيوف والغضب للعرض والدفاع عنه بالدماء والأرواح والموت في سبيل الجار والمستجير والتمسك بشرف العهود والوعود . وقد كان ـ العربي يستغرق المعاني الاعجازية البلاغية من فم الرسول عليه الصلاة والسلام فكان يستشعر لفصاحة القرآن وقعاً عميقاً مع كل نبضة من قلبه . فليس ثمة أي حق ـ لأي داع اسلامي أن يتخذ من منابر الخطابة الاسلامية وسيلة للتزوير والدس على تاريخ العرب قبل الاسلام ولم يكن في هذا الزمان اي سبب للقدح والطعن والتشكيك في امجاد العرب وفي قدراتهم على حمل الدعوة الاسلامية والتشاؤم والتنفير من

الوحدة العربية واستبعاد حدوثها وتخويف المسلمين ـ غير العرب منها ـ الا دسائس اليهود والدول الاستعمارية المعادية للعرب والاسلام والروح الشعوبية القديمة التي اخذت تتجدد في هذا القرن بأردية مختلفة وافكار متلونة لتخدع الغافلين من المسلمين والمرتابين بالتاريـخ العربي فتدفعهم الى التهور والهذيان بالكلمات المكررة في ـ كتاب مثالب العرب ـ الذي الّفه ـ الشعوبيون ـ في اوائل القرن الثالث الهجري ونسبوه الى عبيد الله بن زياد بن (ابيه) في القرن الأول الهجري ٠ ولعل من اغرب المواقف في مجالات التبليغ الديني ـ في الكثير من المجتمعات الاسلامية ٠ هو أنّ الخطيب الاسلامي (لا يمكن ان يُعَدّخطيباً بارعاً) ولا يمكن أن يشار اليه بالاعجاب والتشجيع ٠ ولا يمكن ان يكون مشهوداً له بالسخف والثرثرة واستبطان النفاق والمدالسة والخديعة بدون أن يقدم لكلامه فوق المنبر (صرخات مبحوحة) في شتم العرب والسخرية بهم وقذف حرائر العرب وتشويه النسل العربي بالبهتان والكذب المقصود والروايات المختلقة التي تعج بها مؤلفات الشعوبيين ورسائلهم واشعارهم ٠

وعندما أريد مني أن أقول كلاماً في تعريف ـ الخطيب ـ الشعوبي ٠ قلت ٠ إن المتكلم الشعوبي ـ سواء خطيباً كان ام ناثراً كاتباً ام ناظماً شاعراً فانه هو الذي يتدرج بادئاً بشتم العرب في (زمن الجاهلية) متذرعاً بالأباطيل والتهم الكاذبة والافتراء ثم يوغل ـ بعد ذلك ـ في سب العرب عامة

وينتقل حينئذ الى شتم اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لاظهار عقيدته الباطنية وبيان غرضه الفاسد ولذلك فقد وجب أن نقول • إنك تستطيع ان تعرف الشعوبي وتخبر دخيلته وتحس بحرارة صدره الموغور بالعداء والبغض من اول كلمة يقولها أو يكتبها أو من كل اجتهاد سياسي يصدر منه أو من أية دعوة دينية يبطّنها بالغش والمخاتلة • فالذي يرفض الحكم الاسلامي فهو شعوبي وكافر مارق • والذي لا يؤمن بالوحدة العربية هو شعوبي• والذي يُقرّ الحدود بين اقاليم العرب هو شعوبي • وكل مسلم يكره العرب ويستخف بتاريخهم فهو شعوبي حتى ولو كان من اعرق القبائل اصلا ونسباً • لأن النزعة (الشعوبية) ليست وقفاً على جنس دون جنس فاننا قد وجدنا طوائف من العرب الأقحاح تدين بالمبادىء الشعوبية وتدعو لها •

واذا فهمنا أن الحركة الشعوبية حركة سياسية تتبنى كل (مذهب) يناصب الاسلام والعرب ويتوسل بنزعات وافكار (اجنبية) عن الدين الاسلامي من المانوية والمزدكية والخرمية والزردشية والمذاهب السياسية التي تجعل الالحاد عقيدة لها فاننا سندرك أنها ليست محصورة في قوم مخصوص أو في جنس معيَّن • والشعوبية قد وُجدت من زمان قديم ـ قبل الاسلام ـ في صدور فئات من الناس تعادي المجد العربي وتحقد على العرب وكانت الدول الفارسية تنميّها وتقويّها وتشجع القائمين بها ثم انها بعد ذلك قد برزت في العهود

الاسلامية بحركات سياسية فعالة · وكان من اشدها ضرراً على هذه الأمة هي الثورات التي قام بها الغنوصيّون وثورة ابي مسلم الخراساني وثورات الخرميّة (وثورة الزنج) وحركة يعقوب بن الليث وامثال (هؤلاء من الشعوبيّين الذين قد كانوا يجولون في ميادين عديدة تحت ظل ـ السامانيين والغزنويّين والبويهيين والسلاجقة الى غير ذلك من اساليب الشعوبية) المنبثة بافاعيها الرقط وعقاربها السامّة في كلّ قطر من اقطار العرب والاسلام ·

وبعد هذا فان (الشعوبية) تفكير سياسي قائم على بغض العرب والحقد عليهم · وتيارها موجود" في كل زمان ولا يخلو منها قطر من اقطار الاسلام · وقد اخذ الشعوبيون ـ في هذه السنين ـ يبذرون افكارهم في رؤوس المسلمين ـ الجُدد ـ من اوربا وامريكا واليابان · وقد شعرنا بهذه الظاهرة ورأيناها ونحن على حذر شديد عند قراءة التاريخ وفي اثناء كتابته · وحذرون عند الاصغاء لهؤلاء جميعاً وخُتم هذا الموقف الأدبي بتبادل الكلمات الأخوية · وقد آثرت التلخيص والحذف والاقتصار على اللازم الضروري من الكلام الذي ادليت به بين اولئك الأخوة الكرام ·

في دار الثقافة الاسلامية في كولمبو

تأسست دار الثقافة الاسلامية منذ عدة سنين وهي جمعية اسلامية يشترك في إدارتها نفر من المسلمين المتعلمين ويرتادها اعداد كبيرة من عامة المسلمين في المناسبات والاحتفالات ويرتبط بها بنشاط وفعالية جمع كبير من الشبان لتعاطي الألعاب الرياضية المختلفة وللجلوس وللقراءة في مكتبتها العامرة المشتملة على بعض المعجمات والمراجع باللغة الانجليزية واللغات الاخرى • وفيها قليل من الكتب الاسلامية العربية • وفيها أيضاً قاعة للاحتفالات وملعب رياضي صغير ومسجد تقام فيه الصلاة في بعض الاحيان • وليس لهذه الجمعية ايُّ نشاط فكري وليس لها اعمال معروفة في مجالات الدعوة الاسلامية • ولا تملك صحيفة تنطق باسمها وما عدا كتاباً واحداً يتضمن صور المسؤولين عن هذه الجمعية ويحتوي تاريخ تأسيسها فلم يذكر لها ايُّ تحرك في هذه البلاد مع العلم بأن المسافة الفاصلة بينها وبين ـ جمعية الشبان المسيحيين ـ وفندقها .Y. M. C A المجهز بكل وسائل (التبشير المسيحي) لا تزيد على ثلاثمائة خطوة • ومع العلم أيضاً بأن (دار الثقافة الاسلامية) قد تكونت اصلا من اجل منافسة هذه المنظمة (المسيحية التبشيرية) التابعة للاستعمار الغربي • وفي سبيل ان تكون دار الثقافة الاسلامية هذه منتدى يؤمه المسلمون للافادة الفكرية وتوجيه الشباب نحو الاسلام •

ولقد سمعت عن هذه الجمعية وانا في ـ كراجي ـ قبل وصولي الى كولمبو بثلاثة ايام اذ حدثني عنها بعض السيلانيين عندما اراد ان يرشدني الى التعرف بالوجهاء وحملة الافكار من المسلمين • وفي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ الموافق ٢٦ تموز ١٩٧٣م • دخلت دار الثقافة الاسلامية زائراً وعرّفت نفسي لبعض الموجودين فيها فرحبوا بي • وكنت قد صادفت انعقاد احد الاحتفالات بمناسبة لا اتذكرها الآن • وقد ظن هؤلاء الاخوان باني تاجر من التجار العرب وقد استغربوا إبقائي على اللباس العربي اذ لم يألفوا قبل ذلك رؤية العقال والكوفية وعباءة العرب في هذه الجمعية • وقد رأيت اول الامر ـ عندما اقبلت وسلّمت ان الموجودين في قاعة الجلوس كانوا مشغولين بالكلام فلم يفسحوا لي في المجلس على كرسي من الكراسي ولم يقدمني احد منهم الى اتخا مكاني بينهم • فتجولت قليلا في المكتبة وفي بعض الاماك والاقسام ثم خرجت • لكني عدت الى دار الثقافة الاسلاميه بعد يومين من ذلك الوقت • وعندما دخلت قاعة المحاضرات هذه المرة جلست لاستمع الى شخص يدعى (الجيلاني) ـ وهو مسلم متعلم يمثّل (الجماعة الاسلامية) وقد هاجر من الهند بعد التقسيم ولا يزال كعضو فعال ملتزم بتوجيهات هذه الجماعة الاسلامية التي يقودها السيد أبو الاعلى المودودي وذات الاثر الكبير بأوساط المسلمين في كل مكان •

اخذ الجيلاني يشرح بعض الآيات القرآنية مفسراً اياها باللغة الانجليزية وحينما رآني جالساً بجنبه قطع كلامه وسلم

علي وعانقني وكان ينبّه الاخوان الحاضرين الى وجودي بينهم بالرجوع اليّ بين الحين والحين إذ يسألني تفسير بعض المفردات اللغوية ٠

في تلك اللحظة وقعت عيني على مجلة يصدرها القاديانيون باللغة العربية في اسرائيل فرفعتها بيدي وحذرت امين المكتبة منها واخبرته بانها مطبوعة في اسرائيل فخجل الرجل وقال انه لا يعرف العربية ولا يدري من اين تأتي هذه المجلة الشهرية ٠

إن الاخوان السيلانيين المسلمين سرعان ما تخفق قلوبهم وتمتلىء عروق افئدتهم بحب العربي والشغف به وبكلامه اذا ما سمعوه يدعو الى الاسلام ويحدّث بالشريعة الاسلامية أو اذا جلس بينهم يروي قصص التاريخ الاسلامي ويخطب بالعربية الفصيحة فانهم يحسون عندئذ بثقة تاريخية يقينية راسخة في كل ما يصدر عنه من المنطق المقبول وفي كل الذي يدلي به من الآراء والافكار الدينية لأن هؤلاء الناس من مسلمي سيلان قد تعودوا ان يتلقوا اخاهم العربي المتظاهر بالعلم الاسلامي بقلوب مؤمنة وعقول مطبوعة على تفضيل التاريخ العربي الاسلامي واللهج به في كل وقت من الاوقات ٠ ولذلك فلم انكر على هؤلاء الاخوان عندما ارادوا التأكد من قدرتي على خوض بعض المسائل التاريخية واللغوية والدينية فاخذوا يطرحون عليّ الأسئلة ويوردون الاشكالات ويعرضون القضايا الفكرية المختلفة ٠ كان ذلك كله ليفهموا

حقيقة هـذا الزائر العربي اهو تاجر قـد جاء للمضاربة والربح ام هو طالب علم وباحث في تاريخ العرب والاسلام ٠

كان اغلب اعضاء هذه الجمعية قد زاروني عدة مرات في الفندق الذي اقيم فيه ٠ وكان من ابرز اعضائها الذين اكثروا من محاورتي وطرح الاسئلة امامي هو الاستاذ المحامي القاضي السابق حسن محمد ٠ مؤلف كتاب (الطلاق) باللغة الانجليزية ٠ ولقد رأيت في نفوس هؤلاء الاخـوان رغبة قوية لا حد لها في تعلم اللغة العربية واتقان الكلام والكتابة والخطابة فيها ٠ ولكنهم يشكون من موانع وعقبات ومصاعب زمنية واقتصادية وسياسية ٠

ان زياراتي لهذه الجمعية كانت لِماماً وغِبّاً في اوقات قصيرة ولكنني في هذا اليوم قد تعمدت إطالة المُكث مع الاستاذ الجيلاني ومع آخرين من الذين كانوا يريدون مني ان اتكلم لهم عن تفسير ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ وهل انها آية من الآيات القرآنية في رأس كل سورة ٠ وطلب الاستاذ الجيلاني ان اثبت في هذا الكتاب نصوصاً لتفسير هذه الآية واعرابها مختصرة بحيث تسهل المنفعة بها لمن يقرأها في هذا الكتاب بعد ان يترجم الى اللغة الانجليزية أو لغة التمل ٠

نعم ٠ فجميع المسلمين يعتقدون بانها آية فريدة قائمة بنفسها مستقلة لم تكن تابعة لأية سورة من السور التي تفتتح بها حتى بالنسبة الى سورة الفاتحة فهي حد عازل بين كل سورة وسورة وكذلك فان البسملة الواردة في وسط

سورة النمل هي آية" فريدة" باجماع المسلمين وعلى هذا اكثر مذاهب المسلمين • واقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام وانقياداً له واتباعاً وطاعة فقد وجب علينا ان نفتتح اعمالنا ورسائلنا بهذه الآية العظمى • ولأن رسول الله قد كان يبدأ كتب الدعوة الى جميع عظماء العالم بهذه الآية وبسبب كونها مشتملة على اسماء الله الحسنى وكنوز الرحمة الالهية فقد لزم ان نبدأ حركاتنا الجسمية والروحية ونيّات قلوبنا الصادقة بهذه المعاني الربانيّة العليا • وحتى من الوجهة التاريخية فان هذا اللفظ العربي ببلاغته الاعجازية وبيانه الناصع قد اصبح يُذكر بكل الألسن التقية الزكية التي لهجت بهذه الآية وتلفظت حروفها أو إبتدأت بها عند مباشرة الاقول والاعمال • فهذه الآية هي شعارُ العبودية ودليل الوحدانية وبرهان الرحمة الالهية • ان القرآن مركز الانوار السماوية على هذه الارض وكنز العلم كله وبحر الفكر الصالح الواقعي • ونحن اذن عندما نُقبل على قراءة الكتاب المجيد ونبدأ في تلاوة الآيات فيجب علينا الاقرار بالعجز والضعف والقصور دون الاحاطة والفهم اذا لم نستمد الرحمة والقوة من الله فنستعين على فهم القرآن والتدبر في امره الاعظم بالله وحده وبرحمانيته ورحمته • فنبدأ بهذه الآية الكريمة (البسملة) • سائلين الحزم في الصبر والتوكل والمثابرة والقدرة على فهم بلاغة القرآن ومعرفة اعجازه الخارق • فكأننا نقول • اننا قاصرون عاجزون عن القيام بهذا العمل الباهر الشاق اي فهم القرآن والائتمار به ، لولا

رحمة الله التي تسهّل لنا ذلك وتمكننا من العلم به والتروي فيه وتصفية القلوب واكمال الاستعداد العقلي والوجداني والخبرة اللغوية والتاريخية وتهيئة المزاج النفساني وإحضار الادراك وحصول القبول لبلوغ المرتبـة المطلوبة في قراءة القرآن وتفسيره فان البسملة في رأس كل سورة هي استعانة" بالله ولجوء" اليه واسناد' القلوب نحوه في سبيل الوصول الى الامر الاجل الاخطر وهو دراسة القرآن ومعرفته والتفقه فيه . فسورة البسملة (مفتاح كل مغلق من اعمال الغيب) .

بهذه الجمل المختصرة المنعكسة من آثار العلماء وفطاحلة التفسير تكلمت للاخوان مطيلا ومفصلا في اثناء المناقشات والدروس القرآنية التي حضرتها في حلقة الاستاذ الجيلاني في دار الثقافة الاسلامية . وقلت للاستاذ حسن محمد المحامي . إن هذا الكلام استرسال" عام واستطراد مألوف" عند المطلعين من المسلمين ولم آت بجديد . وكل تفسير من تفاسير القرآن فانه لا بد من ان يبدأ بشرح واف لتفسير آية البسملة . وبالامكان الرجوع' الى الامهات من كتب التفسير . فقالوا جميعاً اننا لا نعـرف العربية وإننا نقرأ القـرآن مفسَّراً باللغات الاجنبية . وقال الاستاذ حسن محمد المحامي . إنه يقرأ القرآن باللغة العربية ولكنه لا يعرف المعاني والمقاصد إلا اذا استعـان بالتفسيرات المكتوبة باللغة الانجليزيـة . وسألني عن الشروط واللوازم الخاصة بفهم آيات القرآن الكريم . فقلت ان من الضروري دراسة اعراب الآيات دراسة

تامة وفهم مفرداتها اللغوية فهما واضحاً قبل الشروع بترجمة معانيها ترجمة دقيقة ونقلها الى الطلاب • وذلك امر" واجب للفهم الصحيح • اذأنّ الذي لا يفهم الاعراب ولا يعـرف معنى المفردات اللغويـة القرآنية وليس لـه علم بحركات الحروف واصواتها ولا يدرك اصول الاشتقاق والتصريف فان من المتعذر عليه أن يتصدر الحلقات للتفهيم والتدريس وشرح الآيات (ولم اقصد بذلك التعريض بالاستاذ الجيلاني ولقد افهمته الغاية من هذا التعليل بكلام مستفيض آثرت حذفه الآن • وفي اليوم الثاني من هذه الجلسة زارني في الفندق الذي اقيم فيه زمرة من المنتسبين الى (دار الثقافة الاسلامية) وبينهم الاستاذ حسن محمد المحامي • وتكلموا معي كثيراً في امور سياسية وحول الوحدة العربية والثورة الفلسطينية • وتكاثر الاخـوان حولي والتأم منهم اجتماع" علمي ادبي سياسي وتعالت اصواتنا يستوضح بعضنا من بعض ويفسر المسؤول منا للسائل وفي تلك الساعة اراد احد الاخوان أن نعود الى تفسير سورة البسملة العظيمة وكان السبب هو الحديث الوارد المتواتر ـ كل امر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ـ فهو اقطع ـ اي ناقص البركة ـ وهو ابتر" ممحوق • واعاد الاخوان اصرارهم عليّ ان اقدم تفسير آية البسملة كاملة مشروحة ومعربـة وقال الاستاذ حسن محمد • انه يُحس بانشراح في قلبه عميق اذا سمع العربـي المنطيـق الفصيح اللسان يفسّر ويوضح معانـي

القرآن • وحينذاك فقد القيت على الاخوان درساً في اعراب سورة البسملة وتفسيرها •

ومع ان هؤلاء الاخوان قد ارادوا مني ان أثبـــت في هذا الكتاب مطبوعاً ما امليته في تفسير البسملة واعرابها وتفصيل القول في شرح المعنى اللغوي للكلمات العظمى الثلاث ــ اسم الجلالة والرحمن والرحيم • فاني قد رأيت أن الافضل في ذلك عدم تكلف الاطالة في هذه الابحاث السريعة • ومن الممكن الرجوع الى تفاسير القرآن المهمة للتوسع في هــذه المعرفة •

واعود الى القول إني لا استطيع ان اكتب جميع الذي امتلأت به تلك الساعات الاربع وما جت دقائقها ولحظاتها في الافكار والمناقشات • وفي الذي قدمته على هذه الاوراق دليل" على الذكرى ورمز" لشعور الأخــوّة في لقاءات هــذه الرحلة المثمرة بالفكر الممحوض والرأي المنتخل •

بين الحلم والسفاهة

واريدان اقول هنا إني مدين بفضل معنوي للأستاذ نور الدين ولزوجته العقيلة ـ أم ملك ـ التي قد كانت هي السمط القوي الدائم في رحلتي هذه لانتظام الكرائم المسلمات في عقد الندوات الأدبية المختصرة التي كانت (ام ملك) تقيمها في بيتهم من اجل الاستماع اليّ . فانها قد كانت تدعو لذلك المتعلمات الرفيعات التهذيب والعاليات في التربية الخلقية ثم تنقلهن الى بيتها ـ بسيارة الاستاذ نور الدين زوجها ـ ثُلّة ثلة ومجموعة مجموعة لتنثرهن في حديقة منزلها مثلما ينثر اللؤلؤ على فراش من الورود . فتقول لي . هيَّا . دونك . وقل ما تشاء .

وفي هذا الصباح ٢١ شعبان ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٥ أيلول ١٩٧٣ م فلقد اختلط الزهر (بالزهر) وامتزج الرَوح بالريحان ـ والتصقت الورود بخدود العذارى في هذه الحديقة المنزلية التي تجردت اغصانُها من الشوك وعريت من الورق فلبست الأقحوان والآس والنرجس كسوة لها فاشتعلت بمناغات (النواظر النُطف والقلوب البريئة) . وذاب النَور في نُور الكلمات القرآنية تخرج من الشفاه المثقلة بالحياء تحت الأهداب المرتخية بحشمة الخفر ورهبة الخجل . (ووصف الورد هنا ليس بدعة ولم يكن من المبالغة والافراط بل هو العلامة البارزة لأرض سيلان امام كل من له عينان يبصر بهما) .

وقعدت في مكاني • واجلست الأستاذ زروقاً محمد زروق الى جنبي وجلس معنا ستة رجال دعاهم الاستاذ نور الدين مع بناتهم وزوجاتهم • لأن (ام ملك) قد شاءت أن تكون هذه الندوة مختصة بنخبة الواعيات المسلمات ومقتصرة على فئة من الفتيات التائقات الى دراسة الشخصية العربية الاسلامية • والمتسائلات (عن علة الجوهر الفرد) التاريخي الذي جعل القلب العربي قادراً على حمل رسالة الوحي الاسلامي والنهوض بشريعته حتى كأن (الرجل العربي) في هذه الندوة حجر" ثمين أو كتاب" دقيق المعاني اذ قد توجهت عيون هؤلاء النساء وعيون بناتهن تنظر الى وجهي رمقاً وتحديقاً على ما هن عليه من هيئة الجلوس ومن احترام بعضهن بعضاً عند الحذر والحياء امام العربي القادم • ولقد عرفت أن هؤلاء الأخوات لم يجتمعن بعربي قبلي ولم يتحلقن على عربي - قبل هذا اليوم - يسألن ويتحدثن ويناقشن في التاريخ الاسلامي وهو يجيب ويشرح ويفسر ويضرب الأمثلة فيصغين راضيات مطمئنات الى الصوت العربي الجهير بالعربية الفصيحة التي تنفتح لها مغالق نفوسهن •

ووقفت أمُّ ملك ورحبت بي وحيَّت المدعوات • وقالت • إن هؤلاء النساء من حرائر الاسلام في هذه الديار • ولم يألفن الجلوس مع الرجال وهن الآن باللباس الاسلامي • وقد جئن الى هذا المكان للسلام عليك والاستفادة منك • ولازلن يجهلن الحياة العربية الاجتماعية • وهن وان جهلن

العربية يفضلن الاستماع الى الكلام العربي الفصيح لأنه يذكرهن بلسان العرب الذي نزل به القرآن الكريم ويتحرمن اللباس العربي لأنه لباس الأوائل من اجدادنا واسلافنا ·
وقالت · إن العرب الذين يزورون (سيلان) قليلون والأغلب منهم يغيّرون لباسهم وينزلون الفنادق (الفخمة) ولا يعبأون بنا ولا يكترثون للتاريخ الاسلامي ولقد أردت من جمع هؤلاء الأمهات والفتيات امامك أن تستكمل جوانب الفكر والمعرفة والاستقراء فيما تنشده من رحلتك العتيدة هذه الى ـ سرالانكا ـ ثم قالت إن المسلمين السيلانيين لا يتكلمون اللغة العربية ولذلك فهم لم يطلعوا على المجتمعات العربية ولم يكونوا على علم بتاريخ العرب الحديث · والذين يذهبون من ـ سيلان ـ الى السعودية والى الخليج العربي ـ لاجل العمل والاقامة اكثرهم من المتنصرين التابعين للارساليات المسيحية الامريكية والاوربية الاستعمارية · أو من البوذيين الوثنيين الذين تعدّهم هذه الجمعيات المسيحية الغربية الاستعمارية للتنصر وخدمة الاستعمار والصهيونية · وقالت إن المسلمين والمسلمات هنا يتمنون رؤية العرب ولقاءهم والتحدث اليهم · وتكلمت عن الخلاعة والمجون والابتذال الذي غرقت في حمأته بعض النساء العربيات المترفات بالثروة النفطية والمتباهيات بالجهل وحقارة ازواجهن · فقلت لها إن ما شهدته في عواصم العرب من مظاهر الفساد وشرب الخمور والتمرد على النواميس العربية الاسلامية لا يجوز أن يكون سبباً للشك بوحدة هذه الامة وبرسالتها الاسلامية

فاننا موعودون بالنصر والظهور على جميع الامم والملل والنحل من عند الله تعالى · ومن الواجب أن تبقى مشتعلة في القلوب نيران الشوق الأخوي الاسلامي بينكم وبين العرب مهما برزت الى المشاهدة المحسوسة عوارض الامراض الخلقية (العامة) · ثم تكلم الاستاذ زرّوق محمد زرّوق · واخذ يترجم ـ بلغة السنهالي ـ بعض كلماتي الموجزة التي قلتها تعليقاً على كلمات السيدة (ام ملك) · وقال الاستاذ محمد زروق · إن المسلمين السيلانيين يحبون سماع الفصيح من كلام العرب · وإن لم يتكلموا العربية · ولكن طلاب العلوم الاسلامية والمتدينين هنا يعرفون معاني القرآن ويُدركون التكاليف والاحكام الشرعية ·

وبعد أن انتهى الاستاذ (زروق) من كلامه وختم القول بتمجيد الامة العربية المسلمة والترحيب بي · اخذ بعض النساء يتكلمن (بالسنهالية) بعضهن مع بعض ثم توسع الحديث بينهن وصار بعض الفتيات يضاحك البعض الآخر فاستغربت وتعجبت وسألت (ام ملك) فقالت · إن هؤلاء المحتفلات بك ـ المتزوجات والفتيات عموماً قد اجمعن على أن يسألنك عن حياتك ـ الزوجية ـ ويطلبن منك أن تفصّل لهن نظرتك الخاصة الى شروط الزواج الناجح · فقلت إني قد علمت في (سيلان) أن الفتاة المسلمة هي التي تتقدم بالخِطبة الى من تريده زوجاً لها · فالمرأة المسلمة هنا هي الخاطبة والرجل هو (المخطوب) · ومقياس التقدير في خطبة

النساء عندكم لا يثبت على القواعد العامة المتَّبعة في خطبة النساء في سائر بلاد الاسلام فالفحول هنـاك هي الطامحـة للزواج · والرجال هم القوامون وهم الذين يتقدمون الى المـرأة (المخطوبـة) بمزاياهـم الخاصة واسمائهم العائليـة واعتباراتهـم المعينـة المشروطـة لكل فئة حسب مشربهـا الاجتماعي وشاكلتها السلالية والخلقية والاقتصادية · ولهذا السبب فان من المتعذر عليَّ ايراد البيان الواضح المقنع حول مشاكل الزواج والطلاق بين المسلمين في (سيلان) إذ لم استكمل في ذهني بعدُ الصورة الواضحة لعقلية الفتى المسلم السيلاني (وروحيته) ووجدانه في حالة قعوده بمنزله وبين امه واخواته لينتظر الفتاة التي سترسل اهل بيتها اليه فيقرعون باب داره ويخطبونه زوجاً لها ·

قلت هذا الكلام باللغة العربية موَّجهاً الى الاستاذ زروق محمد زروق ليس غير · فقال لي ـ وهـو يغضّ صوتـه ويخفضه ـ احذر أن تقول هذا الكلام باللغة الانكليزية · ولا تترجمه بالفارسية (لأم ملـك) أو للآنسة نظيمة فان هؤلاء النساء المجتمعات هنا اذا ما سمعن منك هذا الكلام فانهن سيجفلن منك وينفرن ويزعلـن غاضبات ويتفرَّقن · ولكن تحدث لهن ايَّ حديث يعن لك عن الزواج والطلاق · وعن اسباب عزوفك عن الزواج ـ بعد الطلاق ـ فقلت له · اني لا أرى موجباً للخوض في هذه الأمور الخاصة وليس هنا اي داع لذلك · فناديت (ام ملك) وقلت لها باللغة الفارسية ـ اخبريني مـاذا تريديـن مني أن اقول في هذه (الندوة) ·

وطلبت منها ان تجيبني بالفارسية أيضاً لتكون هذه الاسئلة والأجوبة القليلة محصورة بيني وبينها • والأستاذ نور الدين والآنسة نظيمة ابنت اخته يجيدان الفارسية أيضاً • وكانا يفهمان ما اقول ويعرفان ما اقصد •

فقالت (ام ملك) إن بعض النساء مـن (فرقة البهرة) يقترحن اقتصار الندوة على الكلام حول الدولة الفاطمية في مصر • وطائفة مـن النساء يرغبـن أن تسرد لهن قصـة زواج فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام • ولكن ابنتي ـ ملك ـ وصديقاتها المعلّمات واكثر الموجودات يطلبن منك أن تتحدث لهن عن الحُب المزّيف المشين الذي يهدم حرمة الرجل والمرأة معاً • ثم اخذت (ام ملك) تتحدث مع الحاضرات بالانكليزية ولغتي (السنهالي والتمل) فقالت لهن إنه ـ اي الضيف العربي ـ متهيء للاجابـة ومستعد للمحاورة في اي موضوع من موضوعات الأدب والفلسفة • والدين •

فما جت الحديقة بالمتنقّلات بـين الكراسي والقائمات والقاعدات الماشيات ليكلم بعضهن بعضاً ثـم رأيتهن قـد اكتظظن على احدى المدرسات الناطقة بلسان حال الجميع فأخذت تكتب السؤال الموجه اليّ • ثم ناولتنيه (ام ملك) • (والسؤال هو) هل وقعت في شرك الحب بعد طلاق زوجتك ؟؟ وهل يستطيع رجل مّا أن يسلم من مكر النساء وغوايتهن في طول ايام حياته ؟؟

فدهشت لهذا السؤال واستغربته وكان طويلا مكتوباً باللغة الانكليزية فقرأته عليَّ ـ ام ملك ـ واخذت تحلفني بأن اتحدث صريحاً بدون لبس ولا ابهام ولا تورية ولا كنايات • وقالت إن من الضروري أن نسمعك تتكلم عن اعمق الهزات الروحية التي رجت كيانك يوماً مّا فحاولت التخلص والاعتذار واردت صرف الحديث الى مورد آخر فأبت (ام ملك) فأعادت رجاءها وتحليفها لي والتماسها بأن اتحدث مطنباً في الاجابة عن السؤال المطلوب • وعلمت أيضاً أن جميع النساء ونور الدين وضيوفه ـ الاساتذة ـ والاستاذ زروقاً كلهم يريدون الاستماع الى مذكّراتي الخاصة بأشواق قلبي • ويريدون أن يعرفوا هل انجرّ عقلي ـ في هذه السنين وانا على ابواب سن الكهولة ـ الى عرصات الخيال الجياش بوساوس الميل الشهواني وهواجس الانجذاب (الى الاجسام الحية والارواح الميتة) •

وقالت الآنسة ـ ام ايمن ـ وهي شابة متدينة وذات ادب ووقار في كلامها وجلوسها ولباسها ـ إننا نطلب منك أن تبعد في محاضرتك هذه عن المطالب السياسية والقضايا العامة • وتخصص كلامك ـ في هذه الساعات القليلة السريعة الزوال من ضُحى اليوم ـ بحديث الزواج والعلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة •

وعرفت أيضاً أن الآنسة ـ ام ايمن ـ تريدان تسمع تفسيراً لمعمّيات الحُب وطلاسمه • وتريد أن تلمّ (بالحكمة

العميقة) في إدراك الخديعة والمكر ومعرفة العبرة من زيغان البصر في فتنة النساء ٠

فمن اللازم إذن أن اقول كلمتي المستمدة من تجربة ـ الكهولة ـ المنطمسة في تكرار الخطأ وتعمد الزلل وركـوب الشطط عند خطبة النساء بعد الهُدى المنير بالتفهم والوعي وبعد قياس البعدين ـ الزماني ـ والمكاني في حياة الفتـاة الجامعية ـ العصرية !!

فجاءت ام ملك (بمسجّل الصوت) ونصبته امامي فشرعت بالكلام المرغـوب المطلوب في سرد خطبتي لفتاة عربية ـ جامعية ! وكنت قـد تعرضت للاحـراج والأذى الروحي والخديعة والنميمة والوشاية المؤذية من قبل ـ البعض ـ فصدفت بوجهي وكرهت رؤيتها وترفعت عن ذكرها ٠

هكذا بدأت الكلام وقـد اردت الاكتفاء بهذه الجمـل المعدودة فلم يقنع الحاضرون والحاضرات واصروا على اطـّراد الحديث ٠ وقال الاستاذ زروذق محمد زروذق إنه سيترجم كلامي الى اللغة السنهاليـّة أو الى لغة التمل ٠ وواصلت قصتي ولكني قد رأيت الاستاذ زروذقاً لا يستطيع متابعتي بالترجمة والنقل الى ايـّة لغة من اللغات الأخرى وقد جلس امامه يصغي وانا مترسـّل ارتجل كلماتي بالعربية الفصحى ٠ حتى صرت كأني لم اتحدث إلا لسامع واحد هو الاستاذ زروذق محمد زروذق الذي لم يحسن العربية احد" سواه في ذلك اللقاء ٠

ولما رآني الاستاذ زروق قد اخذت اترجم بعض اقوالي الى اللغة الانكليزية اندفع جاداً يترجم بنهاية الضبط والدقة كل كلمة تخرج من فمي • فشكرته ووقف على رأسي وانا جالس واخذ هذا المترجم الماهر ـ يلاعب ـ ثلاث لغات ـ بعد العربية ـ اداء وصياغة وإحكاماً للنطق والمعنى والتلفظ فتعجب الحاضرون واندهش المتعلمات من النساء من قــدرة هذا الرجل على الترجمة من العربية واليها بثلاث لغات ـ هي ـ الانكليزية ـ والسنهالية ـ والتمل •

فانفجرت قريحتي وفاضت وانطلق لساني امــام اولئك المتعمقين في الدراسات الأدبية والفلسفية والقانونية وامام الزبدة الصافية من المسلمات المدركات في المجتمع السيلاني • فأخذت اعبّر مكاشفة ومصالحة ـ عن جميع الخلجات القلبية والشعور الخاص المنبعث من نفسي ومن نفس تلك الفتاة وكشفت لهم اجمالا عن (اسباب لم افصلّها) كيف قد انخدع رجلٌ مثلي وانا في سن الكهولة وفي اوج تجاربي وفي علياء الصبر وذروة الامساك عن الهبوط الى سفساف الأمور بهذه الفتاة التي ـ لا نور في قلبها ولا لُبّ في جسمها ـ ولقــد فصلّت هنا كل الذي قلته لهذه الفتاة ولصاحباتها في كلام قد طال واتسع وعمق حتى استوفى شريطاً كاملا بساعتين من الزمان •

فبُحت بالاسرار وصرحت بالغوامض من خواطري الماضية وعبرّت عن كلّ شيء كان يطفح به قلبي • وقررت لهؤلاء

السامعين والسامعات العبرة البليغة والفكرة الصائبة واجالة النظر في مزالق الرجال الذين تكبو بهم اقدامهم عند بوارق المُنى الخُلَّب . فجئت الآن لأحطّ امام هؤلاء الاذكياء والذكيات ما جال في الخيال وتردد بين اللسان والقلب من الاعجاب المزيف بتلك (الفتاة) المتلهفة شوقاً بنيّة الزواج والمتقلبة تقلب الحرباء في طريق الخبث والوقاحة .

ولقد اختصرت هذه المحاضرة ـ العجيبة في نظري ـ على ما يليق نشره وتسوغ رؤيته مطبوعاً بين ايدي العقلاء واهل الحكمة من الرجال قاصداً من هذا أن اكون قد رسمت صورة وجودي الروحي والفكري والجسمي في (سيلان) مثلما كانت احوالي وتصرفاتي وكما كنت في قعودي وقيامي صادقاً اميناً فيما أُعلن عنه وأخبر به من شؤوني الخاصة قولا وفعلا واكون أيضاً قد كشفت الغطاء عن بواعث النزعات العاطفية واللواعج النفسانية . وقد كنت اختزل الكلمات المؤثِّرة واقتبس العبارات الصائبة بين الاشارات الصاخبة في تيار الروح ايام طاش لساني وتاه منطقي في وصف تلك الفتاة التي قد كنت اقعد لها ولأربع من صديقاتها ثلاث ساعات من كل يوم أدرِّس واعلِّم واشرح وافسِّر وابيِّن خصائص الانجذاب الروحي والفهمَ العقلي المتبادل . وقد كنت اشد ما اكون سروراً وفرحاً عندما اتحدث لها وهي بين رفيقاتها الأربع أو الست لأني قد كنت استنكف من لقائها والخلوة بها منفردة ولأني أيضاً قد تعودت إرشادها وتوقيرها ومباشرة النصح والتأديب لها وهي في هذه (الهالة) من صاحباتها .

ولكن هذه (الفتاة) المحاطة مني بعناية القلب وماء البصر والتي قد تجاوزت الحدود في وصف عنصرها (الملاكي) قد انقلبت فجأة واذا بذلك الجلد الأبيض الناعم ليس جلداً بشرياً بل هو جلد قنفذ • واذا بذلك اللسان المهذب هو لسان الأفعى والصوت الرخيم الرقيق هو صوت بومة لا تنعب إلا في الخرائب ولا تألف من الطيور إلا الغراب الذي يجانسها في نعيبه وشؤمه • واذا بذلك — الفم العذب الذي جعلته انا يساقط الألفاظ الأدبية مثل حبـــات اللؤلؤ ونثير الدُر كأنه (حلق') كلبة سلوقية من كلاب الصيد •

فحق لي ثمة ان أورد هذه السطور الملخصة من ذلك البحث الأدبي المهم • فأقول • ما هذا الخيال ؟؟ إنه هو السبب الفعلـي لفساد القلب ونـوم العقل واختلاط التصوُرات بالتصديقات لأن الخيال دائماً هـو الذي يسوق العقل الى التأمُل في شكل المرأة وقسامة اعضائها ووسامة اطرافها دون الاهتمام بوجودها الداخلي ودون النظر والاعتبار بأطوارها الروحية وادراكاتها الباطنية والتعرف على حياتها الاجتماعية والمنزلية العائلية والوقوف على تصرفاتها الخاصة مع بنات جنسها •

ومن هنا يظهر الخطأ وينكشف الضلال في حركات العاشقين وافعالهم فينحرف المنطق ويضطرب العقل باتباع خطرات القلب المسرفة في الاندلاق العاطفي والتسرُع بقبول النظرات والكلمات المنطلقة من النساء المفتونات والاخلاد الى تبادل العواطف القلقة في خلال النزوات والاقبال على الهوى المردي

والعشق الابليسي • والمشكل هنا هو أن قلب العاشق يلبس كل يوم ثوباً غريباً على بدنه فهو يتزّي بزيّ القلوب العاشقة التي سمع بها وقرأ اخبارها في قصص العاشقين فارتسمت في نفسه صورة لفعل معيَّن من الأفعال الأخرى التي باشرها قلب عاشق آخر قد سبقه فيتحرك مقلداً محتذياً ومترّنماً بأشعار الماجنين •

تعارفنا في قاعة المحاضرات باحدى الجامعات الهندية اذ كنت ازور احد الاساتذة وما كادت تنتهي الكلمات الأولى من سلام بعضنا على بعض حتى نزع الشيطان عيني من رأسي وقبضها بيده واخذ يفتحها في طلعة هذه الفتاة ومحياها ويُلقي نور عيني في عينيها ووجنتيها فكأن عيني قد كانت (مصباحاً يدوياً) بين اصابعه فهو يفتحها ويغمضها باختيار وإرادته حتى إنه قد مرّ ببصري على جميع حواس وجهها وكفيها واصابع يديها واشاجعها فقالت امرأة من البحرين ـ من جيراني في مدينة المحرق ـ قد جاءت الى هذه الجامعة لرؤية بنتها الطالبة هنا ـ اوه • اوه ـ يا فلان • من هذه ؟ واخذت تنظر في وجهها محدّقة ثم إنها ما فتئت ترمقها لحظة بعد لحظة وكانت تنقل عينها من وجه ـ هذه الفتاة ـ الى وجه كل واحدة من سربها اللائي قد كن معها واقفات على رأس السلم من ذلك المكان حتى كأنها تريد أن تقارن وتوازن بينها وبين غيرها • وبعد هذا • فانها لم تطق السكوت ولم تخف اهتمامها بهذه الفتاة واستحسانها لشكلها وصوتها فسألتني مرة ثانية • من هذه الفتاة • يا فلان • ومن اين هي ؟ قلت من التي تعنين من بينهن • قالت • تيك • ذات

الخمار الأبيض (والجبة الزرقاء) · فقلت · بين المزح والجد ـ وعيني لا تزال بيد الشيطان وقد لصقها لصقاً تاماً بفم تلك الفتاة وفي جلدة وجهها ـ إن هذه هي الأمينة على النور الهابط من الشمس · فهي بنت الشمس! واسمها·· فاستغربت السيدة ـ م ـ هذا الجواب مني اذ كنت اجهر به امام هذا الرهط من الرجال والثلة من النساء · فندمت انا على هذا الجواب أيضاً واستنكرت بيني وبين نفسي أن يتحرك لساني عجلا بهذه التشبيهات المجازية · وقلت لنفسي لائماً ومقرّعاً · اليس هذا هو الخيال المسِّف والشعور الخامد المتدني ! اليس هذا هو الانخداع بظواهر الاشياء · اهكذا قد صرت بين لحظة وأخرى جاهلا بقدر نفسي ونازلا بما في صدري من الحكم والتجارب وعصارة آلام الغربة المسعفة بالفهم والمنورة بالرشاد والصواب الى هذا المقام المذّل فانتشي ثملا من هذا (الكأس الصغير المثلوم) وأُسمع هؤلاء الناس من لساني تعريفات باطلة فرضية وشيب رأسي يضحك ساخراً في فودّي وفي مفرق الرأس · انسيت الزمن الطويل من ايام الانفراد والعزوبة ! وانت تغوص هنا وهناك لتصيد اللؤلؤ الرطب فمشيت على قعر الماء العميق ونبشت قاع اليم لتملأ كفيك بالدر اليتيم فلما عدت الى اليابسة من الساحل الذي سبحت فيه غائصاً غائراً في اعماق البحر ونظرت فيما التقيت عليه كفاك فاذا به حطام" وكِسر" وفتات من عظام سمك ميت وقطع" من الفحم الحجري قد رجعت بها ظافراً من غوصتك الطويلة في اقيانوس ـ الاختيار والتمييز والطلب

والتأمل العميق • واخيراً • فانك لست صياد لؤلؤ بل انت صياد سمك • وفرق" بعيد بين صدف اللؤلؤ وجلد السمك وصدفه • وإلا فما هذا الغرام بهذه (السمكة) المسمومة ولماذا ربَقت رجليك ـ في هـذه (الجامعة) وقطّعت أياماً وساعات بين هذه الدُمى المصبوغة المتحركة (باجسام حية وارواح ميتة) • إن العقل يقول لك • لا • لا • فماذا تريد من (خضراء الدمن) •

كنت اتفننّ بالوعظ البليغ والزجر الشديد وأُكلّمُ عقلي بارادة الآمر الناهي ولكنني لم استطع استرجاع عيني من يد الشيطان ولم اتمكن أن اطرد هذه ـ الطفيلية ـ من الدرب الذي اسير فيه من حلبة هذا الوجود • ولشدة الوسوسة التي حدثت في صدري من جراء اعجابي بمحاسن ذلك الوجه (الملون) • ولشدة الاغراء الذي فُطرت عليه هـي وبرعت فيه وتعلمته من (الرقوق السينمائية) ومن جاراتها وزميلاتها في الجامعة ولشدة فرحي بها اذ قد استجابت راضية عندما قلت لها بمرأى ومسمع من رفيقاتها إني سأخطبها من ابيها وسأذهب بها معي الى البحرين والعراق • لتأثير ذلك وغيره من كلمات الانفعال والتجاذب والتصريح ـ مني ومنها ـ بمشاعر الاعجاب المتبادلة قد صرت كأني لم أشاهد امرأة قبلها وكأني لم اسمع غير صوتها في هذه الدنيا •

وعندما اخبرتني ـ صديقتها ـ أنها قد بكت من الحرج والضيق والخوف مـن ابيها إذ قد نهرها أبوهـا واسكتها

وحرّض عليها اخاها حينمـــا ذكرتني له بالاطراء والثناء وطلبت منه (أن يزورني في الفندق الذي اقيم فيه) فانقلب احساسي وقلت لصديقتها هذه ـ وانا لا املك ميزاناً لما ينطق به لساني في حبها والفتنة بها · إن في روح ـ فلانة ـ معنى غير معناك · وإن صفحات قلبها لم يرتسم فيها اي اسم غير اسمي · نعم · (يابنة ابليس) · إن غضارة الشباب قد حالت في عارضيّ وتغضن الجلد بفعل السنين ولكن وميض الفكر ومنطق الحكمة في كلامي قد خطف بصرها · وصرت أسامرها بكل حركات وجودي الروحي والمادي · وانادمها بالقلب والعقل اما انت يا هذه ـ اعني صديقتها ـ فانك ارجح عقلا منها واسكن فؤاداً في صخب الوسط الجامعي ولكن قلبي لم يشرق على قلبك فأنا مثل السراج قد اشتد وميضه وعلاسناه في قنديله وكأن زيته قد اوشك على النفاد · وكأنه قد كرب أن ينطفىء ويخمد ضياؤه ·

اوه · ما هذا ـ يا شيخ ـ إن خيالك الواسع قد اصبح يرقّص المُنى المزركشة في رأسك وفي قلبك ويعرض صور الآمال المضلة امام عينيك · فاحذر · احذر · من هذه الغانية المسحورة المدلّهة بكلماتك ! ولكن أنّي لـك بهـــذه الوردة · أوه · إن عمرها قصير ، اجل · يا ـ ··· ـ اني أرى أن الجمال ليس مظهراً من الملاحة وخفة الدم أو تناسب الاعضاء ولا هو فكرة كما يقول ـ شوبنهاور ـ فيلسوف الالمان · بل هو ذكرى للمعشوق ترسخ في روح العاشق فلا

تزايله ولا تفارقه وبهذه الذكرى وتحت تأثيرها وبالخضوع لانتشارها في القلب والدماغ والخيال والعواطف فان العاشق قد ينسى رونق الاعضاء وروعة الملامح ويخرج ببصره عن حيز الموجود المحدود من المدركات الحسية • وهذا هو الصواب فالمرأة المجدوعة الأنف أو المصابة بالبرص أو المرأة العمياء أو حتى المريضة بداء الجذام فانها ـ إن كان وجودها ممتزجاً امتزاجاً روحيًّا (بذكرى) صادقة حية في قلب زوجها فان هذه ـ الذكرى ـ الفريدة الخاصة الجائلة بالنهار وبالليل في قلب الزوج العاشق ستزيل الحواجز المادية والنفسانية المتولدة من قبح المرض وتشوّه الأعضاء فلا يرى المُحب اية عاهة ولا يشمئز من رؤية الجسم المريض ما دامت في جسم الزوجة هذا روح" قد عرفتها روحه وما دام بين اضلاعها قلب قد صدق في الود والأمانة مع قلبه •

هكذا • قلت • لقد بكت وإن دمعتها لم تكن مثل دمعة امرأة تتوسل الى العطف وتطلب ترقيق عواطف الأبوين • بل إنها بدمعتها كأنها تقول لأبيها •• لا •• لا •• يا ابت •• وهنا انبجست الدمعة الناطقة المتكلمة بالبيان الذي لم يفهمه احد غيري انا لأن الدموع ربما فاضت كالغرب من عيني امرأة لكن الدمعة الصافية (الفصيحة) لا تنزل إلا من عيون العُرُب الحرائر !

والدمعة الصادقة الكاشفة للأسرار الذاتية الخاصة والمبيحة بالمخبوء المغطّى إنها نزرةُ الجريان نادرة السقوط ،

فهي لا تنحدر ولا تنسكب إلا من عيون القليلات في هذه الأرض لأن دمعة الحرة غير دمعة الأمة . ولقد انهلت الدموع من عيني ــ فلانة ــ كقطرات معصورة من عالم الملكوت قد جرت فوق خديها المصبوغين بلعاب الشمس فبعد أن دارت في حدقتيها واجفانها توجهت بالذكرى (من الروح الى الروح) ثم لمعت بين اجفانها المخضلةـ بعبرة البكاء ــ لتقول لأبيها مرة أخرى . لا . لا . يا ابت .. انا لست بتلك ولا هو بذاك ! اذهب اليه واسمع منه كيف علم نفسه وحده ليفسر كلام ابن سينا ويقضي الليالي في مسامرة الزمخشري والفارابي وابن رشد والحر يعرف الحرة وفرق بين الفحمة والدرة . نعم ــ سيدي الوالد . إني قد عرفته من صوته فان وجوده الروحي قد كان يرشح من كل حرف في كلماته .

ايه .. (يا فلانة) . إن الرجل عندما يتحدث بصفة القول المبين الذي هو دائماً هوية وجودية وعلة غائية فاعلية لبلاغة المنطق فان في الحرف الأول من التركيب الأبجدي تنكشف النقوش السرية من قلبه ويظهر الأمر المستور الى العيان .

إن اباك ــ يا فلانة ــ قد رأى عينيَّ مرسومتين في عينيك وابصر كلماتي مطبوعة في وجهك ورآني اروح واغدو مصوراً في ذهنك !! فقالت هي ــ (ونحن في المطعم) بعد ان امتلأ وجدانها من هذا المجاز المعلن من عالم المثال في تفكيري الخاص بها ــ وبعد أن سككت أذنها بأغرب من هذا وابدعه ــ انه لا بد من مجاراة الأب والأخ . فقلت . لا بأس . اني

لو شئت لمددت يدي الى هذه النجمة وهي بين اترابها من بنات نعش • ولو شئت لقطفت هذا العنقود : اليس كذلك فابتهجت وظهر السرور في عينيها وخديها من تأثير هذا الكلام •

إن من النساء من تبكي لتضلل وتوهم وتخفي شعورها الخاص الغارق في ظلامها الداخلي فتلوذ بعبرة الدمع المخلوطة بالخبث والمكر ومنهن من تبكي ضعفاً وانكساراً ووهناً امام اصغر البواعث واقل الخطرات التي تثير احساسها وتكدّر خيالها بالقلق والخوف والتشاؤم فتعبرّ بالدموع عما تريده عند التوجه الى اكثر المطالب الشخصية سواء ألباساً ومأكلا كانت مطالبها ام ذهباً وحُلِيّاً أو اشواقاً وجدانية ووساوس شيطانية !

ومنهن من تبكي دلالا وغنجاً وطيشاً وعبثاً في حالاتها بين الأهل والأقربين أو عندما تريد أن تلعب بين المخدوعين المنجذبين الى القشور الخالية والأشكال الكدراء • ولكن بعضهن لا تبكي إلا امام الأبوين والأخوة لتجعل من ذرات الماء المترقرق في دمعاتها حروفاً وكلمات تفصح بها وتبين حين يتلعثم اللسان في الحلق وينحبس القول بين الشفتين وذلك هو أنها قد تريد ان تُعليَ من نظرة الوالدين اليها • والى وجهها المصون وخفرها الحَصان • فالمرأة البتول تردّ بالدمعة الساكبة والنفثة الحرّى على كل كلمة تبدر من لسان الوالد أو الأخ بالاشارة الى الريبة والشك أو التصريح

بالحيطة والاحتراس · فهي حينئذ لا تجيد صنعة الكلام البياني ولا تقدر على المحاورة والجدل بأقيسة المنطق بل إن الدمعة المنحدرة هنا لتقول للأب · انظر · ها هي ـ ذي ـ ابنتك كما هي · فلا تخف · وإن مريم العذراء عليها السلام ـ وهي في اعلى مراتب الطهر والقداسة ـ عندما انبهرت من دهشة المعجزة وعجزت عن تفسير الولادة النبوية فقد صامت عن الكلام لكي لا تكلم احداً ولا تشغل قلبها المنذهل بعظمة الخلق الالهي · ولكي لا تقلق خاطرها بالتفسير وتعليل الحدث الأعظم فلا تجعل احداً يطلب الافاضة في الشرح والبيان وتوضيح الاسباب · وبعد هذا التلقين العاطفي الملون بالرسوم الخيالية المزوقة التي قد كنت انقشها في ذهنها · وبعد هذا التبليغ كلمة كلمة وجملة جملة بكل ما كنت احس به في نفسي من المعاني في حبها مجاهراً ببيان ذلك في كل ساعة من الساعات في حضرة صويحباتها · فاني من شدة الاستغراق بهذه الصفات التي خلقتها لها خلقاً بالبدع المجازي وبما لابس قلبي وخالط فكري من صورة ـ هذا ـ الملاك ـ في لطفه وسكونه (وشفافيته) لم اكن اعلم أن هذا اللحم الناعم اللدن قد اختفت فيه ذئبة ربداء مفترسة قد لبست جلده الليّن الرخص لتموّه به خبثها وتغطي شراستها · ولأن الشيطان قد خطف بصري وسمعي أيضاً وان عيني قد (شاهت) وعميت فاني ما كنت اعرف ماذا كانت ترتدي ـ هذه الفتاة اذ أني ما كنت انظر اليها بحاسة البصر فلقد كانت المشاهدة المتجددة الدائمة مشاهدة روحية بعيني القلب

فحسب فأنا لم ابصر ثوبها ولم اعرف لونه · ولم تدخل في تصوري خيوط هذا الرداء ـ الجلباب ـ الأزرق ـ أو الجبة الزرقاء ـ وقد وهمت في احد الأيام وانا واقف مع خمس من رفيقاتها في رواق مـن اروقـة الجامعـة اذ رأيت فتـاة هابطة مـن السلم القريب مـن المكان الذي كنـا واقفين فيه فهممت أن اقول ـ اوه ـ إنها هي ـ قد نزلت عليّ من عالمها السماوي مثلما قلت هذا امس ـ بين صاحباتها ـ عندما شُبِّهت لي (جبة" زرقاء) ـ (كجبتهـا) التي تتبختر بها !! ولبثت قليلا فمرت الفتاة التي ليست هي ـ وبعد بضع دقائق رأيتها بعينها تهبط الدرج ـ السُلّم ـ فقلت ـ مازحاً وهؤلاء الفتيات يسمعن كلامي أأنت هنا !! لقد كنت اذكرك الآن وتشابه لباسك مع لباس فتاة أخرى وكدت أناديها باسمك ولكن هيهات : اين هي منك : اين الشوك من الورد · فضحكت واحدة من رفيقاتها كأنها تعرف الفحم الأسود الذي يتغذى منه قلبها : فقلت متباهياً (مكابراً) يا فلانة · بينما كنت اتحدث عنك اذ شُمت خيطاً من النور يتدّلى من هذا السُلم فعرفت أنك قادمة وأن نوراً من رحمة الله يحفظك ويحميك عن يمينك وعن شمالك : فضحكت الأخرى من صديقاتها · وقالت مازحة · لا · لا · ليست هي · فاستغربت كلامي هذا الذي كل حرف من حروفه هواعز واغلى من رأسها واثمن وانفس من وجود ابويها ولقد ادركت غرابة هذا الأمر على نفسي وسيرتي وطريقة حياتي في هذا العقد من سن الكهولة ·

ولكني كلما فارقتها يوماً أو يومين اضطرب خيالها في دماغي وبرز وجهها امام بصري وشخص في ذهني واخذ اسمها

ينشر حروفه على لوحة افكاري منقّطة برموز عجيبة واسرار غامضة ومرّقمة على جدول خاص كأن الشيطان قد فرضه عليّ أن اقلّبه جمعاً وطرحاً وتقسيماً ٠

وعندما تناسيت اسمها ـ امام صديقاتها متعمداً وانا اقدمها معرفاً لطالبة أخرى تدرس في جامعة دلهي ـ وكانت تعرفني وقد وقفت للسلام عليّ دون أن تفهم الغاية من وجودي مع هؤلاء الفتيات ـ اربدّ وجهها واصفرّ بشحوب الخبث والغيرة : فقلت بعد هنيهة ـ ونحن في طريقنا الى (المكان المقصود) ـ وكانت زميلتها في الدرس تسمع كلامي ٠ لا ٠ لا بأس عليك ـ يا فلانة ـ إن اسمك منقوش في قلبي فلا تعبأي ٠٠ ولا تحزني وإنك قد سمعت كيف قدمتك لبنت صديقي (فلان) الم اقل لها إنك معصومة من الخطأ وانك من صدّيقات العذارى في هذا الزمان فلم يتحرك لسانك بقول الكذب (اي نعم) ٠ ولذلك فقد صدّقت انت دعواي بنسيان اسمك واغضبتك هذه المزحة المداعبة ٠

وكنت في نعوتي ومبالغاتي ومحسناتي اللفظية والمعنوية وفي تصريف المغازلة النثرية كمن (يراهن على) امـرأة سابحة ـ في ساعاتها الأولى ـ بين اثباج البحر وتحت امواجه الهادرة (اعني التعليم الجامعي المختلط بين الجنسين) فانها ربما غالبت التيار وعلت فوق ازباده وطفت على سطح الماء في شوطها الأول ولكن زخّار الطوفان وانواء المـد الطاغي ستغرقها وتركسها هابطة الى قاعة اليم فيخنقها الطين وتمزّق

لحمها الكواسج وتأكلها الحيتان ولكن (فلانة) قد انمسخت الى ذبابة وكان ـ في (الجامعة) ضفدع" كبير قد دلع لسانه ـ على عادة الضفادع ـ لصيد الذباب المتطاير فوق المزابل ـ فحوّمت عليه ثم وكرّت فوق لسانه المدهون ـ بالمادة الضفدعية (اللعابية) المعروفة . وبلعها ـ حبيبها الضفدع الكبير ـ وها هي ذي فقد تعلمت نقيق الضفادع واستمرأت حياة الذباب !! في رحلة التعليم الجامعي المختلط .

الم تعلم ـ ايها الغرّ الجاهل ـ بحركات القلوب واشواق النفوس ـ أن اكثر الطلاب الجامعيين يتخذون لهم ـ عشيقات من زميلاتهم في فصول الدرس يعاشرونهن كما تعاشر الجواري . نعم . ان لكل واحد من هؤلاء ـ جارية ـ تقوم به وتنفق عليه اذا كانت اغنى منه . ويقوم عليها وينف اذا كان اغنى منها .

ولقد قلت هناك . إن هذه الفتاة لا نظيرة لها بين لداتها واترابها فان عينيها بدء من الساعات الأولى للقائنا في ذلك الملأ الشريف من اصدقائي وصديقاتها قد تطلعتا الى الخزائن المدفونة في صدري فأخذت تنظر اليّ بدون ان تفتح جفنيها في وجهي وقلت . إن هذه الفتاة مخلوقة على طراز رفيع عزيز المنال في هذه الدنيا ومنحوت" قالبُها على مثال فريد لا يمكن أن يتكرر في عالم النساء . فالنساء عامة يركزن حواسهن بالألوان دائماً . وكل امرأة فانها تستمدّ من ثيابها وطريقة خياطتها (وتزويق الوجه) عناصر القوة في شخصيتها

وتستلهم من ـ لون الشعر ـ وكلمات المدح دعامة العزة والقدرة في حياتها الجسمية · فهي لا ترى ـ في نفسها ـ سوى شكل اللباس وهيئة (تفصيلاته) على الأعضاء · ولذلك فان المرأة ـ في غاية حركتها العاطفية وطموحها الشخصي هو أن تـُري ثيابها للآخرين والأخريات وتلفت العيون الى جسمها · كل ذلك وهي غافلة دائماً عما يحيط بوجودها · ولا تدري اين هي من هذا العالم الثابت القواعد والنواميس في الصراع والتطاحن مـن اجل الافكار والمثـل العـُليـا والديانات والنظم السياسية والاقتصادية والمذاهب الفلسفية ولا شك ان هذا الوجود الفكري الكوني لم يقم من اجل رغائـب النساء وميولهن المتغيرة · ولـم تؤسس المبادىء الانسانية العـُليا لأجل شهوات النساء فيما يقبلن أو فيما يرفضن من تغير الأزياء وتنوع الحلي والتهالك على المجوهرات والتهتـّك في المسابح والمراقص وبين ايدي الحلاقين (اذا كانت حبالهن على غواربهن) ·

إن المرأة ـ الجسمانية ـ التي نام عقلها ومات أهلها ـ وهم احياء ـ لا تدري اين هي · فأي ثوب جديد ترتديه سيخرجها من بيتها لتقول للناس انظروني · ها انا · تـي وهذا هو ثوبي وهذا هو جسمي ·

اما ـ روح الشيطان ـ هذه فاني قد وجدتها كأنها تريد أن تقول لي · لا · لا · لا تنظر اليَّ ولا تشغل بصرك · ولكن اشغل قلبك وذهنك وتأمل فلا لون هنا ولا جسم : بل

هنا · صفات" روحية فحسب ·· وقد كان هذا هو معناها الغريب في داخل نفسي · وما كنت اعلم أن في روحها وفوق ـ جلدها ـ الأبرص ـ جميع الألوان (الابليسية) التي صبغ بها ابليس وجوه بناته وبنات جيرانه ·

فاني ما كنت أرى شكلها ولا ارى (تفصيل) ثيابها ـ ولم أُميِّز قناعها ـ الابيض ولم اشاهد لباسها (الفضفاض) البالغ الحشمة والوقار في طوله وقياسه ومقداره · لأني موجَّه العين والفؤاد الى روحها · واني قد كنت اسمع قلبي يدارس قلبها ويناقله المنى والاحلام الزائفة ويجاوبه ويرد عليه نبضاً بنبض وزفرة بزفرة · واحس بعروق كثيرة في قلبها ترتفع وتنخفض وتنقبض وتنبسط كأنها تريد أن تصرخ فتقول معلنة حبها الغيبي المكتوم في خزينة الأسرار (الغرامية) · وماذا اريد اذن ـ بعد هذا ؟ إني اريدان آخذ معي ـ الى بغداد ـ قطرات من دمع ـ روح الروح ـ في قارورة من قوارير الجنان لتضيء في منزلي وامزجها في مشرق الشمس لأغسل بها حمرة الشفق من على سعف النخيل في اعالي الفرات واسفله وفي شطآنه واجرافه · وكأني ـ يابنة الفحم الأسود ـ قد اشتريتك بفلس واحد من اسواق الفحامين · ثم طردتك · فاشتراك ذلك (العبد) الآبق ليقودك من أذنك هدية لسيده !!

ولكن هل يأتي دائماً الافتراق بعد الاتفاق ! الجواب · هو أن التشابه في الافكار الطارئة والخواطر العارضة

والتجاوب في الانفعالات السريعة هو الذي يدفع الى الرضا السريع وتشابك القلوب فيختلط هذان القلبان احدهما بالآخر ويظهر كل واحد منهما وكأنهما قد وجدا ليكونا نفساً واحدة • احداهما مكمّلة للأخرى • ولكن اكثر هذا التلابس والامتزاج الموقوت ما يلبث أن تنفصم عراه فينفر القلب من القلب وتتناكر العيون من العيون وينقلب الصفاء الى كدورة والفرحة الى الترحة ويستبدل البعد بالقرب لأن هذين القلبين اللذين التف كل منهما بالآخر يخضعان في تصوراتهما وحسهما ومشاعر الرضا والغضب لتغيرات الحال ويتبعان اهتزازات التبدل الكيفي السريع التحول المؤثر تأثيراً عميقاً في موازين الحياة بنوعها وكمها • وإن المرأة هنا ـ كما قلت آنفاً تربط فهمها وادراكها لما يتجلى امامها من حقائق البشر والكون والنجوم والأفلاك والبروج ونشوء النظم السياسية والاجتماعية والدينية وتطور النشاط العلمي ومظاهر البناء والهدم بمحسوساتها البصرية المحيطة بها • وإنها ـ في كل وقت ـ تعلق صبرها وجزعها وحبها وبغضها باللون الشكلي الذي تنقله اليها حواسها الخمس من الصور المرئية المنتزعة من الأشياء المفهومة من حركة الاستحالات الكيفية في ظاهر الشيء لا في حقيقة نوعه • أو بما تلقيه في رأسها أذنُها المفتوحة الصماخ امام المرويّات المسموعة التي لم تكن لها قاعدة منطقية كلّية تتضمن العلم اليقيني بجزئيات الأمر ومصاديقه • فذهنها متحرك ليل • نهار • بمعاينة اللباس المزركش على اجسام الأخريات • وعقلها منصرف الى التأمل

في اقراط الذهب وعقود اللؤلؤ وخواتم الالماس التي يقطّع الانشغال بأخبارها والتفكير بها اعصاب الجاهلات من النساء والخياليات من بنات الأغنياء ·

فاعجاب المرأة دائماً يقوم على ترجيح ما تراه من مظاهر الاغراء المحسوس على ما تؤمن به من قضايا العقل والمنطق اي أنها عندما تتوجه ــ بادراكها وفهمها ــ لمباشرة التمييز بين الحقائق فانها تستمد من آثار أنوثتها وليس من معاني الحياة العميقة ولا من مخابرها الأصلية · وفي هذه الحال تستوي امام عين المرأة الجوهرة الثمينة والحجرة المهينة ·

ولكني قد وجدت ــ فلانة ــ كأنها ليست امرأة · وكأنها قد خلقت في عالم المُثُل فهي لا تعرف الحديث عن لون الثياب (وتصميماتها الحديثة) · ثم إنها لا تحسب للبعد الزماني حساباً اي انها لم تجفل ولم ترتعد خوفاً عندما ذكرت لها عدد السنين التي انقضت من عمري واذهي قد انكرت فعل القشور الجوفاء في نفسها وقلبها وازالت من ذهنها الصور ــ المستعارة من عالم المرأة المتناقض فانها أيضاً لم تنظر · ولم تسأل عن عبء السنين الذي ينوء بظهري ويثقل على كاهلي بل إنها قد نظرت الى صورة المعنى الأزلي الأبدي الذي ينطق به هذا القلم الذي انبرت ريشته وتطلّم ضرسه من كثرة ما نقشت به اصابعي على الورق في وصفها ورسم معانيها شطباً ومحواً ونبذاً واسقاطاً أو اثباتاً وتقريراً وابرازاً ! في صحائف التحرير والكتابة والتأليف مثلما افعل الآن ·

ولهذا السبب فقد اسرفت مغاليـا بحقيقة (الذكرى) التي تثبتها في نفسي الكلمات الأولى التي بدأتها هي ـ عندما طلبت مني ـ احد الدواوين الشعرية ـ فرأيت ـ صورة القلبين وقد صارا قلباً واحداً بامتزاج سريع واستحالة نوعية وتبدل واستبدال بكيفية الروحين وخلطهما وتوحيدهـا · واذا بـ (الميم) الذي هو الحرف الأول في اسمي قد وثب على (ميمها) (فاختطفه) فصهره واتلفه في داخله حتى صار ـ الميمان ـ من اسمي واسمها ميماً واحداً ·

ولقد قلت هذا لها وشرحته وفسرت خوافيه (وظواهره) فعجبت واستغربت هي وورم انفها من الغرور وانتفخ بلعومها من الكبرياء على ـ رفيقاتها ـ ولكني قد بادرت ـ ونحن جلوس" في حديقـة الجامعـة ـ الى ترجمة بيت مـن شعر الفردوسي ـ يقول فيه · (إن ذا الأرومة الوضيعة ـ الذي انتفت العظمة في اصله مـن المستحيل أن يصغـي الى كـلام العظماء) ·

فتساءلت ـ احدى صديقاتها ـ مرة أخرى ـ عن توضيح هذه الجمل · فقلت · لقد صار (الميمان ميماً واحداً) بتحول ـ النوع ـ في هوية الذات القلبية ـ لكل واحد منا ـ انا وهي ـ اي أن قلبي وقلبها تواصلا وترابطا وذاب كل منهما في الآخر متوحدين في جنسية الروح لا بهوية النوع الطبيعي · ثم تنافرت الحروف في اسمي وفي اسمها ـ فهجم حرفُ اسمي الأول ـمـ على جميع حروف اسمها الأربعة فمحاها من الوجود ·

فقالت ـ رفيقتها ـ اننا نريد منك أن تغوص في اعماق هذه المعاني وتبين لنا اسرار هذه الكلمات . ونحن نصغي الى اشاراتك الدقيقة دائماً . وزحفت هي مقتربة من رفيقتها هذه مثلما تزحف السلحفاة . واخذت تتحدث بالفاظ تشبه مُواء القطة ونوس الذ'بابة وطنينها . وقالت كما قالت تلك تقلدها وتنسبح على كلامها ـ حذو النعل بالنعل . فقلت ـ متخيلا ـ إن هذه الحقائق ستنكشف عند استغراق النظر بصفات القلب لأجل تعيين طور هذا القلب وحركته الروحية المحضة فتنصرف حينئذ حاسة البصر عن رؤية اعضاء ـ المعشوقة ـ وتذهل عن مشاهدة اللحم والجلد فتكلم الروحُ الروحَ وتصعد الذات في اوج الخواطر التي تنقل كلمات المحبوب الى المُحب . وترتفع في معراج السوانح التي تعرض على لوح النفس صورة المحبوب في حقيقته لا في مادته فيصفو المزاج في مدارج الحُب ـ الشريف ـ الموقوف على قصدية الزواج واختياره . فتعلو حينئذ روح العاشق على الاضطراب العاطفي وضوضاء الرؤيـة الجسمانية التي تسببها لحظات العين وتحدثهـا في تقلبات الفؤاد فتعكِّر صفوه وتكدِّر نقاءه عندما تلتقط من وجه المعشوقة ومن عينيها لمحات الدهشة والقداسة والذهول بتأثير رونق الجمال الجسمي . وعلة هذا هو أن نظرات العين ورمقها ولحظاتها التائهة لا تتوجه في كل وقت الى حالات التأمل في ازلية الربط بين الروحين في وحدة الصفة والموصوف بـين الوجدانين والروحين والفكريـن في القلب البشري (العاشق والمعشوق) . فيغمض العاشق عينيه

ليرى حبيبته موجودة في داخل قلبه ويظل هكذا حتى إنه اذا فتح عينيه في وجه حبيبته لا يستطيع رؤية وجهها وإن كانت على قيد اشبار من بصره • وذلك لغيبوبته عن الجسم واندهاله واستغراقه في التحديق بالصفات اللامتناهية من معانيها المجردة القائمة بروح هذه ـ المعشوقة ـ الفائضة عليها من بحر الوجود الخاص لها ومن هويتها الذاتية • وقد اكتوى بنيران هذه الحرقة الشاعر جميل بثينة ـ فأرسل نظيمة بيانية من قريحته فقال :

يموت الهوى مني اذا ما لقيتها ويحيى متى فارقتها فيعود

وفي هذا لغز" وجودي" اعظم يدبّر الضلال أو الهُدى في هذه الغرائز البشرية • فلو كان التقديس المتبادل جبرياً لا تفويض ولا اختيار فيه ومحمولا على كينونة السؤال والجواب المتحدين في حقيقة المزج الروحي حيث السؤال هو الجواب وحيث الجواب هو السؤال اعني أن يكون الحبيب هو المحبوب والمحبوب هو الحبيب ويكون العاشق السائل هو المجيب وتكون المعشوقة المسؤولة هي السائلة وهي المجيبة اقول لو كان هذا الاعجاب المندهش والرؤيا الحيرى موصولة بأعضاء الجسم فحسب كان هذا الحُب وسوسة من همزات الشيطان وكان الكلام عنه ونظم الشعر فيه والسهر له والأنين في الليل من الكمد فيه وتقليب الأضلاع وشيُّها على ناره المستعرة حُمقاً وسخفاً وهذياناً لأن اعضاء الجسم في ابهى ملامحها وآنق مظاهرها واكمل ملاحتها (وخفة الدم)

فيها لا بد أن تتغير صفاتها وتحول صورها الخارجية في بضع سنين بعد العشرين من العمر أو ربما نزلت بها آفة مرضية فتقيحت وتخزّلت وتعطلت قواها وزال رواؤها بعوادي الليل والنهار وفجائع الدهر التي تطمس غرة المرأة وتخترم اعمار الرجال . فلا مناص بعد هذا من أن يكون الجسم معلوم الزوال والفناء والدثور عند كل عاقل أو مجنون . وبهذا السبب من قواعد النزعات الروحية أن الشوق يلتهب أ'واره ويتطاير شراره في دم العاشق وفي عروقه وفي رأسه ويتسعر ضرامه في صدر المعشوقة كلما شط المزار وتباعدت الديار . وكلما حضرت صورة المحبوبة في نفس المُحب . ولا محيص أيضاً من أن يكون ذلك في عالم من الصمت في النطق ومن السكون في الحركة المكانية اذ ينفرد المُحب متقطع الأنفاس قد وقفت كل حركة من حركات الـــدم في اوردته وشرايينه وانشلت يداه ورجــلاه في عالم الغيبوبة وانسدت ابواب الحواس الخمس ولم يبق إلا نبض" واحد من القلب يظل يعدد ساعات الزمان ودقائقه ويحسب اعوام البعاد وشهوره . وحينئذ تظل عين الروح تجول في حدقتها تتأمل هيئة المحبوبة لتجعل لها اطاراً من ـ الذكرى ـ الزمانية الفاعلة المتسلطة على حركتي الزمان وثبات المكان . والملونة بصبغة الوجوبية الوجودية . وكما قال عبدالله انصاري (في رسائل انصاري) باللغة الفارسية : (إن العشق يحرق العاشق لا المعشوق) .

هذه هي طلاسم الذكرى التي يرتسم فيها شبح الاسمين المتشابهين الساعيين الى ـ الوحدة ـ كما هما في عالم الامر

الواقع – الوحداني – من القضاء المحتوم المبرم الذي لا يُردُّ ولا يُبدَّل • وكما كان يلوح – م – لحرف – م – في هالة اللوح المحفوظ فتجاذبا في عالم – المشيئة الأزلية – تجاذباً محدوداً • وتظاهرا في عالم المشيئة الحادثة وفي عالم الغيب والشهادة متعارفين بعلامات – شمسية – من نور الكواكب العليا والسفلى على مسرح اللقاء الموقت في قبة – قوس قزح – المتلاشية الوجود (الصوري) فافترقت الروحان • روحي وروحها – متباعدتين لا تعرف احداهما الأخرى سابحتين في الغيوم المحترقة في المجرات البعيدة •

وعندما هام – ذو الرمة – غيلان – بعشيقته – مي – ودنف بحبها فانه قد كان يتلذذ بالطواف حول ربعها الخالي ويكتفي بذلك ولا يتوق الى اكثر منه • وعندما بعجه الحب وشق صدره شقاً أخذ يتفرّس في لُبّة فؤاده وينظر ممعناً في اغوار نفسه المرة تلو الأخرى يراقب عواطفه ويختبر عقله ليعرف هل أن – عشيقته – جديرة" بهذا الهيام وخليقة بهذه الأشواق المحرقة التي قد كان يصوغها شعراً تخرج الفاظه كأنها كِسر" وفُتاة من اضلاعه وكأنها مضغ من كبده يحرقها في الدمن والآثار وربوع الحبيبة الراحلـــة ! وليبحث عـــن وجه – مي – في بودقة – حبه العذري – وذوقه الشعري فأكثر من الطواف حول اطلالها المهجورة وديار اهلها الدوارس • وكان من شدة تحديقه في – شكل – مي – المرسوم في خاطره • ومن قوة انشداد عينيه بوجه – مي – وبملامحها المصورة في

خياله كأنه مغمض الباصرتين ولا يريد ان يراها رؤية عينية بعد امتلاء روحه ووجدانه برؤية وجودها كله رؤية قلبية حاضرة في نومه ويقظته وفي صمته وكلامه وفي حركته وسكونه ٠

ولكنَّ ـ ذا الرمة ـ قد هرب من هذه ـ الحبيبه ـ فاراً من ذكرها ورسمها فراره من المجذوم ٠ وانقلب ـ بعد ذلك يهجوها هجواً مقذعاً :

على وجه مي مسحة" من ملاحة
وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

والمقصود ثمة هو العبرة والاستطراد في لوازم هذه الانفعالات العاطفية التي تحط من قدر الرجل والمرأة معاً اذا لم تقترن ـ لمحة' الاعجاب الأولى ـ بخطبة الزواج ومراجعة أولياء المرأة ٠ واذا لم يحزم الرجل امره صادقاً بنية الزواج دون المخاتلة والروغان في طلب الخلوات والمواعيد ٠

اريد أن اقول هنا ٠ إن هذه الانجذابة الروحية قد كانت من اغرب العقبات المانعة من مواصلة رحلتي الفكرية الى مكتبة تلك الجامعة ـ الهندية ـ وقد كنت ازعم ـ امام اصدقائي ـ فخوراً بمناعتي العقلية والذهنية ومدعياً الترفع بلساني وقلبي على النزول الى هذه المغريات ٠ ومطمئناً الى قدرتي المنطقية على مناقشة هذه الأخيلة وشرح

اسبابها وبوادرها الغامضة ليثوب القلب الى المنطق والوقار والسكينة والاستنكاف · وليرفض العقل المحنك الاهتمام والمشي أو الانتظار دقيقة واحدة من اجل ــ امرأة مَّا · سواء بحجة الخطبة والزواج أو بذريعة السفاهة والعبث · ولكن خطفة المفاجئة من (روح الشيطان) هذه قد احدثت ثلمة كبيرة في هذا الجدار الغليظ الراسخ الاركان · وحفرت نقباً عميقاً في داخل نفسي وغطت كل خاطرة وكل صورة وكل اسم عزيز مـن اسماء الاهلين بوسواس ابنة ابليس هـذه المولودة من ابوين شيطانيين ·

وحتى امي المركب اسمها في كل ذرة من خلايا دماغي والمنتشرة روحها في كُريّات دمي البيضاء والحمراء والسارية انفاسها في انفاسي قبل أن انشق اي نسمة ريح من هذا الهواء في صباح حياتها وفي مسائها · اقول · حتى امي فقد صرت اذكرها لِماماً ــ طول ذينك الشهرين اذا استبدت في قلبي وحلت فيه قدرة ارادية قاهرة صرفتني عن ذكر ــ الوالـدة ــ وانستني كل وجه كريم ما عدا هـذا الوجه (الأزرق) ·

كنت اصغي لأحد الاصدقاء وهو يذكر شؤونه العائلية امامي ويعدد اولاده ذكوراً وإناثاً فذكر اسم واحدة من بناته فاذا بها سمِّية للفتاة المعنية ومسماة باسمها على الحروف الأربعة البادئة بحرف ــ الميم ــ فطـــارت آذني وراء ذلك الاسم والتقف عقلي حروفه وكأنه لم يوضع لا قبل ولا بعدُ

إلا (لشيطانتي) هذه · وكأنه خاص بها موقوف عليها في السماء وفي الأرض فكرهت ذلك الرجل لأن له بنتاً تشارك ـ حبيبتي ـ باسمها الفرد بين الاسماء · وكان خيالي يصور تلك القسمات · ويجسم المعاني العليا التي اخترعها وركزها في جسم هذه الفتاة وعلّقها بها وهي (عارية) منها واخذ فكري يقشر تلك ـ الفستقة ـ فاذا هي خالية لا لبّ فيها · واذا هي كرأس البصل أيضاً ـ قشراً فوق قشر ـ كما يقول ـ احد الشعراء ·

وقد كنت كأني أريد أن اقول لهذا الصديق ليس من حقك أن تسمي ابنتك بهذا الاسم الخاص بفلانة ـ مع ان ابنة هذا الرجل امرأة متزوجة ولها خمسة اولاد · وهي اكبر من هذه بعشر سنين · ومع هذا فان هذا الاسم قد انفجر في قلبي واخذت الوساوس يموج صغيرها في كبيرها · ونقلني ـ اسم فلانة ـ من عالم اليقظة والواقع والهيمنة على موازنة حواسي وادراكي والسيطرة على لساني ومراقبة كلماتي الى حالة انقلبت فيها مقاييسي الخاصة خيالا صرفاً وتكريراً لأشكال (فلانة) وهيئاتها · ودخلت في الاعتبارات والصور الزائلة بدل الحكمة وروية البصيرة ·

والى آخر ذلك الوقت الذي امضيته في جلستي مع ذلك الصديق فاني ما كنت ادري ولا اعرف ماذا كان يقول ذلك الصديق · وبأي امر قد كان يتحدث مع أني انا الذي سألته عن عدد اولاده وعن احواله البيتية · وقد عرفت جينئذ أن

الرجل قد استغرب ذهولي واستنكر علائم الحيرة وتشتت الذهن واختلاط الافكار في وجهي • فلقد كنت في اصغائي له اجيب بالسلب مكان الايجاب وبالايجاب مكان السلب واستحسن ما ينبغي ان يُستهجن • واستهجن ما ينبغي ان يُستحسن • وانا لا اشعر بعاقبة ذلك في التأثير على حديث الرجل وعلى سرده وصيغه الكلامية • وفارقت هذا الصديق مودعاً واسم ـ فلانة يدور في رأسي غير أني وانا في تلك الساعة من الجذب والدفع والمد والجزر قد كنت احسب هذا كله وسواساً من وساوس الشيطان ونتيجة للغفلة والكسل والجهل بالأفعال الجدية الموصلة الى القيم المثلى واثراً للبعد الساحق عن فضائل العقل والدين • ولقد علمت من ـ تجاربي الخاصة في هذه الحياة أن هذا الضرب من الهواجس والأخيلة لا يمكن أن يفعل فعله ويبلغ مداه إلا في الاذهان الخالية من معاني الحياة الدقيقة التي تفرض الكد والسعي واستنفاد التأمل واستفراغ الفكر في تصور علل الأشياء واسبابها • فان الانسان المتروي بالنظر فيما حوله والمثابر على تفسير الحوادث المرتبطة بوجوده والذي لا يستمر خاضعاً للانفعال بالبوادر المفاجئة ـ في الحب والبغض والرضا والسخط ـ بدون أن يبسط امام عقله اسبابها الخفية وعواملها الظاهرة والباطنة • وبدون أن يبيّن لنفسه بواعثها الاصلية المؤثّرة ـ هو الذي ينتصر على خواطر السوء • ويستعصم امام الاغراء العارم ويبعد بأفكاره عن الاضطراب والتلون والحزن والفرح ـ عند القبول والرفض ـ في فتنة

الوجوه التي يرتعش (القلب الضعيف) امام سحرها الباطل بتوهم الانجذاب لصفة الروح والعقل في المرأة (الفاتنة) أو بحيرة المفاجئة والدهشة والترجيح والاعجاب بالشكل والقالب الانثوي المتنقل امام العين ٠

وهذا كله معلوم مشهور ٠ فان العشق الذي تدب ديدانه على شغاف القلب وترتع جراثيمه في المخ ويفتك بالعقول والاجسام ٠ ويهبط بالمنزلة المكرّمة عند افاضل الرجال لا يمكن أن يجد ساحته ومجاله إلا في الرجال الفارغة رؤوسهم من الحكمة وسداد الآراء ٠ العاجزين عن ركوب الأهوال الذين انحصرت عقولهم في الأعمال الصغيرة المكررة ٠ ووقفت بهم ارجلهم دون معالي الامور ٠ فهؤلاء هم الذين يحرقون ادمغتهم في نيران العواطف الغراميّة فتركب عقولهم وساوس الشر في استحسان ما لم يكن حسناً من وجوه النساء ٠

قلت لها ٠ هناك رجلان ٠ فرجل" رفيع الهامة عالي الرأس صاعد" الى اوج العُلى قد فرض على المرأة أن تتدرج في سلم الصعود اليه ٠ ورجل آخر هابط الى اسفل الحضيض قضي على هذه المرأة أن تهبط اليه نازلة على أمّ رأسها ٠ ذلك رجل بصفاته العُليا ومزاياه الروحية والفكرية ومواهبه الراجحة وصريح ارومته كأنه من شموخه وعلوه وثباته شاهق الى السماء مثل النسر المتمنع في العَنان والجبل العالي في الأفق ٠ كأنّ له منزلا في المجرّة أو بين السماكين يريد أن يعود اليه قد حنكته التجارب وصلُب عظم رأسه واستوعر في مغالبة

المصائب فكأنه صفحة من جبل املس عالي الشناخيب كلما رمت ارتقاءه والصعود فيه هويت بك قدماك سقوطاً في بطن الوادي فتنهشم جمجمتك وينكسر ضلعك حتى يُمدّ يده اليك ليرفعك اليه ويلحقك بنفسه ·

وذاك رجل تهبطين اليه فهو تحت قدميك لم ينقل رجله في طريق الحقائق والمعاني ولم يعرف إلا جسمك · وإنك تنظرين اليه ورأسه منكّس الى ركبتيه · ولكن قد رفعه اليك واقعده في طريقك ثلاثة اشياء · فلوسه · وشهادته الجامعية (الورقية) وسنه المقارب لسنك فاندهشت انت من لمعة شعره وحبست روحك مشاعرُه الميتة وانزلك الى سردابه ـ المخدّر المخمور ـ فنزع به عرقه الهجين الى أن يبيعك مع نفسه واولاده في اي سوق من اسواق النخاسة (الجسدية) ·

وقلت إننا نعرف ـ الفتاة الجامعية ـ التي اتخذت لها قرداً تلاعبه ويلاعبها · ويلعط خديها بلسانه فيبقى جلدها كله (مضمّخاً) برائحة القرود فتظل تنشد من لسانها الوقح كلمات (الغزل القردي) الذي سمعته من ـ فمه الحُلو ـ واذا خرش هذاالقرد (الجامعي) اي موضع من جسمها · وخاصة النهدين والوجنتين فان اظافره ستظل مطبوعة على جبينها · ويبقى لعابه يقطر على منخريها وشفتيها ·

الم تعلمي أن كل لمسة لخد الفتاة البكر · أو كل عصرة لنهديها بأيدي هؤلاء القرود تنطبع لها صورة في قلب الفتاة

العذراء فتتجمع صور هـذه اللمسات والقبلات والحركات الداعرات ــ في قلب الفتاة وترسخ اشكالها وتثبت رسومها في لحمة قلبها وبين شغافه وفي دمه وعروقه فيبدو ذلك ــ كـل وقت ــ على وجههـا وفي سيرتهـا الخاصة وحياتهـا الاجتماعية • ثم الم تعلمي أن جميع ــ وقائع ــ الخيانة الزوجية لا بد أن ترتسم صوراً واضحة في قلب ــ الزوجة الخائنة ــ وعلى كل عضو من اعضائها ــ فيعرف الرجال من هي هذه • وتنكشف على ظاهرها جميع حركاتها وسكناتها ــ المكتومة •

نعم هكذا كنت اقول • ولكن وسواس ــ الجبة الخضراء ــ قد كان ملازماً لصدري • اهي الهابطة من السلم • ام لا • نعم • لا • كأنها هي • لا • ليست هي • لقد كانت (جبتها الخضراء) تضللني وتغشي عني ــ شخصها ــ بالمشابهات لها بالطول والهيئة والمشية ! أوه • هذه • هي • اسمعي • اني لا أومن بالحب الذي تسمعين وتقرأين وإني أعدّه وصمة في الرجل القدير الجدير برسم خطوطه المستقيمة لابتغـاء الزوجة اللائقة • انا لا أريـــد أن انظـــر الى وجهـــك • بل إني اريد أن اشغل عقلي بروحك المنصهرة بكلامي الأدبي (الارتجالي) الذي ــ نثرته في (حديقة الحيوانات) وبذرته وزرعته (علفاً) لأمثالك !!

وجلس صديقاتها الست على مقعد حجري مستطيل متسع لهن جميعاً • وجلست انا على معقد حجري آخر متصل به • وكانت هي الأخيرة مـن الجالسات • وقـد امتدت رؤوس

صديقاتها كلهن ملتفتات اليَّ فاحتجبت عني منزوية وراء مناكبهن واقفيتهن • ولكنها قد كانت تمدّ رقبتها علوّاً وهبوطاً وتحرك رأسها الى الاعلى والى الاسفل لتخالسني النظر مغافلة لصديقتها ـ الغيور ـ منها ـ التي جلست عن يميني فتقدمت متعمدة في هيئة قعدتها وادارت وجهها اليَّ لتجعل نصف جسمها حائلا بين عيني وعين ـ فلانة •

وقالت واحدة منهن • إن (فلانة) ـ واشارت اليها ـ تشكرك على صراحتك في بيان كل الذي في صدرك من حبها والتوجه اليها • وخجلت هي !! فقالت ملتمسة مني الا اكتب اليها ولا اسأل عنها بطريق عنوانها الموجود عندي خشية الاحراج والأذى والشك من ابويها واخيها فاستغربت هذا الكلام فرأيتها برمة متذمرة من تصرف احدى صديقاتها !! ثم انصرفت اسئلتهن الى علم البلاغة (ودراسة اللغات الاجنبية وتكلمت في ذلك ساعة كاملة • ثم وجدتها تحاول الابانة والافصاح ـ بخجلها المصطنع ولسانها المتعتع ـ عن بعض المعاني الروحية التي ادركتها من حديثي معها • فقلت • إن الروح في شأنها بعالم الملكوت هي اوضح من الجسم • وهي الوجود المجرد المفارق ـ غير المدرك بالحواس ـ وهي من امر الله ـ ولا يمكن السؤال عنها بأي حرف من حروف الاستفهام • ما • ولِمَ • وكيف • وهل • واين • لأنها مؤثّرة بالجسم ذاتاً وفعلا بدون عليّة جسم آخر ولأنها منفصلة عن الجسم بالهويّة والعينيّة • بلطافتها • وتجردها باشراقها من

مصدرها النوري الأول · ولكنها موجِّهة" للجسم فاعلة' فيه ما دامت تحيا في قالبه الملموس وما دامت تتحرك في عناصره المحسوسة · فان الجسم يحيا بها ولا تحيا هي به · والجسم لم يكن (شيئاً) وجودياً متحركاً ذا حقيقة معينة للادراك والمعقولية إلا بها · والروح ليست لها اقطار (وحدود) اما الجسم فانه ذو اقطار وحدود · وهذا هو سبب فنائه واندثاره وتلاشي اجزائه وتفرّقها · وبوجود الروح في الجسم وشروقها في داخله وسطوع انوارها في ذراته (وخلاياه) ولحمه وعظمه فانه يخرج من القوة الى الفعل ويصير موجوداً حياً متحركاً بالارادة والاحساس لأن وجود ـ الجسم ـ من العلة الأولى ليس اولا وبالذات بل انه قد صدر ثانياً وبالعرض ·

ولقد طال هذا التخريج والتفسير والعرض الفلسفي ساعتين كاملتين · وكنت اشرح كل كلمة اقولها فانشرح قلبها (المتورّم بالصديد والقيح) · فأخذت اغرف من صدري وهو يموج كالبحر · فقالت صديقتها ـ الغيور ـ كلمات قليلة حول تدريس الفلسفة في الجامعات ـ الهندية ـ وما كنت لأصغي اليها ولم اعبأ بما قالت فأنا هنا لا اقول ما اقول إلا من اجل ـ روح الشيطان ـ هذه · وقد كنت اتأمّل روحها ووجهها وقلبها في طيات فؤادي وفي مداخل بصيرتي · وكنت اسمع عينها ـ اذا نظرت اليَّ ـ كأنها تتكلم وتناديني بلغة لا حروف لها ولم يعرفها احد غيري · واذا ابتسمت بتلك (الشفة الصفراء) واذا افترّ ثغرها ضاحكة ـ مثلما تتلمض

الحيةَ بلعابها المسموم ـ فانها سرعان ما تتغلغل ـ واغلة ـ في نفسي فتتحرك اطيافها في القلب فتهيج الألوان المرئية بتفاعل روحها مع روحي فتندفع فطرتي البشرية معبرةً عن البثق الروحي المتقابل بيني وبين ـ روح الشيطان ـ بخيالات ـ الجبة الخضراء أو الزرقاء ـ فاتصور أن كل فتاة (ماشية الخيزلى) لا بد وان ترتدي جبة خضراء مثل جبتها ٠

والبثق الروحي المتعاكس بين قلبي وقلبها هو تعارض بين موجتين من النور واحدة تنطلق من روحي فتحرق ـ وجودها ـ وتغرقه بالنور فتصير هـي شعاعات ملتهبة في السديم ٠ وتنطلق الموجةَ الأخرى من روحها هي لتكوي قلبي بجمـر الغضا فيشتعل (الفكر) والخيال بالوعـود الخُلب والرغائب (البشرية) الباطلة ٠

وقلت ٠ وهؤلاء جميعهن ٠ يسمعن ٠ إن ـ فلانة ـ لم تكن ابدأ هي مطلبي في هذه الحياة ٠ وليس في حبها خيرٌ لي ٠ انما أريد أن أكثر من الحطب فوق هذه النار المؤججة في قلبي ٠ وضحكنا جميعاً ٠ واصفرّ وجهها !! وقالت احداهن متسائلة ٠ أفي قلبك نار متقدة من حب ـ فلانة ـ ! قلت ٠ نعم ٠ في قلبي ناران ٠ نار حمراء ٠ ونار زرقاء ـ مثل جبتها ٠ ونار سوداء أيضاً مثل ـ حظها ـ تنفخ الدخان في عيني وترمي النحاس المصهور بين اضلاعي ٠ وهذه النار السوداء (الشيطانية) ـ هي التي تجعلني انتقل من كير الى كير ومن أتون الى أتون ليبلى عظمي حرقاً وليصير هذا الجسم

رماداً • ثم قلت لها فاذا أردت أن تفهمي هذا فاخرجي من جلدك ولحمك ودمك فأنت ذات جسم مزهر وقلب مظلم ويجب أن تفهمي ـ الغاية ـ من هذا الاحتراق فهو ليس منك ولا من اجلك فان الدهر قد اضرم النار في رأسي منذ ولدتني امي • وفي اليوم الثاني ـ ونحن جلوس في المكان نفسه ـ وثلة الفتيات موجودة بكاملها وقد ازددن واحدة • ولقد تعجبت من نفسي ـ وانا اتحدث عن القرآن الكريم • وكأن هذا قد كان امرأ جديداً في ذلك المقام بين اولئك الفتيات المعجبات بعضهن بجمال بعض فوجدت الآيات القرآنية التي قد كنت استدل بها لتفنيد رأي مخالف قد عرضته احدى الفتيات نقلا عن كاتب ملحد كأن الفاظها وجملها الشريفة تمتد بخطوط من الضياء الالهي والمعاني الربانية الى قلوبهن لتحيط بها من جميع اقطارها • وكأن الآيات المجيدة قد اطبقت على ارواحهن واستولت على حواسهن فرأيت واحدة منهن تلقف نَفَسها لقفاً مأخوذة بقوة ايمانها وصفاء عقيدتها • وتململت هي في مكانها وارادت أن تفصح عن شيء (فتمتمت) وساعدتها في صياغة سؤالها • فعلمت انها تريد أن تسأل عن حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل البعثة • فهل كانت حياته في ذلك الزمان ـ قبل النبوة ونزول القرآن ـ مثل حياة الآخرين المألوفة في تصور الأمور السهلة وتقدير النظر تقديراً محدوداً في تفهم الحركة الكونية والسلوك البشري المعتاد في صعيد الحياة المعاشية والارتباط بقيود المجتمع وعادات الناس الموروثة • فقلت إن لرسول الله

كياناً روحياً آخر متميزاً بخصائصه وسماته عن اي قبيل من الناس في تلك السنين التي سبقت دعوة الاسلام ٠ وقد كان يتهيَّأ بين يدي القدرة الالهية لتلقي الرسالة وحمل الاعجاز القرآني وكانت فطرته الصافية تُنَقّى بعين الله في بودقة الادب الرباني ليكون مستعداً لدمج النوع الانساني بشريعة التوحيد ٠ وقلت إن هذا السر المكنون في تاريخ ـ السيرة النبوية ـ لم تقدر الألسن والاقلام بعد على كشفه كله والوصول الى غاياته العُليا ٠ فحياة رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ قبل البعثة ـ وادراكه ومنطقه وبلاغته وتربيته العائلية ـ العربية ونسبه الطيب الاصول والفروع ٠ ونظراته الكونية وكلامه المُعرب المعجز البياني كل هذه وغيرها في تاريخه ووجوده الأعظم هي طُرُز من الخرق العبقري والابداع السماوي الذي لم يُعهد في بشر قبله ولم يتسَنَّ بعد لأي باحث أن يحيط بوصف ـ السيرة المحمدية ـ واستيعاب خواطر الرسول والاحاطة بأبحر النور التي كانت تجري امام بصره وتصب موجها القرآني في قلبه ! وكل قرن من قرون العلم والتدوين والتاريخ الاسلامي قد غرف غرفة من بحر ـ التنزيل ـ اللامتناهي ٠ قالت عائشة في وصفه ـ بعد أن اكمل الله تعالى له الدين ٠ إن خلقه القرآن ٠ ومن تفسير هذا النعت الرمزي الموجز البليغ يستطيع كاتب خبير بصير أن يقبس مصباحاً من النور لينظر الى الزمن الذي سبق الوحي من حياته عليه السلام في طفولته وشبابه وكهولته وهذه الكلمة ٠ خلقه القرآن ٠ قد اوفت

على غاية الغايات في ملكة الوصف العبقري • وهي تشبه لقطة مصورة مخطوفة بعدسة بلورية غير منظورة خاصة برسم الحقائق وتصويرها • وبعد النظر والتأمل والتعمق وجمع العينين والقلب والعقل امام الكيان النبوي الروحي والاعجازي ـ البياني ـ والتشريعي وعالمية الدعوة وعدالة الحكم يتبين لنا أنه منذ ولد ـ ويد الله تعالى ـ تصنعه وتكمّله وتدفع عنه وتظهره ليكون مرآة النور القرآني • فحياته ـ قبل البعثة ـ هي اطوار من العناية الالهية الخاصة وإلهامات إرهاصية وتربية سلوكية ربانية ووعي عقلي كوني للاحاطة بتاريخ الانبياء والرسل السابقين • واستذكار لكتبهم المنزلة من عند الله بقلب مشرق بنور الله وحس عميق ببيان العرب واستعدادهم للتبشير بالرسالة والجهاد في سبيلها • إن عائشة قد فهمت المعنى العميق لوصفها هذا وعرفت اسبابه وعلله فرأت آثار التجلي القرآني على شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام لأن جبريل قد كان يعرض عليه القرآن ـ مدارسة ـ في كل عام مرة واحدة • وفي العام الذي توفي فيه فلقد عرضه عليه مرتين • وكان ذلك ايذاناً واعلاماً بقرب رحيله الى الرفيق الأعلى • وانذاراً بمفارقة الدنيا وتوكيداً لبقاء القرآن محفوظاً في روحه بعد الموت ملازماً له في العالم الآخر ولأجل أن تظل روحه الشريفة معمورة الحياة الأخروية بنفحات الكلام الالهي في معجز القرآن • وبينما كنت احدث هؤلاء الصبايا بهذه الموارد وعلى هذا الشأو المتطاول • فلقد كنت استعظم كلماتي واكبرها عن أن اقولها ـ جواباً لصاحبة

ـ هذا الرأس الصغير والبصيرة الخافتة • واستغرب أن يكون الباعث الى هـذا الصعود الى الغايات الروحية العالية هـو السؤال الذي قالته هـذه ـ الفتاة ـ المشغولـة بُحمقهـا ووسواسها • ولكن الأعجب والاكبر هو أن اجلس ـبلحيتي ولباسي العربي التام ـ بين هؤلاء الفتيات لأمزج العلم بالجهل والحكمة بالسفاهة • اليست نظراتي اليها وشواهد الحُب التي كنت اقولها ومتابعتها بعواطف الأنس والاستبشار عند الجلوس معها والحديث اليها بين رفيقاتها هو الجهل كل الجهل والسفاهة واي سفاهة ! ولكن صديقتها ـ الغيور ـ قد كانت منتعشة القلب بكلماتي • وكانت تصغي اليَّ اصغاء عميقاً وتفتح عقلها لكل جملة وتردد الفاظي وجملي وانا اتكلم كأنها ترشفها رشفاًبفمها • وكأن للمعاني حلاوة العسل في فؤادها ـ وهذه الفتاة ـ هي الآنسة • هـ• الذكية المتفوقة على جميع صديقاتها بالتحصيل والمطالعة وهي ـ المنافسة لها ـ ولقد كسرت ـ قلبها ـ في يوم من الأيام عندما قالت لي إنها قد دعت الله تعالى أن يهيىء لها شخصاً مثلي • فبادرتها باحساسي ـ الأبوي ـ في نظرتي اليها • وفسرت لها الشفقة الابوية التي اشعر بها خلال الحديث معها والنظر في وجهها فاضطرمت الغيرة في هذا الصدر البريء • وقالت • وفلانة • كيف تنظر اليها وكيف تحس بوجودها • قلت إني احبها واريد أن أخطبها وانا احس بها بجميع مشاعري •

وكنت على حذر ـ بعد هذه الاقوال ـ وقد عرفت أن ـ بنت الشيطان ـ قد تخاذلت امام صديقتها الغيور وخضعت

لتحريضها واستهوائها وتخويفها فطاحت امام قدميها عاجزة مستسلمة فانقلبت ـ امامي ـ فجأة الى طائشة خالية الرأس من العقل مغسولة الوجه من الحياء والخجل • ووقفت ـ صديقتها الغيور ـ تضحك عليها وتكيد وتمكر بارعة ماهرة بما يعجز عنه ادهى الرجال الماردين في الدس الخبيث • وبعد ساعتين من هذا الكلام ـ والاستاذ زرزوق محمد زرزوق يترجم جاداً متأثراً لا يكاد يتنفس • والنساء متعجبات من هذه المصارحات ـ قالت ام ملك زوجة الاستاذ نور الدين • إن هذا الحديث هو من احسن ما سمعت من رجل قدير يعبِّر بغاية الدقة والفهم والدراية عن خواطره الخاصة • ويصور احساسه بالكلام الصادق المبين عن طبيعة رجولته والثقة بعقله وقلبه ! وعلق الأستاذ زرزوق محمد زرزوق على هذه المحاضرة الغريبة على مدارك اولئك النساء • وقال إن في هذه المحاضرة امواجاً زاخرة من الفكر العميق والنظر الفلسفي • وقال إنها من اعجب ما سمع من ادب الاعتراف الواضح • فقلت • إن كلامي كله قد كان يدور على الرفض والقبول والنفي والاثبات وذلك ضروري • فان هذا الكلام لا يزال محفوظاً في صدري الى الآن منذ افضيت به في تلك الغدوات والروحات الى تلك (الجامعة الهندية) ايام كانت (فلانة) ورفيقاتها يدرسن الاقتصاد السياسي والفلسفة هناك • ولأني الخِّصه الآن واقتصر منه موجِزاً فلا بد أن تتقارب الموارد وتتداخل المعاني فيوهم النقض والابرام والتأييد والتفنيد •

فقالت (ام ملك) • إن لتلك الفتاة البائسة فضلا ادبياً ـ في هذه المناسبة ـ ويجب ان نشكرها وندعو الله تعالى بالسعادة والنجاح لها اذ لولاها ما انفجر هذا الينبوع الصافي من فمك ولنا سمعنا من لسانك هذه التجربة الروحية الكبيرة •

واختلطت الأسئلة التي وُجهت اليّ ـ مكتوبة ومنطوقة ـ من النساء الحاضرات في المكان فبعضها عن سيرة تلك الفتاة الدينية • فقلت إنها عربية مسلمة ترتدي اللباس العربي الاسلامي ولم اشاهد منها إلا وجهها • ولم اجتمع بها منفردة ولم اصافحها ولم المس جسمها ولم امس ثيابها بيدي إلا في احد الايام عندما انغمس طرف قناعها المتدلي من على صدرها ـ في صحن المرق ـ الموضوع امامها ونحن نتغدى في ـ المطعم ـ ومعنا صديقتها ـ الآنسة • هـ • ـ فرفعته باطراف اصابعي تنبيهاً لها • وكان من الواجب يومذاك المحافظة ورعاية الشرف وصيانة العرض •

وبعض الأسئلة الأخرى قد كانت ـ دينية ـ وفيها ردود علي ومناقشات واشكالات واردة !! وليس بالوسع ـ في هذا الكتاب أن أُسطر كل ما قلت وما قيل • واكتفيت هنا بتلخيص كلامي الذي القيته فقط •

فقال الدكتور نور الدين • إنك ـ يا فلان ـ قد جئت الى هنا لكي تطلع على تاريخ المسلمين وماضيهم وحاضرهم في (جزيرة سرنديب) وأن تجيل نظرك في وجوه اخوانك المسلمين الصابرين على هذه الأرض وتتنقل بين القرى والمدن في محيط

سيلان فقاطعت كلامه قائلا · وماذا تريد مني الآن · إن (محيط) سيلان الفينان المورّد وكل ما فيها من الجامعات والمفكرين والأحزاب السياسية لم يصرفني عن الغاية التي اتيت من اجلها · فقال · دعني اعبّر عن مقصدي · أريد أن اقول إني قد وجدتك دائم الكلام والافاضة بالتعبير عن افكارك الخاصة المستلهمة من حياتك في بلاد العرب · وأنك تكثر من التفصيل عن الامثلة الواقعة في طريقك هناك · فكأنك لم تكن في رحلة الى ــ سيلان ــ وكأنك لم تدخل هذه البلاد · فقلت له · إن هذا هو الحق · وإني قد اردت أن يكون سفري غياباً عن واقع النفس بخواطرها وهواجسها ولكني قد رأيت هذه ــ السياحة ــ كأنها حضور" في حاقّ الواقع وفي معناه وفي حدوده الزمنية والمكانية من حياتي العربية · فكأني لم اركب الطائرة متوجهاً من البحرين الى ــ كولمبو ــ فها انا ذا مملوء الرأس والقلب بالخواطر والافكار والاحساسات التي جاءت معي من البحرين · يا نور الدين · اني احمل الفرات · ودجلة · وديالى · والزاب وجميع فروع هذه الأنهر العراقية في دمي · وانت تعلم أن طوفان نوح قد فاض من (النهرين) · دجلة · والفرات ! وان كل واحد من هذين النهرين اذا ــ سمع ــ وقع ارجل (الغرباء المعتدين) على شطآنه فان ماءه سيفور ويغلي بين اجرافه ويصير ناراً وشراراً · ويتغير ترابه ويكفهّر ويعبس ويشتعل ملتهباً · واذا طال عهد الظلم والجور والعدوان على كرامة العرب والاسلام فان دموع الاستغاثة والاستنجاد والاهابة بالأمة

العربية والاسلامية ستسيل من (عيون) دجلة والفرات فيطغو الفيضان ويعلو الطوفان وتغرق الأرض وتهلك البهائم والانعام وتنجرف الزروع والاشجار كل ذلك انذاراً لأهل العراق بالاعداد للبذل والتنادي للجهاد · ولكن الاستاذ نور الدين لم يقنع بهذه الحماسة (الخطابية) · وكان يريد مني أن اقصر كلامي على تأثري الانفعالي بتاريخ المسلمين في سيلان · وأن اقيدّ احاديثي بما داخل نفسي واستقر فيها من اثر الدعوة الاسلامية وانتشارها الأول في هذه الجزيرة · غير أنه قد اطنب في وصف اعجابه وانشراح صدره لترسلي في شرح اطواري الانفعالية في اثناء خطبتي لتلك الفتاة ·

ثم قال · إنه ـ عندما كان في العراق ـ قد كان يسمع أن البيوت العربية المحافظة على اعراضها هناك المتمسكة بالعصبية العربية الموروثة قد كانوا في الماضي يمنعون بناتهم العزَبات العذارى ـ من رؤية كل امرأة (متزوجة) غريبة عن بيتهم ـ تدخل بيوتهم ـ كضيف أو كزائرة أو لأي شأن من الشؤون · قال الاستاذ نور الدين هذه الكلمات ثم سألني · ولماذا هذا الغلو والافراط !

فقلت له ـ مدافعاً ـ عن هذه العادات وناغراً لقومي · إن في هذا حفظاً للصبايا والابكار من آفات التقليد والانزلاق خلف الفاسدات الخبيثات من النساء · وبينت غرضي بمقدمات وتقسيمات موضحة · إن النساء المتمرسات على الخيانة الزوجية والمتاجرات بالاعراض يكتسبن على طول المران

والتــدرب في معــاشرة السوء معرفــة فراسية قائمــة على استنتاجات (قيافية) تستنبطها المرأة المنحرفة ـ أو المرأة القوّادة ـ أو المرأة الطائشة العابثة بأعراض الناس بهوايتها الخاصة ـ وهؤلاء كثيرات ـ تستنبطها من الاستعدادات النفسانية والجسمانيــة والعاطفية التي تدركها ـ المــرأة القوادة ـ وتلحظها ـ بفراستها ـ في الفتاة المنظورة امامها فتنفخ في انفها من انفاسها العفنة وتخدّر عقلهــا • وتلقي بعض الكلمات الصغيرة في اذنها فتكدّر خيالها بأشباح الغرام والشهوة • وإن لهذه الاصناف من النساء لياقة خاصة • وقدرة مهيمنة تنبعث من نظرات عيونهم الى وجوه العذارى فتخرج من اصواتهن وكلماتهن نبرات واشارات معينة • وتبدو من عيونهن ووجوههن تعبيرات وملامح مثيرة تحير لها الفتاة العذراء وترتعد فرائصها ويضطرب احساسها فتخاف وتنقاد وتذعن مستسلمة •

وبتحديقاتهن الفاجــرة المصحوبة بالكلمات المغريــة ـ في عرض الاسماء المرغوبة من ذوي الأهواء السافلة ومن اهل الثروة والمال ـ يملأن رؤوس الفتيات العذارى بالاحــلام الضالة العمياء والوساوس المهلكة •

ومن أخطر ما يودي بحصانة الفتيــات ويحرك قلــوبهن بالعواطف المريضة ويجذب مشاعرهن الى هؤلاء القوّادات ـ هو ما ـ يفوح ـ مــن اجسام هؤلاء الفاسقات من رائحــة عطورهــن ـ الخاصة ـ المتميزة المعلنة امام الرجــال بأن

المتعطرة ــ بهذه العطور المعينة هي امرأة مومس أو امرأة ــ قوّادة • أو أنها امرأة لا هذه ولا تلك ولكنها امرأة من نوع غامض ــ تحمل في داخلها وبين اضلاع صدرها شخصية بغيٍ • والرجال يعرفون هذا الضرب من النساء المنحرفات ــ من لباسهن ومن هيئة تصفيف شعورهن ومن عطورهن ــ المعلومة ــ التي تكشف مستورهن وتفضح اسرارهن •

والحرائر من النساء وامهات الأحرار في بيوتات العرب يعرفن هؤلاء بادىء بدء ومن اللمحة الأولى فيتشاءمن من وجوههن ومن كلامهن وينفرن من روائحهن • وبسبب هذا فقد سنت العرب لبناتها الابكار العذارى تحريم القعود مع ــ النساء الغريبات المتزوجات ــ فمنعوا بناتهم من مخالطة هـؤلاء النساء المشينات والسلام عليهـن أو الاستماع الى كلامهن حذراً مـمـا ذكرناه وتوارثاً لقواعد خلقية قديمـة راسخة فوق دعائم العزة العربية الاسلامية • ومبنية على حكمة البيوت العربية الحرة في صيانة الاعراض •

ولأن بعض النساء يتعطرن بنوع خاص من العطر الذي يفصح وينطق بغرائزهن الشهوانية في جلب نوع معيَّن من الرجال • وكأن هذه المرأة تبعث بصوت خفي ممزوج بعطرها تنادي به رجلها المطلوب فتقرع حاسة الشم وحاسة السمع عنده فيظهر القلب الماجن سافراً • وللاسلام حكم" شرعي سديد" في تحريم العطر على المرأة خارج منزلها • وفي غياب زوجها •

وقلت في ختام هذه المجاوبة بيني وبين الدكتور نور الدين • إن هذا كله قد كان ادراكاً فطرياً ورثه العربي من تاريخه المؤسس على اركان الفروسية والكرم والشعر والبيان الفصيح والغيرة على المرأة التي هي الروح المحركة للعربي في الذب عن شرفه وارضه ومثله الأعلى وقد كان يموت من اجلها ويقاتل في سبيلها • اما اذا هي تدنّست ووصمت عرضه وسوّدت صيت قبيلته فانه يفتدي بدمها سمعته وناموس قومه •

وهذه هي خلاصة تلك المحاضرة التي لا زلت اشعر بوقعها العزيز على نفسي ولست ناسياً ما حييت اولئك الفضلاء والفضليات الذين وقفت بينهم مطلق العنان في قلبي ولساني • اتحدث عن خطبتي لتلك (الدودة ـ الجامعية) التي قد كانت تتعلم دروسها السطحية في اجواء الغرام (والانفجارات العاطفية) والغزل الشهواني وفي اطارات التعليم ـ المختلط ـ الذي تتنازل فيه الفتاة عن مناعتها الروحية والدينية وتتمرد على حصانة الادب (العائلي) في محيط الاغراء الجنسي والاثارات المهيّجة من اول يوم تدخل فيه ـ الجامعة ـ الى اليوم الأخير الذي تتخرج فيه • وهي تعاني من ـ الصدمات السمعية والبصرية والقلبية ـ التي زلزلت كيانها بالتخلخل المهلك المبير وغلغلت في روحها وساوس الشر التي لا تبرح صدرها مدى الحياة •

ندوة ادبية في مطعم

كانت الآنسة (ملك محمد السيد نور الدين) همزة الوصل في جمع الفتيات المسلمات المتطلعات الى سماع اخبار العرب ومتابعة انباء الثورة الفلسطينية · وقد كانت هذه الفتاة نشيطة الحركة لامعة الاسم بين صديقاتها المسلمات · ففي مساء يوم الاثنين ٢ شهر ربيع الاول ١٣٩٤هـ ــ الموافق ٢٥ مارس (آذار) ١٩٧٤ · جاءتني الآنسة ملك واخوها وقالت نريد ان نعقد لك ندوة ادبية هذه الليلة · وقد اخترنا احد المطاعم لهذه الغاية · وسندعو ثلاثين فتاة من بنات المسلمين بعضهن من الهند من طائفة البُهرة القاطنين في سيلان · وسوف تحضر بعض الصديقات البوذيات والغرض من ذلك هو الحوار والمناقشة وتوجيه الاسئلة اليك · فلبيت الدعوة · وعندما حان المساء ذهبت الى المطعم ومعي السيد نور الدين وزوجته المولودة في العراق والتي تعلمت العربية في مدارس كربلاء · فكانت (ام ملك) المترجمة القديرة من العربية واليها يساعدها على ذلك محفوظاتها الذهنية والقلبية الوفيرة من كتاب (نهج البلاغة) الذي كانت تحمله معها في كل الاوقات · وما هي الا دقائق معدودة عند الوقت المعين حتى توافد المدعوات على المكان المقصود · وحقا اقــول · إني لم احسّ بانفتاح جميع ابواب نفسي مثلما انا عليه هذه الليلة مــن الاستعداد العقلي والتهيؤ الروحي ويقظة الخاطر وصفاء الذاكرة · وفي كل الايام التي قضيتها في

سيلان في السفرة الاولى والثانية لم ينضج رأسي بالمعاني والأفكار ويسبح قلبي في موج بعد موج من الخواطر والفكر المتدفق مثلما انا في هذه الساعات(١) • قالت لي الآنسة ملك وابوها السيد نور الدين • نريد ان نُسهرك هذه الليلة ونتعبك ونظل نستمع اليك حتى الصباح • نريد أن نتحدث حول الثورة الفلسطينية وعن وحدة العرب • نريد ان نسألك عن معنى الاعجاز في القرآن الكريم • ونريد كلاماً حول تاريخ (نهج البلاغة) • وحينما قلبت بصري في هذا الحفل الصغير وبين هذه الوجوه الصافية البريئة تذكرت ـ متألماً ـ اولئك الفتيان والفتيات المسلمين في سيلان الذيـن كانت تجذبهم الـيَّ سماتي العربية وملامحـي ولباسي فيستوقفونني في الطرقات ويتحدثون معي متلهفين شوقاً ومتحمسين تحرقاً الى اخبار العرب ومتفانين في سبيل تجديد معرفتهم بالتاريخ الاسلامي • فقد كانوا يمرون بي مروراً سريعاً في الاسواق والطرقات والمطاعم أو الفنادق واكثرهم قادمٌ من اماكن بعيـدة ومدن قاصية عـن (كولمبو) فـلا يتسع لهـم الوقت للتعـرف عليَّ وإطالـة الجلـوس معـي • وكـان بعض هـؤلاء المسلمين السيلانيين قـد استأثـر بتفكيري وهزَّ نفسي هزاً شديداً بمـا اثـاره بين يدي مـن التساؤل والتذكر الذي لا ينمحـي • وقـد كان مـن الصعب عليَّ التعرف والارتباط بهـؤلاء المُسلمين المودّعين ـ المجتمعين المتفرقين ـ في وقت واحد قصير هو اللقاء في لحظة وهو الفراق

---

(١) لقد تعمدت في مواضع مختلفة من هذا الكتاب أن اغفل الاتيان باسماء اكثر هؤلاء الفتيات لاسباب خاصة وعامة !!

في اللحظة عينها فكيف استطيع تقييد اسمائهم وحفظ عناوينهم أو تخصيص الأوقات لدعوتهم واستئناف الاجتماع بهم وهم مغذون مسرعون في انجاز مهماتهم واكثرهم من الطلاب والطالبات والناشئة المتنقلين باوامر آبائهم ٠ فكم لقيت من هؤلاء زرافات ووحدانا وجماعات وزمرا متفرقة اتكلم معهم حتى احس وأشعر أن قلبي قد امتلأ بفيض قلوبهم وان روحي قد استضاءت بنور ارواحهم الاسلامية ٠ ولكن سرعان ما سيرفض الجمع وينقطع حبل الوصل الأخوي وينتهي اللقاء الخاطف الى فرقة في الشمل وتصدع تشيه بعده العيون ويحدث البعاد الذي يفلت فيه رباط القلوب فاظل اسأل عن هذه الوجوه النظيفة السليمة مستنطقاً نجوم السماء الملتهبة واروح اكلم الموج في ـ كَول فيس ـ واستجوب الغيم الثجاج في سماء كاندي وها هم اولاء يحومون في خيالي ويرفرفون على رأسي مثل الطيور الصغيرة فينبشون قلبي ويحرّكون ذكريات النفس ! وتبهر هؤلاء الصغيرات المؤمنات نفسي بلثغهن وعجمة السنتهن عندما تنطق عيونهن في معاني القرآن وتفصح قلوبهن اكثر مما تبين السنتهن ٠ ولقد كُنَّ امامي مثلما قمريات الادواح تهدل وترتّل وتسبح الله ثم تصفّق بالأجنحة وتطير الى اوكارها في مدن سيلان المختفية في الغابات والوديان تاخذها السيارات والقطارات لتغيب بين الاغصان المتدلية وتحتجب وراء البراعم ولفائف الورد وبين اشجار الدوح المكتظ في كاندي ٠ وكولمبو وغيرها ٠ كل واحدة من هؤلاء الصبايا كأنّها قد عادت الى ـ فصيلتها ـ من اجناس

الورد العبق المخضّل بالطهر والبراءة · وكأن لكل واحدة من هؤلاء أباً واماً واخوات واترابا من عالم الزهور يضمها اليه ويبثّ في روحها رائحته ولونه حتى تنجذب اليه وتحيا فيه كأنها منه واليه (لقد استرسلت استطراداً في ذكر اولئك الناشئة المبرّئين والمبرّئات) والا فاين تلك الاسراب من طيور سيلان التي خطفت من رُؤاها خطفاً ولم يبق في السمع إلاّ صدى الكلمات والأسئلة عن تاريخ العرب وفتوح الاسلام العظيمة · إني لا اعلم الآن اين هم ولم يعلق في الذاكرة من اسمائهم إلا قليل ·

ففي رحلتي الثانية اخذت اجدّ في السؤال والبحث عن القلوب الذكية الفتيّة فعرّجت على الحدائق والمكتبات والمدارس فاذا بكل هذه المواضع منطفئة مثلما تنطفىء السُرج بعد ان ترتفع منها اعمدة النور ومثلما تخمد الشموع بعد ان يضيء سناها الوهاج في ظلمة الليل البهيم · فرحلتي الثانية ليست كرحلتي الاولى وكأن الورد في سيلان غير الورد وكأن الاقحوان قد انمسخ شوكاً · وسبب ذلك لأني لم اعثر على خمسة من الاصدقاء الشباب الملهمين الذين كانوا يتحدثون مع قلبي قبل سمعي ويكلمون وجداني وعقلي وتدخل الفاظهم سويداء الفؤاد قبل أن افهم ماذا يقصدون وماذا يعنون بالفاظهم وجملهم التي لا استطيع فهمها · فهم يتكلمون عدة لغات ما عدا العربية ·

وما دام هؤلاء البنات قد دعونني لاجل التحدث عن تاريخ العرب ومجد الآباء والاجداد · فلأستجب اذن وابادر لكي اتوسط هذه الدُرر المتلألئة بالفكر والنفوس الشفافة المائجة بحب العرب · ولأجلس في هذه الدارة من سموط اللؤلؤ اليتيم الخالص النادر المثال في هذا الزمان · ولأسارع الى هذه الاحتفالات التي ما يكاد الصوت العربي يعلو فيها بلسان العرب الفصيح حتى يتسامى موضع الاحتفال ويميس ويزهو ويتمايـل باشجاره الفيحـاء واوراده الغافية تحت قطرات السحاب الهاطل فيفاخر زهور سيلان ويتباهى بالكلام المعبر عن فطرة العرب الاصيلة والمبين الموضح للمثل الكاملة في تاريخ الفتوح العربية الاسلامية فيطاول ويتحدى تكبراً بهذا الكلام الرقيق تتبلج به مباسم هؤلاء العذراوات المُقبلات بأرواحهن على تاريـخ العرب الاسلامي فيخرج الكلام مـن افواههن مثلما يصدح الحمام وتقصف البلابل خالصاً ملائماً لهذه النفوس التي لم يغيرها الزمان ·

نعم · لست انسى تلك المرأة التي كانت تبكي مسرورة فرحة عندمـا رأتنا نصغي لابنتها وهـي تخطب باللغـات الاربع · العربية · والانكليزية والسنهالية ــ ولغة التمل ــ مشيدة بالفتوحات العربيـة الاسلامية ومتألمة لأمة العـرب لتكاسلها وتفرق ابنائها وضعفها دون تحقيق الوحدة العربية · وعندما التفتُ اليها سبقتني بالكلام فقالت ــ يا اخي لماذا اثّر بنفسي كلام ابنتي مع أني لا اعرف ماذا تقول ولم افهم

الا بعض كلمات قليلة واصطلاحات اسلامية مختصرة معروفة عند عموم المسلمين • ثم شكرتني وقالت إن ابنتها قد اصبحت ذات علم • فقلت لها إن صديقات ابنتك قد غرقت ارواحُهن في روحها الكبيرة • إن ابنتك قد كبرت ونمت نموا عظيماً بعقلها وقلبها حينما التهب ذكاؤها بالعلوم القرآنية • والفضل في ذلك لك لانك ملهمتُها ومربّيةُ نفسها وها هن رفيقات ابنتك يُصغين اليها مشدوهات بالنور الذي شربه قلبها من علوم القرآن • هذه وقائع سفري الى سيلان لا يمكن محوها أو اندثارها من ذاكرتي •

وبينما كنا في حديقة المطعم فاذا بشقيق الآنسة ـ ف ـ يقترب مني ويهمس في اذني شاكيا متذمراً من لباس اخته الذي ترتديه في بعض الأحيان فيجلب لها الانتقاد والسخرية • وقال • إن لباس اخته لا يصح أن يسمى لباساً لا في الذوق ولا في المصطلح اللغوي وكان متحيراً لا يدري ماذا يفعل • ثم سألني ما رأيك فيها • فقلت له • إني اراها الآن وهي في طريق النور والهدى واليقين وآمل لها بلوغ الأوج العالي الدرجات في العلم النافع والاستقامة والفضل الذي سيجعل منها ان شاء الله ـ قدوة لبيتها كله • ثم قلت له • إن لباس اختك اسلامي ولا مأخذ عليها بسبب طراز التخييط وهيئة الشكل واللون • فالاسلام قد امر بستر ما يجب ان يستر ولم يفاضل بين الوان الألبسة • وقد سمعت اخته كلامي حولها فلم تنتبه لمقصود اخيها وظنت أن اخاها يريد أن يلتقط

صورة بآلة التصوير الموجودة عنده لها ولصديقتها البوذية . فلما عرفت ذلك منها وادركت انها لم تكن على علم بتبرّم اخيها وانزعاجه تظاهرت كأني لم اسمع من اخيها اي كلام حولها . وفجأة رأيتها تاخذ آلة التصوير من اخيها وتنشغل بالتقاط الصور . وكانت آلة التصوير من النوع الفوري التحميض والغسل والتجهيز . فظهرت الصور بايدي البنات . فتقدمن مني وطلبن أن اكتب كلمة وراء احدى هذه الصور . فاقترحت أن تكون الكلمة المطلوبة في ورقة مستقلة لتكون مادة للكلام حول تلك الصور ولتطلع عليها كل واحدة من الموجودات . فاخرجت قلمي وكتبت الكلمة التالية في ذلك المقام نفسه وخاطبت صاحبة الصورة المعنية التي أثار وضعها في الصورة حفيظتي . وحتّم أن تكون هذه الكلمة على هذه الكيفية من الجدية والصرامة . فقلت كاتباً ومخاطباً من توجه اليها الكلام . سوف تكون لك ـ بعد ذلك ـ صورتان . صورة ملقوطة بهذه الآلة المادية الارضية تبرز ملامح معينة واعضاء مكشوفة من الجسم للاغراء وجلب العيون وسوف تكون لك صورة اخرى تمثل حقيقة وجودك وتتضمن خطوط سيرك في جميع حركات هذا الجسم وسكناته . وفي جميع افعال الروح وتأثيراتها وإبداعاتها لأن رب الصور وفياضها وخالق الموجودات وقيومها سيراك في هيئة صورية ـ حقيقية اخرى يرسمها لك الملأ الاعلى من نموذج الحال وبالامر والواقع في صورة حياتك الترابية إن حُسناً وان قُبحا . ولذلك لا بد من العلم العقلي والتفكير بما يحيط بالنفس من احوال الدنيا لكي يطابق ادّعاء

الانسان تصرفه فيقرن القول بالعمل • اذ أن السرف كلّ السرف والسفاهة كل السفاهة أن تدعي المرأة التبشير بالاسلام والتفقه بالدين فتباشر ذلك بصدر عار وشعر مكشوف • إن الصورة النوعية الأصلية المجانسة لوجودك الروحاني والمادي والتي لا تموت بموت الجسم هي التي يظهر بها الانسان امام خالقه معلناً عن افعاله ومخبراً عن صفاته المطبوعة والمصنوعة في عالم الحدوث والامكان وعلى مسرح الحياة الدنيا • اما هذا الشكل الذي التقطته لك هذه الآلة فهو مظهر زائل لا ثبات له ولا بقاء ولا وجوب • وهو عرض" لا يقوم بذاته من اعراض ـ مقولة الاين والكيف ـ فهو خيال من الصبغ والورق واللون الحائل ولكن حقيقة الحياة وجوبية التكوين بنور الله وصورتها باقية ثابتة الى أن يشاء الله زوالها •

فلنحذر اذن من الصورة التي تنكشف فيها هوياتنا المكنونة وتبين السريرة ناطقة مفصحة بالنفاق والتضاد والمنافرة والمناقضة بين القول والفعل والشطاط المفرق بين الاعتقاد والتصرف ••

لقد كتبت هذه الكلمة بالقلم وفسرتها لهؤلاء البنات جملة جملة واخذت نسخة منها وقدمتها لهن كتعليق على مناسبة التصوير ولا ادري ماذا فعلن بها بعد ذلك • وهل انها قد ترجمت الى اللغة الانجليزية أو لغة التمل كما ارادت زوجة السيد نور الدين •

اقترحت الآنسة ـ م ـ وهي من فرقة البهرة ـ أن تكون محاضرتي مقصورة على المحادثة الشفهية القائمة على السؤال والجواب وأن تسجل الاجوبة والاسئلة بآلة تسجيل أو تكتب على الورق ٠ لانها ـ كما قالت ـ تريد أن تستفيد من هذه الندوة في دراستها لعلم البلاغة وللخطب الموجودة في (نهج البلاغة) ٠ وكانت تدعو الله أن يمكنها من تعلم اللغة العربية لتستطيع ان تؤدي رسالتها الفكرية فهي تعتقد أن هذه اللغة مقدسة وهي لغة الدين الاسلامي العالمي ٠ وعلى الانسان اذا اراد أن يتعلم العربية أن يستعد لها بطهارة قلبه وصدق لسانه وتوجيه حواسه نحو الله ٠ كما كان يفعل معلموها ومدرسوها من المؤمنين ٠ فهي لسان الأنبياء وترجمان اشواق الصدّيقين والشهداء ٠ ثم تكلمت كلاماً حماسياً حول بعض الامور واستبدت بالندوة كلها واحتكرت الكلام والاسئلة فلم تفسح بالمجال لغيرها وطال جوابي حول (نهج البلاغة) وحول علم البلاغة أيضاً ٠ وكانت السيدة (ام ملك) تترجم الى لغة التمل ما كنت اقوله ٠ فقلت ٠ إن هذه العلوم ينبغي أن تراجع من مضانها ومصادرها في الكتب التعليمية ٠ وعهدي بذلك من زمان بعيد ولم يبق في ذاكرتي من قواعد هذا العلم إلاّ تطبيقاته ومراعاة اصوله ٠ إن اساس علم البلاغة وسببه الاول هي محاولات عقلية وذوقية وفكرية وتقويمات لقانون اللسان العربي في سبيل ادراك الاعجاز القرآني ٠ ومن اجل معالجة اصول البلاغة العربية القرآنية والوصول الى اسرارها الجامعة لبيان العرب

وافصاحهم واداء ما يحسون به في وسائل التعبير اللفظي وقد الهم عبد القاهر الجرجاني الهاماً فكرياً وفنياً عميقاً حينما تصور علم البلاغة فاخترع هذه الآلة القانونية اللغوية لفهم الأسلوب القرآني ومعرفة وسائل الاحتراز من التعقيد اللفظي والمعنوي وللنسج على نظم القرآن والتأليف على نمط الحقيقة والمجاز في الكلام العربي الفصيح . ومن المعلوم عند اهل العربية أن علم البلاغة قد ارشد المتذوقين الى الروائع والخوالد من مأثورات العرب اللغوية . وبعد تغير الفهم العربي وانحطاط السلائق الفطريّة الاصلية في كلام العربي وقصور العرب عن مجارات الابتكار الامثل في الصياغة البيانية القرآنية فقد امست قوانين هذا العلم ضرورية وواجبة لمن اراد ان يُنشيء اسلوباً ويركّب كلاماً واصبح هذا العلم أيضاً مثل الاطار حينما يستوعب الصورة الجميلة ويجمع نور المصباح فيها . لكنّ هذا القانون الفنّي مهما بلغ العمق والتحليل فيه ومهما توسع العلماء في شرح مبادئه وايراد المقصود منه فان البيان القرآني والمجازات النبويّة تظل في منعتها وعزّتها وقوّة بنيانها امراً الهيّاً تصعب الاحاطة به ويعسر الوصول اليه . لأن الآي القرآني مشبّه" بمثل مجموعات من مرايا البلور متقابلة يسطع بعضها على بعض . فهو مثل قطع من الزجاج الدرّي تتلألأ الواحدة في الأخرى . فكيف يمكن حصرها في أطُر وقوانين وطُرز محدودة وضوابط يُتحكّم بها . مع ذلك فان علم البلاغة اداة" لازمة" واجبة وعلم ضروري اساسي لا غنى عنه ولا

محيد دون دراسته لمن كان يريد أن يفهم القرآن الكريم ويفسّره ويتمثّل بآياته ويستشهد به في الخطابة والتبليغ • وبدون الالمام بهذا العلم يصعب التمييز العلمي بين الكلام البليغ والكلام غير البليغ وبين العالي والسافل من كلام العرب •

هذا ملخص تلك المحاضرة أو قل تلك المراجعة السريعة • وليس هذا الكلام جديداً مُبتدعاً انما قد اوفى علماء اللغة العربية على الغايات العليا في هذه الابحاث وصنّفوا وشرحوا كلّ ما يرام ولكنها قبسات" من المعاني ولُمع" وملامح من خزائن العلماء الفكرية اردّدها انا كما يردّدها غيري •

وبينما كان هؤلاء البنات واخوانهن يعدون الأسئلة المكتوبة حول القرآن الكريم وحينما كانت السيدة (ام ملك) تجمع الأسئلة وتترجم وتوضّح لي هذه الأسئلة المختلفة وقف امامي رجل ابيض الشعر قد حضر الحفل هو وزوجته (الايرانية) ـ فضولا وتوغلا ـ ثم تكلّم سريعاً فلم افهم ما كان يقول • وبعد ذلك تكلّم بالفارسية والعربية • فكتب اليّ السيد (نور الدين) ورقة قال لي فيها • ان هذا الرجل يدين بالبهائية وقد سبق له ان تنقّل في اعتناق دينين آخرين • ثم وقفت زوجته ، فقدّمت زوجها وقالت • انه عالم" من النجف وله مؤلفات مطبوعة في العراق وعندما سألتها عن مؤلفاته لم تتمكن من ذكر اي مؤلّف منها • ولكن قد فهمت أن الرجل بهائي" ومجهولُ الاصل • وقد سكن العراق مدة

قصيرة بعد الحرب العالمية الاولى وكان خادماً في بيت احد المستشارين الانجليز إلا أن الرجل قد اراد أن يناقشني في امور كثيرة وما كان الموقف يتسع للردود والاجابات كلها وقد تركّز كلامي كله على سؤاله الاخير حول المعجزة الاسلامية كما يقول بها المسلمون · فكان يحاور متذرعاً بخيوط العنكبوت من كلام المنافقين واعداء الاسلام ورأيت في يده احد الكتب البهائيّة المعتمدة عندهم واسمه (الحجج البهيّة) مطبوع بالقاهرة كتبه المدعو (أبو الفضائل) الجارفادقاني (من رؤوس البهائيّة) طُبع في مصر عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م على نفقة محي الدين صبري الكردي باجازة من المحفل الروحاني البهائي المؤسَّس في مصر يومئذ تحت رعاية الانجليز · (والجارفادقاني) من معاصري البهاء الكذّاب (ميرزا حسين علي النوري) المدفون في فلسطين وقد زاره في فلسطين وتعلّم على يديه مبادىء الزردشتية والمانوية واليهودية والحقد على العرب والاسلام ·

وعندما نقلت لهذا البهائي تعريف المعجزة كما يقول المسلمون ـ هي العمل الخارق للعادة الذي يتحدّى به النبي خصومه ويعجزهم لاثبات رسالته بطريق الحجة والاعجاز في اظهار القدرة على القيام بما يعجز الناس عنه من الاعمال الخارقة ـ اخذ هذا البهائي يتطفل بنصوص حفظها من الكتاب السالف الذكر · وقد حملني على الخوض في مصطلحات غامضة واستشهادات بكلام العلماء مما لم يتمكن الحاضرون

والحاضرات من فهمه والوقوف عليه • وانعزلنا انا واياه عن الجوّ الذي نحن فيه • واهتممت به ونسيت الدعوة والمدعوين وشعرت بان كلامنا بالعربيّة والفارسيّة قد ثقل على هؤلاء وقد بان السأم وظهر الملل على كل الوجوه • ومع ذلك فقد استمررت اتحدّث عن المعجزات النبوية وأردّ على هذا (البهائي) عندما نقل من الكتاب المذكور السؤال التالي : (هل يمكن ان تكون المعدومات والمنفيات والمستحيلات عادات للناس حتى يقوم النبي بخرقها عن طريق الفعل الاعجازي) ؟

فقلت • وهنا فرقٌ عظيمٌ بين الابداع الالهي والخلق التكويني الذي هو من قدرة الله تعالى وبين اعمال النبي وافعاله الاعجازية • فترجيح الوجود على العدم وتحويل المعدوم الى موجود هو امر المشيئة الرّبانية وهو شأنٌ خاصٌ بالله تعالى • اما المعجزة النبوية فهي التحدّي في عالم الامكان وعلى مسرح الموجودات المسبوقة بالعدم • فالنّبي ليس خالقا ولا شريكاً لله في إبداعه وتكوينه • إن المعجزة هي خرق لاقوال الناس وافعالهم المعتادة مشروطا فيها الموافقة التامة لادّعاء النبوّة والمقارنة لانفراد النبي المرسل المتخصص بها بحيث لا يستطيع احد الاتيان بمثلها أو بما يشبهها • اما التكوين والخلق والايجاد من العدم ابتداء واوّلا فهو التقدير الالهي المحض والفعل الربّاني الذي لادخل فيه لاي موجود • ورسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام هي القرآن وهو معجزته

الكبرى • ثم إنه مطابق" لدعواه ومقارن" لها • وقد كانت المعجزة هنا خرقاً كاملا لمألوف العرب الفخم من البلاغة المثاليّة التي تتفاخر بها العروبة • فجاء القرآن بجماع قراءاتهم واساليبهم مثلا اعلى في البيان المدهش المعجز المتحدي للعرب • وقد كان بين القرآن – من حيث هو بلسان عربي مبين – تناسب" وارتباط" وسنخية وعليّة ومعلوليّة بين إمكانات الدعوة وتبليغها وبين الامة التي حملتها الى العالم • فالقرآن قد اخترق العادة الذهنيّة اللّسانيّة القائمة على التركيب والبناء (الصوري) والمعنوي اللّغوي عند العرب وقد فجأهم بما لم يألفوا ولم يسمعوا وتحدّاهم بما لم يتعودوا – فاللّسان عربيٌّ واللفظ عربيٌّ والابجد عربيٌّ وموضوع التحدّي الذي هو البيان البلاغي واجزاء ذلك ومفرداته كلها كانت موجودة معلومة ولم يخلقها النّبيُ من العدم وليس في مُعجزة النبي ايُّ ايجاد وجوبي بعد النفي الخالص والعدم المحض ولم يدّع النبي عليه الصلاة والسلام خلقة شيء لم يكن مخلوقا بل كانت المعجزة والامر الخارق للعادة وكان التحدّي كلّه قد جرى في عالم الامكان المقدّر من الله تعالى • اجل هكذا جاءت المعجزة المحمدّية تتحدّى بلغاء العرب ببيان القرآن وتتحدّى العالم كله بنظام ارضي سماوي وفكر وتشريع وقيام دولة العدل والخير • فالمعجزةُ المحمدية واقعية عملية وليست علاجاً خيالياً في ادعاء الانشاء والخلق • والذي يدرس معجزات الرسل اولي العزم درساً عميقاً بكل عقله وقلبه وفهمه سوف يُدرك الحقيقة المصدّقة من فم

التاريخ المدعوم بالاجماع الذي لا يكذّب والمسندة بالعلم الوثيق المؤكّد بأدلـة الحكمة الربانية بأن مناط التعجيز والتحدّي وخرق العادة هو ابراز المستحيل النسبي وتحقيقه بالنسبة الى فهم الناس وتصوراتهم المعتادة في مجال حياتهم ٠ نعم ٠ ان العدميّات المُطلقة الممتنعة الوجود لا يمكن أن تكون عادات للناس ٠ هذا معلوم" مفهوم" ٠ اما العدميّات النسبيّة الاعتبارية فلها مفهوم" آخر يجب التفكير فيه ٠ غير أن التركيز النظـري على القضايـا المنطقية المتعلّقـة بالعدميّات المطلقة ـ كمنفيات بحتة ممتنعة الوجود كليّاً وجزئيا ـ هو الذي اوهم المنطقي باستحالة التحقيق الفعلي للعدميّات الامكانيّة النسبيّة وامتناعهـا امتناعاً مطلقاً ٠ وبعد ذلك وحسب اعتياد هذا التصوّر يتأكّد الانكار ويتكرّر على العقل فيعتاد الفكر والعقل أيضاً نكران التصديق بتحويل المعدوم النسبي الجزئي الامكاني الى موجود ٠ واذا ثبت هذا الانكار في عقل الانسان المعاند توهّما وتخيّلا فانه ـ بعد ذلك ـ سيعتاد الرفض ويجمد على المألوف من استنتاجاته الباطلة وتصوراتـه الخاطئة في تخيّلات الامتناع لتحقيق العدم النسبي الجزئي على ساحة الوجود المحسوس كمعجزة للنبي المرسل فيجرأ حينئذ على نكران المُعجزات النبويّة ٠ وفي هذا الصعيد ربما صحّ القول بتصوّر العدميات النسبية الامكانية كعادات عقلية وفكرية وذهنية وحينئذ تكون المعجزة هي خرق" للعادة العدميّة النسبية الامكانية المتأصّلة في اذهان الناس ٠ ويحدث التحدي الفعلي لقوانين الناس الجامدة ٠

فالعادات هي عادات سواء" منها المتعارفة الجامعة لبعض التقاليد والطقوس والأعراف العامة والخاصة أو العادات العقلية التي يقف عندها التصور ولا يتخطاها ولا يطفر وراءها (كتصور العدميّات المستحيلة) الراسب في قعر الدماغ من استحالة حدوث المعجزة وامتناع وقوعها اذا أريد بها خرق' النواميس الثابتة عند البشر • في ختام هذا الكلام الذي كان يترجم أيضاً الى الانجليزية • تترجمه (ام ملك) السيدة الذكيّة المتقنة • قال هذا الرجل الذي كان يجادلني إنه يعرض هذه القضايا للجدل العقلي • وقالت زوجته • إنه قد ترك البهائية بعد أن تزوّجها • ثم اخذت تثني عليه وتمدحه وتقول إنه مسلم يصلي ويصوم • ويعيش ببصر عينيه في تصليح الساعات بمدينة مدراس في الهند •

ولقد عدت الى الحديث من حيث ابتدأت في الاجابة على اسئلة الآنسة ـ م ـ وقد كان البنات واخوانهن في اصغاء شديد اليّ بالقلوب قبل الآذان وقد احدث كلامي حول المعجزات النبوية حركة الاعتزاز والفخر في نفوسهن • وقام بعض الشباب يسلمون عليّ ويهنئونني ويشكرون الله بعد أن عرفوا وفهموا ما قلت لذلك الرجل حول المعجزة المحمدية • ولست قادراً هنا على نقل هذه الندوة بكل ما قيل فيها • وقد سجلت جواباً لسؤال احداهن عن المرأة النموذج في الاسلام • فقلت امام آلة التسجيل باللغة العربية • إن في القرآن المجيد

أنموذجاً للفتاة المسلمة ضربه الله تعالى مثلا للعربية الواعية الموحّدة منتزعاً من تقدير العرب الروحي لشرف العرض وطهارة المرأة ومشيراً بدلالة اللفظ العربي الى روح العرب الحساسة في كل مقام يُذكر فيه العرض وناموس المرأة العربية المسلمة واستشهدت بالآية القرآنية الكريمة (وعندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ عِين" كأنَّهُنَّ بَيْض" مكْنون") وقلت ان المقصود بهذا البيض ليس بيض الدجاج • فان بيض الدجاج مبذول" ملحوظ" منظور" تناله كل الأيدي ويأكله من هبَّ ودبَّ • والدجاجةُ تبيض في كل مكان • بل المقصود من ذلك هو بيض النعام • فالنعامة لا تبيض إلاَّ بعد ان تنسج لها (عشاً) صغيراً فوق الارض أو بالاصح بيتا صغيراً محكم البناء والحياكة يشبه الكيس تجمعه من العيدان الدقيقة والصُلبة ثم تحكمه وتضم العيدان بعضها الى بعض بشكل مرصوص متلاصق بحيث لا ينفذ الى داخله لا الهواء ولا التراب ولا الطّل ولا المطر • وبعد ان تبيض فيه تأخذ في غلقه وايصاده وتسكير الخُروق والفتحات والثقوب تسكيراً تاماً وغلقاً محكماً • وقد شُبّهت ببيض النعامة النساءُ الشريفاتُ اللاّئي اقصرن نظراتهن على وجوه ازواجهن • فلا يطمحن بعيونهن الى الرجال الآخرين • ومن المعلوم أن بيض النعام لونه ابيض يضرب الى الصفرة وقد كان هذا وجه الشبه بين بيض النعام وبين المرأة المصون البيضاء التي يشبه لونها لون هذا البيض الذي يتألّق بالنظافة والجمال محفوظا مكنوناً •

بهذه الخاتمة الطيبة قد اكتفيت من تدوين مـا دونت من هذه الندوة . وقد تعوّد اهل سيلان عقد الندوات الادبيـة والسياسية في المطاعـم العامـة وفي الفنادق وفيمـا كتبت واصدرت هنا الكفايـة وغاية المطلوب مـن تلك الصفحات الطويلة التي آثرت اختصارها وحذف اكثرها .

في منزل عبد المحسن

في ٧ رجب ١٣٩٣هـ الموافق الخامس آب (اغسطس) ١٩٧٣م ٠ جاءني الى الفندق مدرس اللغة العربية الاستاذ زرنوق محمد زرنوق وابلغني ان مجموعة كبيرة من السيّدات المسلمات يدعونني للاحتفال بقدومي الى سيلان ٠ وتقرّر ان يكون ذلك في بيت السيدة ام الخير زوجة عبد المحسن (في كولمبو ـ ع ـ) وكان القصد من ذلك هو أن القي حديثاً في تاريخ العرب ولأن هؤلاء السيّدات قد عزمن على تأسيس جمعية اسلامية خيرية ويرون ان يطرحن امامي برنامج هذه الجمعية لصياغته باللغة العربية ٠ ويسألنني الرأي في تهيئة الامكانيات المادية من العالم العربي ٠ واستأجرنا سيارة وذهبنا صوب منزل ـ ام الخير ـ فاستقبلني زوجها عبد المحسن ٠ وبعد جلسة قصيرة في هذا البيت المضياف اخذت ـ ام الخير ـ تتحدّث امامي بلغة عربية ركيكة وقالت ٠ إنها تدرس العربية منذ ستة شهور على الاستاذ زرنوق محمد زرنوق ٠ وقد تكلمت ـ ام الخير ـ عن الغرض من تأسيس هذه الجمعية وبيّنت عزمها على زيارة الكويت وإمارات الخليج العربي ٠ وبعد ذلك تزور بغداد والعواصم العربية الأخرى لجمع التبرعات الخاصة بتمويل هذه الجمعية وتأسيسها فأيّدت فكرتها وشجعتها وارشدتها الى التعرف ببعض البيوت العربية وبعض المنظمات النسوية في الأقطار التي تنوي زيارتها ٠ وبعد قليل من الوقت أذنت هذه المرأة

بان ننتقل الى منزل اختها التي رُزقت بمولود جديد قبل بضعة ايام · فوجدنا المنزل غاصّاً بصفوة المسلمات المتعلمات وزاخراً بالنُخبة من بنات المسلمين وربّات بيوتهم · وقد رأيت بينهن عدداً كبيراً من المسلمات اللاّتي يتابعن متابعة مستمرة اخبار العرب ويقرأن كل ما يتعلق بالامة العربية مما تكتبه الجرائد السيلانية · وقد اقيم الاحتفال في قاعة المنزل الداخلية التي غصّت بالنساء فقط · اما الرجال فقد جلسوا في حديقة المنزل الصغيرة · وقبل النهوض الى مائدة العشاء طلبت ــ ام الخير ــ أن اتكلم للحاضرات عن سبب قدومي الى سيلان · فالقيت كلمة استمرت ساعة كاملة وكان الأستاذ زرُوق محمد زرُوق يساعدني على تأليف كلامي باللغة الانجليزية · ويترجم عني من العربية الى (لغة التمل) (ولغة السنهالي) وبعد الانتهاء من كلامي تحدّث معي بعض المتعلمات من النساء المسلمات وسألنني عن المرأة العربية وعن العمل الفدائي الفلسطيني وعن جيوش العرب (كان ذلك قبل عبور القنال وحرب رمضان (اكتوبر)) فاجبت جواباً مستفيضا واطنبت ثلاث ساعات كاملة ولم يكن هنا مجال" لاصدار ما قلت وايراد ذلك القول المكرر حول المجتمعات العربية والدول (المتفرقة) · ولكنّ اكثر الاحاديث جدّية وانفع وانجع هي الكلمات التي تداولناها حول فتح خراسان وعبور نهر جيحون بقيادة قُتيبةَ بن مسلم الباهلي · وكان ابلغَ ما في ذلك ما سمعته من احدى السيدات عن الاستنارة بكرم العرب وبذل دمائهم الغزيرة في الفتوح الاسلامية ·

وفي اثناء ذلك تقدمت مني ـ ام الخير ـ وقدمت اليَّ رضيعاً مقمَّطاً كانت تحمله على كـفـَّيها وقالت إن امه الجالسة الى جنبي ـ وهي اختها ـ تدعوك ان تطلق عليه اسماً من الأسماء المختارة التاريخية ٠ فقلت لها إن الاسم الجدير بمقامنا هذا والقريب ذكره الينا في حديثنا عنه هو قائدنا في معارك ما وراء النهر وموسع رُقعة الاسلام وقامــع جيش الكفر قتيبة بن مسلم الباهلي الذي تحدثت عنه قبل هنيئة ٠ عن حزمه وحنكته وصبره في فتح جميع ما وراء النهر ٠ وفي تقدمه نحو الاراضي الصينية ٠ فقـُبلت التسميّة وبْوركت٠ وتلقتها ام الوليد الرضيع بالاعجاب والرضا والاستحسان ٠

ولم يكن هذا الاسم جديدا في سيلان ٠ فان المسلمين هنا قد دأبوا على أن يختاروا لأبنائهم دائما الأسماء العربية التاريخية ذات الشهرة والذكر والصيت الرفيع في طبقات الامة العربية والاسلامية ٠ وإني لم اجدْ فئة اسلامية من عموم المسلمين تـُغرب وتتقصّى انتخاب الأسماء العربية كما يفعل اهل سيلان المسلمون وذلك واضح معروف لدى كل من زار سيلان ٠

لقد اقتربت مني شابــة في الشهر الاول مــن زواجها وسألتني وزوجهــا يستمعُ والاستاذ زرُوق محمد زرُوق يترجم ٠ هل ان لصيغة الاسم علاقة بالمسمَّى ؟ وهل لدلالة الاسم تأثير على شخصية المسمَّى ؟ فقلت ٠ اذا ادرك المسمَّى الدلالة اللغوية والرمزية والغاية المعنية من الاسم الذي اطلقه

عليه اهلـه فانه قد يتأثر بذلك وقـد يتصف بالمثل الاعلى المقصود من ذلك الاسم ۰ اذ لا بد ان يكون مفروضاً انه سينمو بروحه وبعقله وسوف يطمح الى المزايا العُليا والقيم الشريفة التي تدل عليها عبارة الاسم ويتضمنها التركيب الاشتقاقي للاسماء مُحاطاً بهالة التأثير والتوجيه الى الغرض المطلوب تاريخياً في زمان من ازمان الأمة ۰ وضربت بعض الامثلة على ذلك ۰ وتكلمت في مطلب بعيد المنال ما ظننت أن السائلة قد بلغت معناه أو ادركت ما اريد ۰ واعني ۰

أن تسمية هذا الطفل قد اثارت حديثـا طويلا واسئلة دقيقة كان الاستاذ زرّوق محمد زرّوق يوّجه اليّ بعضها من نفسه ويترجم البعض الاخر عن الأُخريات من المسلمات الموجودات معنا ۰ وكان هذا الصديق الذي يدرّس العربية وله طلاب" عديدون يعلّمهم النحو والصرف مِثـلَ الـذي يريد أن يمتحنني ۰ فسألني قائلا اخبرني ما هو تعريف الاسم في علم النحو فاجبت بداهة ۰ الاسم مجموعة من حروف مؤلفة تنطبق وتدّل على ذات أو شجر أو جماد غير مقتـرن بزمن ۰ فالاسم بحروفه ودلالته عَلم" على المسمّى ۰ فقال الاستاذ زرّوق محمد زرّوق معيداً سؤالا سابقاً ۰ وهـل الاسم والمسمى حقيقة" واحدة" ام هما مفهومان متغايران مختلفـان ؟ فقلت للأستاذ زرّوق محمـد زرّوق ان هـذه الابحاث العميقة قد فرغ منها علماء المسلمين ويمكن الرجوع فيهـا الى كتب الحكمة الاسلامية وكتب العقائـد وتفاسير

القرآن . وقلت إني قريب العهد بمدارسة هذه المسألة مع أحد الاخوان في سيلان . وبيّنت للمدرسة السائلة أن للاسم حقيقة متحصّلة مستقلة عن المُسمّى ويجب أن نعلم بان للاسم لفظاً خاصاً يدل عليه قبل أن يوضع بازاء المسمّى . فالاسم موضوعٌ مستحدث يصدر دائما بلفظه ليلحق بالمسمى الذي يجب ان يكون موجوداً قبله . ومعنى كلامي هذا واضح سافرُ الغاية فالمسمّيات موجودة قبل اسمائها . والكثير من الحقائق والماهيات والذوات والاشياء قد كانت مجهولة للانسان ولم يعرف اسماءها مع انها كانت متحققة الوجود وبارزة محسوسة بدون ان توضع لها الاسماء اي انها كانت مشخّصة بحدودها وتعريفها المحسوس بهوياتها الفعلية قبل أن تُسمّى باي اسم . والعالم مملوء بالبراهين على ذلك . فكل المكتشفات الحديثة والقديمة قد مرّ عليها زمان طويل وهي مجهولة الاسماء — اي بدون اسماء — فلم تكن معلومة المعنى الاسمي إلاّ بعد أن وقعت عليها حروف الاسم وصيغتها المتحدة. والمعلوم القطعي هنا هو الفرق بين الاسم والمسمى . والبحث عن الاسم لشيء من الأشياء أو كائن من الكائنات الحية دليلٌ على أن الاسم مسبوق بمسمّاه . واستدل علماء المسلمين بالقرآن الكريم . فان الله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالقول — بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ — ولم يقل — بِمسمّى اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ — والمعنى هنا يدل على أن الاسم غير المسمّى . وفي كل كلامي هذا كنت اعيد واكرر

ما فرغ منه وانهى تحقيقه العلماء والراسخون في علم العقائد والاصول الاسلامية ·

وانجر الكلام الى ذكـــر اسماء الله الحسنى · وانحصر الحديث بيني وبين الاستاذ زرّوق محمد زرّوق · وكنت اعتقد ان اكثر النساء الموجودات لم يقدرن على متابعة هذه الأبحاث العويصة · وكان الاستاذ زرّوق محمد زرّوق يريد التوسع في الحديث عن اسماء الله الحسنى · فنبّهته الى انها ـ اي اسماء الله الحسنى ـ محصورة" بين العَلَميّة والوصف كما اتفق عليه العلماء · والتوصيف لاينافي العلمية بخلاف المعاني الاسمية الوصفية الموضوعة للموجودات الحية وغير الحية · فكل اسم من الأسماء الحسنى مثل ـ العالم ـ المريد ـ المُحيي ـ المميت ـ الخالق ـ الرازق ـ الـــخ · له دلالات اشتقاقية واقعية تصدق على ذات الله وحده وكل اسم من هذه الاسماء هو مصدر للأمر والخلق والخير والرحمة والبركة لكل الموجودات · ولا ريب في أن اسماء الله الحسنى توقيفيّة وأن اطلاق هذه الاسماء والأوصاف المذكورة على الله تعالى متوقف على المسوّغ الشرعي المقيّد بالنصّ القرآني والسنة النبوية الثابتة المؤكدة ·

هذا ملخص لتلك الجلسة الاخوية والاحتفال الكريم · ولا زلت اذكر اولئك الناس الصادقين الطيبين من اهل سيلان رجالا ونساء ولا بد من التنويه بذكر الاستاذ الفاضل زرّوق محمد زرّوق الذي كان السبب في هذا الاجتماع الاخوي ·

وبعد ايتها الاخوات المسلمات في بيت ـ ام الخير ـ وفي غيرها فان حروف الاسم ودلالاته لا يمكن أن تؤثر في حقيقة الانسان وجوهره فان هوية الانسان الروحية وكيانه الفكري شيء" والحروف التي يتكون منها الاسم شيء" آخر ٠ وكم من مُسمَّى باعلى الاسماء وافخرها وانصعها وابركها قد درج وعاش وحيًا ومات باعماله المخزية وعيوبه الفاضحة على نقيض المعنى الذي تضمَّنه الاسم الموضوع له ٠

حديث عن الموت مع الاستاذ عبد العزيز أبو بكر

اراد الصديق الاستاذ زرزوق محمد زرزوق أن يجمعني بالاديب والنائب السابق في المجلس النيابي الاستاذ عبد العزيز أبو بكر • وقد ذكر لي أن الاستاذ عبد العزيز كان من العاملين في الحقل السياسي وكانت له نشاطات ادبية وثقافية• وقد حبَّر المقالات وكتب المباحث في السياسة والأدب والاجتماع • وعلمت أن الاستاذ عبد العزيز هو الذي طلب لقائي والتعرف عليَّ للاستفهام مني حول بعض الشؤون العربية لانه كان عازماً على تأسيس جمعية اسلامية خيرية • وكان مصمما أيضاً على أن يزور العواصم العربية لجمع التبرعات من المُحسنين في ارض العرب • وقد شاء أن يستمع الى نصحي ويأخذ برأيي • وفي يوم الخميس ١٨ رجب ١٣٩٣ هـ ـ الموافق ١٦ آب ١٩٧٣ م جئنا لزيارة هذا الأديب في منزله وجلسنا معه في حديقة منزله وبينما كنا في الدقائق الاولى من لقائنا بدرت من الاستاذ عبد العزيز حركة" زعلت منها واستنكرت وقلت ما هكذا يا عبد العزيز يكون الترحيب بالضيف فخجل واعتذر !! ودهش من المصارحة • وقال • انا اخوك لا تؤاخذني وتفوّه بكلمات تُثير العطف • ثم اتكأ على كرسيه وزفر متحسراً من كل قلبه وفمه • وكان يقلّب كفيه من الأسف والشعور بالخسارة كمن فقد شيئاً ثميناً لا يعوض أو كمن نزلت به نازلة" من مصائب الدهر • ثم قال • يا اخي ـ لقد ماتت زوجتي قبل شهرين ـ وإني قد اصبحت لا أطيق آلام الجسم وهموم الروح فلقد جزعت ونفذ الصبر •

فترحمت على زوجته · وتعمدت أن احول الكلام الى معاني أخرى عندما فهمت أن حزناً يشبه ظلمة القبر أو اشد حلكة وسواداً قد اكتنف هذا الرجل واحاط ببيته كله · وأن ضيقاً في الصدر كمثل حشرجة الموت قد خنق انفاسه · ومع هذا فاني لم استطع إبعاده عن ذكر زوجته · ولم اتمكن من صرفه عن رغبته في الكلام عنها · فكلما بعدنا عن حديث الموت اعادنا الى الكلام حول وفاة زوجته · ولكن مناحي الكلام قد اتجهت بنا برغم ما نحن فيه من حزن الرجل وقطوبه الى الدعوة الاسلامية وبداياتها الاولى في سيلان · فتحدث الاستاذ عبد العزيز أبو بكر حول الدعاة الاسلاميين الذين لم يعرفوا العربية والذين اضطروا على دراسة تاريخ الاسلام ومبادىء الشريعة الاسلامية بلغة الانجليز · وربما ذهب هؤلاء الدعاة الى بلاد العرب أيضاً يلقون الخطب الاسلامية هناك باللغة الانجليزية ثم سألني هل رأيت احداً من هؤلاء الدعاة الذين لا يحسنون العربية يبشرون المسلمين ويلقون المحاضرات فيهم باللغة الانجليزية · فاجبته قائلا إن من الواجب على الداعي المسلم أن يتعلم اللسان العربي ليتمكن من فهم الشريعة الاسلامية ·

فقال وما الغرض من ذلك · قلت له · إن الغرض واضح · لكي يستطيع الداعي الاسلامي الاجابة عن اصول الاسلام وفروعه بالكلام العربي الصادر من منابع الوحي الالهي ومناهل السنة النبوية · فقال · يا اخي إني لا أريد أن

اتكلم · ولكني أُريد ان اصغي اليك · واني اعرف الامور وافهم الحقائق ولكني أريد ان تحدثني انت لأكون مستمعاً ليس غير · ثم طلب مني أن اعيد الكلام الذي قلته الآن فكأنه لم يسمعه · فقلت مواصلا ومستأنفاً الحديث ومستطرداً الكلام حول الدعاة الاسلاميين · إن للجمل والألفاظ أو التعبيرات التي دعى بها الرسول واصحابه و تخاطب بها قادة الفكر الاسلامي في العلم والتشريع والتدريس والمراسلات خلال الفتوح وفي اثناء القتال لاعلاء كلمة الله تاريخاً مُبيناً وذكراً مؤثراً في نفوس المسلمين ووقعاً مهيمناً على القلب الاسلامي · فاذا تلفظ المسلم بكلمة من كلمات رسول الله بحروفه العربية فانه يحسّ ويُدرك بنبض روحي دافق بالحياة والقوة والعزة تصوّره له الجمل التي نطق بها لسان الرسول وتحركت بها شفتاه عليه الصلاة والسلام · فللفظ حينئذ معنى وجودي واقعي مخصوص بالحروف نفسها من حيث قد انطبعت به واصطبغت بما تحمله من مرورها على فم رسول الله وبما يُتخيَّل لها من انفاس الرسول وصوته · وكذلك الرسائل والجُمل والمحادثات ومحاورات الصحابة وخطب قادة العرب الفاتحين العِظام واقوال الصالحين والصديقين من أهل الورع والتُقى وارتجازات الشهداء بمعاني الفداء والزلفى الى الله وهم يتسابقون على لقاء الله · فان هذه الالفاظ والجمل التي أُدّيت باللغة العربية ونُطقت بحروفها تظل الى آخر الدنيا تحكي وتنقل وتوحي الى المتكلم بها ذكريات الفتح ومجاهدات النفوس وصبر المسلمين في حمل

دينهم الى العالم كله • فاذا تُليت هذه الكلمات ذات التاريخ الاسلامي والتي بُذرت ونَبتت فسُقيت من الافواه الطاهرة ثم اثمرت الحكمة وفصل الخطاب مترجمة من قبـــل الـدعاة الذين يجهلون العربية فانها لا تذهب الى القلب رأساً ولا تنزل في اعماق النفس مثلما يكون شأنها اذا وردت باللسان العربي • ولا ريب أن لالفاظ اللغة الانجليزية ومخارجها واصوات حروفها اثراً لا بـد وان يكون فعالا في تبديل هوية هذه الكلمات العربية وتغيير مجراها الاصلي • يضاف الى ذلك أن للجمل الانجليزية ومفرداتها حساً خاصاً ـ كلغة اجنبية عن قلوب المسلمين لا يتجاوب به ولا يتفاعل ولا يتبادل النطق به إلا اهلها الناشئون عليها والمتفاهمون بها والمؤلف وجودهـم التاريخي مـن مثُلها وادبياتها كما نحس نحـن المسلمين نحو لغتنا العربية خاصة اذا علمنا أن لغة الانجليز هي لغة قوم لم ينتشر الاسلام فيهم ولم يكثر فيها تكوين الجمل الاسلامية ولم يألف السمع والـــذوق صياغة الشرع الاسلامي بها • اذ لا تزال هي لسان الأعداء من الكفار الذين لم يستجيبوا للاسلام بعد • وليس مثلها مثل اللغات الاسلامية التاريخية المتآخية مع العربية كالفارسية والتركية والبشتو • والأوردو • والكردية • والتمل • والكجراتي • ولهذا السبب فقد ادرك المسلمون ذلك ونفرت اذواقهم من الحروف الاجنبية فتناولوا اللغات التي اسلم اهلوها جميعاً أو بعضهم فالغوا حروفها وكتبوها بالحرف العربي وكان ذلك فتحاً اسلامياً لغوياً وحدوياً لكي يقرأ المسلم فقه الشريعة

الاسلامية وعقائدها وآدابها مترجمة الى هذه اللغات متمسكاً بعروة اللغة العربية ومتصل اللسان بالحروف التي دارت وتحركت في لهوات الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى السنة اصحابه وتحدّث بها قادة الاسلام وعُبّاده وأئمته وبسبب ذلك فقد تغيرت الحروف الفهلوية الى العربية وغيرَّ المسلمون حروف اللغات الاخرى من البلاد التي تمكن منها الاسلام فكتبوا بالعربية وعمّموا الحرف العربي وتغلغل الحرف العربي وتسرب في كل لغة من لغات المسلمين ودخل وانتشر في كل النثر وكل الشعر وفي جميع المحادثات والخُطب ولغة المعاملات والاسواق • وكان ذلك تمهيداً لوحدة اللغة بين المسلمين وأن تكون العربية هي لغة الدولة الاسلامية الوحيدة في كل فرع من فروع الحياة • وكان المسلمون في ذلك يتحركون بدفع ديني وامر شرعي هو كراهة ترجمة القرآن وتحريمها بحيث لزم على المسلم ـ جهد استطاعته ـ أن يدرس العربية ويتمرس في علومها مبتدئاً بتعلم القرآن الذي اوجب الله على المسلم أن يتعلّمه ويعلّمه • والمفروض من جهة ثانية أن يتعلم المسلم لغة العرب ليبقى كل وقته مفتوح القلب للانفعال والاستجابة لاوامر الاسلام ولاقوال الهداة النيّرين من أئمة الجهاد • وكل ذلك مكتوب" ومنطوق باللغة العربية • فقال الاستاذ عبد العزيز • إن الحكم الشرعي في المحافظة على القرآن وعلى حروفه واشكال خطوطه ووضع آياته في المصحف والايمان به كاملا ليس محرفا هو اصل من اصول الاعتقاد الاسلامي • ويتبع ذلك بالضرورة وجوب التزام

المسلم التمسك باللغة العربية والمحافظة عليها والاقتداء برسول الله والاحتجاج بكلامه وكلام اصحابه · ثم انتقل الاستاذ عبد العزيز أبو بكر يتحدّث عن الزعيم احمد عرابي وعن السنين الطويلة التي قضاها في سيلان فقال كلاماً عن الزعيم احمد عرابي لم اسمعه من غيره · قال « إن احمد عرابي كان يحث المسلمين على دراسة اللغة الانجليزية · وكان متحمساً لها فبعد أن اقام احمد عرابي صداقات وعلاقات له مع حكام الانجليز في سيلان تأثّر بهم واخذ يرشد الى تعلّم لغتهم مخالفاً بذلك جميع علماء المسلمين الذين حرّموا يومئذ دراسة اللغة الانجليزية في سيلان والاقتراب من معاملة الانجليز والاختلاط بهم » فقلت له · إني لم اسمع هذا الكلام الا منك · ولقد سمعت أن الزعيم احمد عرابي كان يردّد فتوى للامام الشافعي مذكورة في رسالة الشافعي هي : عدم الجواز للمسلم بأن يدرس لغة الكفار المغيرين على ارض الاسلام الغاصبين لها – إني لم اتذكر النص الكامل لهذه الفتوى · غير أن المقصود منها هو الامر بالمقاطعة الايجابية والسلبية للعدو الكافر الغازي المعتدي عندما يريد أن يتخذ من تعليم لسانه ونشر آدابه وسيلة لايجاد الأنصار والعيون الذين يساعدونه ويدلّونه على عورات المسلمين فيستفيد الكافر من لغته بأن يجد الزبانية والمسخرين والذين يتباهون بالرطانة والتكلم في لغته · فقال الاستاذ عبد العزيز – والاستاذ زرّوق محمد زرّوق الذي يجيد اللغة العربية كان يساعدني ويساعده على ان يفهم بعضنا بعضاً – إن هذه

الفتوى قد تكون من مآثر الامام الشافعي العظيمة ونظراته الحكيمة الصائبة غير أنه لم يطلع عليها ولم يسمع من احد في سيلان بان احمد عرابي كان مقيداً في هذه الفتوى · فقلت له · إني استغرب منك التعريض بالمجاهد احمد عرابي الذي قاتل الانجليز وحاربهم وتحداهم ولو كان ذلك الرجل صاحباً لهم وصديقاً ما نفوه(١) تسعة عشر عاماً مطروداً في هذه البلاد· وحتى لو أن احمد عرابي قد دعا المسلمين الى تعلم اللغـة الانجليزية فربما كان القصد صالحاً ونزيهاً فلاجل أن تظهر فئة" من المسلمين تنطق باسمهم وتدافع عن مصالحهم الاسلامية وتتابع امورهم في الدوائر الحكومية التي فرضت فيها اللغة الانجليزية كلغـــة رسمية · اذ لا يمكن أن يتيسَّر للمسلم المتعلم معرفـة السبل الموصلة الى الاطـلاع على التشكيلات الحكومية والاوراق الرسمية أو العلم بمصالح المسلمين ودفع الضرر عنهم في بلاد لا تعترف بالاسلام · ويحكمها الانجليز ولغتها الرسمية هي اللغة الانجليزية بدون تعلم هذه اللغة ودراستها لمساعدة المسلمين في الاطلاع على تقريرات المحاكم وسندات الملكية وغيرها · قلت هذا الكلام استدراكا وتسبيباً ودفاعاً عن المجاهد احمد عرابي · فسكت الاستاذ عبد العزيز واقتنع بما قلت · ثم تململ في مكانه والتفت للاستاذ زرُّوق محمد زرُّوق وقال · ما انا وهذا الكلام · إني الآن مشغول" بنفسي وهمومي · وقال إنه لا يستطيع أن يتحدَّث بعيداً

(١) راجع موضوع احمد عرابي في هذا الكتاب ·

عن ذكر زوجته • وكان يريد أن اساعده في معرفة السبب الذي يجعله متذكراً لزوجته ومستحضراً لهيئتها امام عينيه في الليل والنهار ، وفي كل الساعات • فقال الاستاذ زرزوق محمد زرزوق عِظه يا فلان وتحدّث له فانه رجل من اهل الفكر وذو احساس عميق وقد اشتد عليه الحزن •

فقلت • إن تذكر الاموات من اعزائنا امرٌ لا بد منه وانا اعيش في ذلك دائماً • ولست معتقداً الآن بان موعظتي ستطفىء نيران الحزن في قلب عبد العزيز • ولست قادراً على تبديل احواله النفسية • والأمر هنا منوط بالذين يعيش معهم هذا الرجل ويحيا ويأكل ويشرب من اهل بيته • فهم الجديرون بتعزيته وسلوانه • إن الأحبّاء قد يموت بعضهم من زمان بعيد وقد يزول اثره وينقطع خبره ولكن صورة وجوده المادي المحسوس – لشدّة التعلق بها – لا تبرح تعاود النفس وتوهم مرآة الذهن بما يُعيد الحياة الى ذلك الميّت فنظل نذكره ونتحدث عنه كأنه يخالطنا ونسمعه ويسمعنا – وكأنه لم يمت – وبمقدار انصراف القلب الى الشخص الميت وبمقدار حبنا له واهتمامنا به تزداد الصُور في النفس لكل جزء من ملامحه وصفاته وليس لطول الزمان أو قِصَره دخلٌ في تغيير هذه الصور وتبديلها أو تحويلها أو وضع صُور اخرى مكانها تشغل الخيال والعاطفة بل ربما هلك شخصٌ قبل نصف قرن أو اكثر فبقي مرئياً بشكله وسيمائه في عيون محبيه ومسموعاً بلحنه وصوته في آذانهم ومنطوقاً معه في

اليقظة والمنام بحالة اعمق واكثر وادوم من حالة التذكر لميت قد مات قبل اسبوع أو شهر أو اقل من ذلك • وقلت للاستاذعبد العزيز أبو بكر إن لصفات زوجتك ومواقع فضلها عندك لقوة وايّة قوة ظلت مؤثّرة في روحك فلم تز'ل ولم تنطمس ولم تمت بموتها ولم تدخل القبر كما دخلت هي ولم يغيّرها الزمان • فاخذ الفكر في هذه الاحوال يتحرك ويركّب الصفات ويجسّم ويعيد الوجود المتلاشي ـ حيّاً متحركاً ـ الى ساحة النفس بالخيال والوهم لا بالاحساس واليقين •

فرأيت الرجل قد انشرح قلبه لهذه الكلمات وغيّر منطقه كله واستأنف الاعتذار مما قال حول الزعيم احمد عرابي • واشرت عليه بمخالطة ذوي الكياسة والعلم والحِكمة من الرجال ليستريح قلبه من ذكر زوجته • ولا شك أن الانزواء والعُزلة والوسوسة مع ذكر هذه الزوجة الميتة سيجعل الدماغ مسرحاً للأشباح ومرقصاً للاوهام •

ثم دار بنا الحديث على مسائل شائكة ـ عن الخلود بعد الموت ـ وعن كلام خيالي نتصوره ملفوظا من فم الميت وهو غائب عن ابصارنا • فقال عبد العزيز ـ يا فلان ـ أريد منك أن تشفي غلتي وتروي ظمأي بهذه المعاني • اني اسمع زوجتي دائماً كأنها تكلّمني فهل بقي كلامها حيّاً امامي بينما قد ماتت هي وزال وجودها ؟ وهل الكلام حادث ام قديم ؟ وهل الله سبحانه وتعالى يكلّم الموتى يوم القيامة ؟ فقلت

للاستاذ زرنوق محمد زرنوق . انتبه ايها الاخ . إن الاستاذ عبد العزيز أبو بكر محاجج" كلامي" ويريد أن يعيد الى الناس مشكلة القول بخلق القرآن أو الكلام بقدمه . فهل الاستاذ عبد العزيز على علم باقوول المعتزلة والأشعرية ؟ وبما لقيه الامام احمد بن حنبل الشيباني من الامتحان والضرب في سبيل القول بقدم القرآن . فقال الاستاذ زرنوق محمد زرنوق . إن هذه المحادثة هي من اعمق ما سمعت ومن اعلى ما دخل عقلي من المعلومات الادبية والدينية في هذه الايام . ولا شك أن الاستاذ عبد العزيز كفؤ" لمعرفة هذه النظريات .

وحينئذ انتقلنا من الحديث في مسائل الموت الى الحديث عن الكلام القرآني اهو مخلوق ام غير مخلوق . وقد اعجبني الاستاذ عبد العزيز باختياراته الفكرية علماً بأنه لم يتوفر على الاحاطة والتعمق في دراسة العقائد الاسلامية ولكنه مغرم بسماع هذه الاصول . لقد طفرنا الى علم الكلام وقد كان السبب هو الحديث عن امكانية خلود الاصوات خلوداً نسبياً في هذا الوجود . فغمُض الكلام على عبد العزيز فلم يستطع فهم ما قلت في مسألة الفرق بين كلام المخلوقين الحادث وبين كلام الله القديم الذي هو صفة ازلية له . فقلت ان ثمة فرقاً واضحاً بين كلام الانسان وبين كلام الله . بين كلام زوجتك الذي كان قائماً على المخارج والادوات الحسيّة من اللّسان واللّهاة والشفتين والحبال الصوتية وبين كلام

الله الذي ليس له شبيه" وبين كلام الملائكة الذي ليس ككلام البشر • وعندما غمض كلامي وتعقد اعانني الاستاذ زرنوق محمد زرنوق في الترجمة وبين المقصد الذي أريد من كلامي •

ايها الاخ ـ زرنوق محمد زرنوق ـ إن كلام الله سبحانه وتعالى قديم ذاتي وجودي وهو صفة لله لاتفارقه ومن صفاته الفعلية والذاتية معاً • ومعلوم أن كلام الله تعالى لم يكن على طراز كلام البشر بالكيفيات المحسوسة وبالاستطراد والتعاقب الذي يسبق فيه الكلامُ الكلامَ ويتوالى بعضه بعد بعض عند بني البشر فيتقدم منه جزء" ويتأخر عنه جزء" على مسرح الحداثة والجدة والامكان في كلام الانسان • إن المسلمين ايها الاخ يستقون جميعا من منبع واحد • وان الخلاف بينهم لفظي صرف وقوام هذا الامر هو الاتفاق على الاصول والاصول موحدة" عند جميع المؤمنين بتوحيد الله تعالى • ويجب أن انوه هنا أيضاً وفي كل مرة بذكر الاستاذ زرنوق محمد زرنوق الذي كان هو السبب في هذه المطارحات الادبية •

مع ذلك فقد كنت اشعر بأن خطرات عبد العزيز وتخييلاته لنفسه بهيئة زوجته وشكلها امامه يجعله ذاهلا ساهماً كأنه يصغي لصوتها وكلامُها يصدي في ارجاء البيت ويرن بين شحمة اذنيه • ومن هذا الصدى استوحى عبد العزيز خواطره وذكرياته التي تصور له زوجته حية ناطقة فتلعب الأشباح

في هذا المنزل الهادىء الساكن . وكأن الرجل قد اراد أن يتعلّل ويتوسل فحاورني بالمسائل الفكرية العميقة يريد من ذلك أن يُدرك اموراً لا نستطيع جميعاً تفسيرها ولا شرح غوامضها . وقد علمت أن الاستاذ عبد العزيز ذو روح اسلامية تتفحّص وتتروّى وتفسر الافكار تفسيراً اسلاميا .

وقبل الخروج من المنزل فقد توجهنا الى الكلام عن الورد والشجر المتناثر في الحديقة وسألته عن شجرة غريبة التكوين والثمر والغصون . فقال . إنها من مغروسات زوجته ! وعرض عليّ نقلها معي الى البحرين كهدية منه . قال . خذها اليك واغرسها في منزلك فقلت له . اني لا املك منزلا حتى ازرع فيه الاشجار .

وقبل تقديم هذا الكتاب الى الطبع اخبرني المحامي السيلاني محمد شاه محمد . أن الاستاذ عبد العزيز أبو بكر قد لحق بالرفيق الاعلى وتوفي مرحوما من الله تعالى بعد مغادرتي سيلان بثلاثة اشهر .

في بيرولا

PERUWALA MEERIPENNA

قال لي الامين الاول في السفارة العراقية فايز عوني بكر صدقي • إنك مدعوٌ هذا اليوم لكي تنوب عنا إنابة شخصية في حضور الاحتفالات الدينية المقامة في احدى القرى بمناسبة الاسراء والمعراج • وسيأتيك رجل من المسلمين واسمه ـ امين ـ لينقلك بسيارته الى المكان المقصود • وفعلا فقد جاء ذلك الرجل وابرز لي بطاقة شخصية للتعريف به من السفير العراقي السيد بشير الطالب يقدمه لي فيها بأنه سكرتير (المعهد الاسلامي) في قرية (ميري بناه دركاه تاون) ـ وهذه القرى هي قواعد المسلمين ومواطنهم الأولى في سيلان ـ فركبت السيارة معه وتوجهنا الى القرية • وذلك في ٢٨ رجب ١٣٩٣هـ ـ الموافق ٢٥ آب (اوغسطس) ١٩٧٣م • وقد سلكنا طريقا جميلا من طرق سيلان بمسافة ثمانية وثلاثين ميلا عن ـ كولمبو ـ بين الاشجار الكثيفة التي تختفي في داخلها المنازل والبيوت والاسواق والدكاكين المتباعدة بعضها عن بعض • وقد دارت بنا السيارة على ساحل البحر عبراً لبعض الجسور والقناطر ومروراً بسكك ضيّقة ما كنت استطيع رؤية الارض فيها لشدّة انسكاب المطر الهامر الغامر الذي لم يتوقف إلاّ بضع دقائق وكان هطّالا كل ذلك المساء • مررنا ـ على كجي مسجد ـ في قرية ـ بيرولا ـ وهو أوّل مسجد اقيم في سيلان كما تقول الروايات • وقد شاهدت في

هذه الجولة المسائية شواطىء وجُدداً تمتد فوقها اشجار (النارجيل) وينعقد عليها سعفها الخفاق المصطفق في هذه الليلة المطيرة ٠ فخُيِّل اليَّ كأني في العراق بمناطق من الفرات والقرنة والبصرة ٠ فاطبقت جفنَيّ لأُقارن بين صورتين ٠ صورة النخل العراقي الفارع المتطاول على جانبي الفرات يتحدى الزمان ويروي هزيمة المعتدين والغزاة أبيّاً شامخاً عنيداً وبين هذه الاشجار الندية بالمطر والطل شتاء وصيفاً قد ضحكت الارض حولها بزاهر الورود وقد اثمر الموز والباباي والبرتقال والاناناس ٠ ومع هذا كله فان للنخلة في نفسي معنى ناطقاً في الرافدين بالعِزَّة والقوة ماكرّ الجديدان ٠

من قرية اسلامية الى قرية إسلامية ٠ وكلما دخلنا واحدة نبّهني رفيقي بان انظر الى المساجد الاسلامية الجديدة والقديمة العامرة بالمصلين وكلما اردت السؤال عن شيء من الاشياء بادرني بالاشارة الى المدارس الاسلامية التي يتنافس المسلمون على تأسيسها والتفاخر بها ٠

لقد حسبت حساباً دقيقاً لهذه الدعوة ٠ إن هؤلاء المسلمين قد دعوني الى هذا الحفل من هذه المسافة البعيدة (وكانت الدعوة اصلا موجهة الى السفير العراقي والى اعضاء السفارة) فماذا اقول لهؤلاء الطيبين اذا لوّحوا امامي بطلب المساعدة المادية ؟ فلا يزال لباسي العربي يجلب المضايقات والاحراج لي ٠ ومن جرّائه فاني متهم بالغنى والمال ومحسوب

كأني من اهل النفط والمصارف • وبينما انا في هذا الحُسبان اهيىء الاجوبة بالاعتذار واعزم في داخل قلبي بأن اخبرهم ـ كما قلت في مناسبة سابقة مشابهة ـ أني لا املك مالا ولا فلوساً فكيف أستطيع ان اعاون هؤلاء الاخوان • نعم كيف اقدر على ذلك • ولم اكد اصل الى نهاية الكلام بيني وبين نفسي حتى بادرني رفيقي السيد امين قائلا ـ بصوت عال ـ لا شك أنك رجل كَبير" وقائد" ـ كذا ـ ومن رجال السفارة العراقية ـ كذا ـ فجفلت من هذا السؤال وضاق صدري وتصورت الاحتمالات المرتقبة • ثم قال لي بانه سيقدمني الى المحتفلين بأني ـ رجل كبير وقائد ـ فسكت • وقلت في نفسي ان هذا الاخ لا يعرفني ولقد جاءني فجأة وهو لا يُحسن غير هذه الالفاظ ثم إنه واحد من البسطاء المسلمين الذين يُحبون العرب ويعتقدون بأن جميع العرب (قادة" ورؤوس" ورجال" كبار") غير أني قطعت كلامه بان قلت له • الشيء الذي أريد أن اقوله • فانا لست موظفاً بالسفارة العراقية ولست غنياً ولا قائداً ولا رجلا كبيراً • وذكرت له السبب في توجيه (الدعوة اليَّ • ولكني وعدته باني ساوضح للسفير العراقي الواجبات الاخوية في تلبية مطاليب المسلمين ومساعدتهم باللوازم المطلوبة لتعليم اللغة العربية ونشر الفكر الاسلامي • وما عليَّ إلاَّ البلاغ وتوضيح ما تريدون• ولقد فوجئت عندما كنت أهم بالنزول من السيارة بجميع المسؤولين عن الحفل يتقدمون مني ـ بما يشبه موكباً صغيراً

من مواكب إستقبال رؤساء الدول ـ لتقليد عنقي بقلادة من الياسمين واوراد النرجس . فدهشت لذلك واحجمت عن الاقبال عليهم وضحكت على نفسي ثم تجرأت وسلمت عليهم وتناولت القلادتين بيدي واعتذرت عن تعليقهما برقبتي (وقد امررت احداهما فوق عقالي (سخرية بكل عربي ضائع لا يدري اين يذهب !) ثم مشيت وسط هؤلاء الاخوان ووقفت بجوار منصة الخطابة وقدمت نفسي ببيان واضح وكلمات مفهومة باللغة الانجليزية . واعلنت امامهم احوالي المالية وظروف العيش الذي احيا فيه وصارحتهم بتفسير واقعي لكل ما ذكرت . وجعلت كل واحد منهم يعرف من اين انا ولماذا جئت الى سيلان . ورفعت صوتي في هذا الجمع الضخم من المسلمين (بكلمة واحدة) باني من قبائل العرب التي لا تملك المال ولكنها تجود بدمائها دائما في سبيل العرب والاسلام . وكنت ظننت أن ذلك المنطق الشديد الصريح ربما نفّر هؤلاء الاساتذة والشباب . وربما ادى الى تفريق جمعهم من امامي . ولكني وجدت الترحيب العميق والاعجاب الخالص من التكلف والاحضان الاخوية ووجدت القلوب الصافية بحب العرب والنفوس المتألقة بضياء التاريخ الاسلامي . وكلما بالغت باستنكار الاحتفاء بي واستغراب قلائد الورد واستكراه المظهر الاجوف . وكلما خشُن كلامي ووعُر منطقي اشمئزازاً ازداد هؤلاء الاخوان تعلقا بي واقبالا عليّ بالتوقير والاحترام والترحيب الذي لا يمكن وصفه . نعم . الترحيب بالقلوب يختلف عن الترحيب

بالكلمات والالسن والشفاه • وعندما كنت اتأمل وجـوه هؤلاء الشبان الذيـن احاطوا بي وطوقـوا رقبتي بايديهم واخذوا يعانقونني فاني كنت أحس بان قلوبهم تنطق وتعبّر وتفيض بحب العرب قبل ان يتكلموا أو يتلفظوا الحروف بالسنتهم • وقد كنت ارى نفوسهم تهفو وتشتاق الى ديار الاسلام الأولى باحوال وكيفيات نفسانية وقرائن وادلة من عقولهم ومشاعرهم وحركات ايديهم لا يفهمها ويعرفها إلاّ الذي يـزور القرى الاسلامية في سيلان • وعلمت حينئـذ بخطأي في تصوري الاول وادركت أن الحُب هنا هو حُبٌ في الاسلام لا حُب في الأموال • حُب قرآني لم يلوثه الطمع في فلوس اغنياء العرب التي يصبّونها في الملاهي والمصايف والفنادق الخليعة ويكنزونها في مصارف الغرب • فهنا القلوب الحيّة المترفعة عن الدجل والتدليس • هنا قلوب الشباب الاسلامي في سيلان تنادي العـرب وتناجيهم بكلمـات الله العُليا • فليس الامر كما كنت افترض واحدس • ولقد كـان خيالي السابـق وتخميني اثرا من آثار الكلام المعـاد المكرّر عن النفط والمال وفلوس الأغنياء في ارض العرب • نعم • لقد فهمت أن هذه القلوب مضاءة" بالايمان وعامرة" بغنى الارواح والنفوس • لأن محرّك هذه النفوس ومثيرها والمتحكم فيها هو الشعور بالأخـوة العربية الاسلامية يهز نياط الأفئدة ويحرّك عروق القلوب في ذكريات التاريخ الاسلامي •

جلست في مكاني ساكتاً بعد أن هدأت جلبة الاستقبال وبعد أن قرّت الرجال في مجالسها ـ وتطلعت العيون الى منبر الخطابة وسكنت الاصوات . اخذت انظر الى هؤلاء الاخوان وافكر بتاريخ العرب الذين اوصلوا الاسلام الى هنا . وأرهف السمع لهواجس هذه القلوب وهمسها وخطراتها في حُبٍّ العرب والتعلق بهم والانتساب اليهم . وكنت احس أن الذي يموج في ضمير كل واحد من هؤلاء فيقول اللسانُ وتفيض العاطفة . وتمتلىء العين بدمعة الحب هو شيء" آخر مذخور" في هذه الصدور منذ انبلاج نور الغُرَّة المحمدية ومنذ انتشار الاسلام في سيلان . فكانت القلوب هي المرحِّبة اولا . اما الشفاه والالسن فان وظيفتها هي أن تعكس الفكر المنبثق من القلوب فهي ادوات وآلات للتعبير عما يختلج في القلوب ويحدث بالمظاهر والحركات والتعبيرات المختلفة .

إن هؤلاء الناس لم يكذبوا عليَّ وليس للكذب سبيل الى نفوس هؤلاء الناشئة الأتقياء من المسلمين في ـ ميري بناه دركاه تـاون ـ فبعد أن قلت لهـم إني لا املك المال ولا استطيع القيام بالمساعدات المادية لمـع الحب ولاح الأمـل والطموح الاسلامي في عيونهم وعلى افواههم وعرفوا لماذا جئت الى سيلان وانشرحت صدورهم وفرحوا بي اخا مسلماً لهم قد اتيت من اجلهم وفي سبيل اللقاء ودراسة تاريخهم .

ايها الاخوان ان الفرق بعيد" بين المصافحة بالايدي وبين التفاهم بالارواح والوجدانات . وقد علمت أيضاً أن جسم

الانسان مثل الكوّة التي ينبعث منها الضياء ويرتفع النور منتشراً سناه في الافق ـ فهي باب لنفوذ الضياء ومخرج" لانبثاقه ـ وبين الكوّة وبين النور تباين" شديد مثل' التباين الحاصل بين الجوهر وبين مقولة العرض • فالنور حقيقة متحركة مطلوبة لذاتها زمنية ليست مكانية فانها تخترق الأجسام وتدخل في كل شيء • اما الكوّة فوضع مكاني" معلول" لغاية فاعلية اخرى • وكذلك جسم الانسان فانه منفذ مكاني" تنكشف منه وعلى جوانبه روح جوهرية مجردة هي التي تحرك قلب الانسان وتسيره قد اتخذت كلّ حواس الجسم معابر لها وقناطر للوصول الى قلوب الآخرين وجعلت من وجه الانسان وعينيه وشفتيه وملامحه وسيلة للنطق الصامت بالآثار والمعاني • اذن فكل الذي يتجلى على حواس الجسم الخمس وكل التعبيرات المقصودة وغير المقصودة في ملامح الوجه ومن هزات الرأس وحركات اليدين أو التلفت بالرأس كله وتقليب الشفتين • فان ذلك كلّه محمول" على حركة الروح وراجع الى الجوهر المجرد • فاذا لم يكن الابتسام والترحاب وانبساطات المحيا والأسارير صادرة عن حركة القلب الروحانية فان ذلك هو التصنع المقيت والتزوير الكريه والتكلف السمج اذ بمقدار ما تكون ملامح الوجه منيرة منبسطة وبمقدار ما تكون ابواب الحواس مُشرعة امام تيار الحب الايماني النابض الناطق من قرارة النفس يتجلّى حينئذ الحُب فطريّاً اصليا في طبيعة الانسان • وبمقدار حركة النور من داخل القلب تضيىء العيون وتتبلج ويشرق الجبين

بفرحة اللقاء • وبعد ذلك فان الانسان لا يستطيع ان يبرهن مثبتاً الحق في تصرفه الشخصي وملتزماً بالصواب في سلوكه الاجتماعي اذا انسدّت حواسه واغلقت أو انطمست فلا يهلّ منها نور (المصباح المجرد) الذي جعل الله له من دماء القلب زيتاً يضيىء ونصب له من لحم هذا القلب فتيلا يشتعل ليعلو سناه من كوّة الحواس الخمس •

بهذه الخواطر كنت احلل معاني الترحيب الذي تلقاني به هؤلاء الاخوان في قرية ـ ميري بناه دركاه تاون ـ بيرولا ـ PERUUWALA • وبهذا التفسير الذي اثاره في عقلي انفعالي لهؤلاء الاخوان وتأثري بهم وتجاوبي معهم • وقد اقتبست هذه الخواطر من حديث فلسفي القيته في منزل الاستاذ محمد بهاري الذي كان مجاوراً لمكان الحفل • وقد تلطف هذا الرجل فدعا ـ تكريماً لي ـ طائفة كبيرة من ابناء هذه القرية وبعد الانتهاء من العشاء تحدثت متعمقاً في تفسير عواطف هؤلاء المسلمين • فتُرجمت هذه الخواطر من قبل الاستاذ مدرس العربية محمد شاه البخاري • ولقد اوردت هذه الكلمة مختصرة موجزة عند طبع هذا الكتاب •

وقبل بداية الاحتفال فقد تحدثت حديثا طويلا بين الاخوان وانا جالس • وكان الاستاذ محمد شاه البخاري يترجم كلامي الى لغة التمل • وبعد ذلك دُعيت الى إرتقاء المنبر أيضاً واصر الأساتذة الموجودون بأن القي خطابا باللغة العربية في ايّ شأن من شؤون الاسلام والعرب • وبينما كنت

في طريقي الى منصة الكلام اسرع الاستاذ محمد شاه البخاري الى المنبر ليقدمني فتكلم عني كلمة أو كلمتين ثم نسي نفسه واسترسل في القول واطال فلم يلتفت الى مقتضيات المناسبة • فاخذ يسرد قصة الاسراء ويحكي بلباقة سريعة ولسان ذرب في لغة التمل قصة الاسراء والمعراج قد حفظها درخاً من احد الكتب حتى استغرق كلامه ساعة واربعين دقيقة • وبعد أن فرغ مـن الكلام التفت اليّ لكي يقدمني أيضاً فمـا كدت اتحرك من مكاني حتى سبقني شخص آخر الى المنصة واذا به يُلقي على الناس قصة الاسراء وحكاية المعراج مثلما فعل الأستاذ البخاري • وقد اطال واكثر واستنفد ساعة ونصف الساعة • وبعد ذلك فقد همس في اذني الأستاذ محمد بهاري معتذراً ومتأسفاً لأن الاخوان كانوا يريدون أن يسمعوا قصة الاسراء والمعراج • وطلب مني القاء كلمة باللغة العربية على أن يقوم الاستاذ محمد شعيب بترجمتها الى لسان التمل (وقد كنت اعلم ان هذا المدرس الطيِّب القلب لا يستطيع متابعتي والتمكن من الترجمة المطلوبة) وشأن المترجمين في مثل هذه المواقف هـو أن الخطيب سيقول ويتحدث ولكـن المترجم سينقل للناس كلاماً آخر لم يقصده الخطيب • فالقيت خطابي متأنّياً مترّفقاً بالمترجم مقسّماً كلامي الارتجالي الى مقاطع ـعلى الطريقة الاملائيةـ ولقد فهمت من بعض الالفاظ التي كان يلقيها المترجم أنه قد تصرف في اقوالي وبعُد عني واخذ ينشيء كلاماً عاماً حول الاسلام قد تعود تكراره

في صيغ مختلفة عندما تقام مثل هذه الحفلات المتشابهة ٠ ومع ذلك فاني لست قديراً الآن على وصف اولئك الكرماء من اخواننا المسلمين في هذه القرية ولعلهم سيقرأون كلماتي هذه ولعل الزمان سوف يجود بلقاء آخر : ثم ودعت الاخوان وشكرتهم وقد اصر الاستاذ الفاضل محمد شاه البخاري المؤلف المعروف في اوساط المسلمين على أن يرافقني في السيارة الى الفندق الذي اقيم فيه في ـ كولمبو ـ وقد مرّ بي على منزله العامر في اثناء عودتنا ٠ وقد شعرت براحة نفسانية من صحبة هذا الرجل المِفضال ٠ وتناهبت قلبي الذكريات حينما كان المطر يضرب وجه السيارة كأنه حاصب" من الحجارة ٠ وعندما جُلت ببصري بين شجر النارجيل المنحني بجذوعه الدقيقة على السواحل والشطآن تحت ظُلمة الليل الدامس الموحش تذكّرت اخواناً لي في العراق حضرت معهم ليلة مُشتية مثل هذه الليلة ٠ وكنا نتخاطب منهوكين حيارى كأنا ـ ونحن يحادث بعضنا بعض ـ ننادي نخل العراق الكئيب فوق شطآن الفرات موطن العرب الحضاري الاول ٠

جولة على الساحل

في صباح يوم ١٩ شعبان ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٥ أيلول ١٩٧٣م • قال لي الصديق رضوان محمد • أريد أن اذهب بك الى مكان جميل مطل على ساحل البحر للتفرّج على طوائف من الناس ـ غربيين وشرقيين ـ قد جاءوا الى هذا الساحل للتمتع بمناظره الخلابـة وللاستراحة في فندقـه الفخم ـ ماونت ليڤينيا هوتل ـ قلت له • إني قد زرت هذا المكان قبل يومين مع المحامي محمد شاه محمد • فأصرّ رضوان ملتمساً أن نذهب معاً الى الفندق المذكور • فذهبنا صباح ذلك اليوم وتجولنا في الفندق ثم هبطنا الى المقهى الخارجي الملحق بالفندق حيث المكان الخاص بالسابحين والسابحات • فقلت للسيد رضوان إني اكره الجلوس في هذا الموقع • وإني انفر من النظر الى هؤلاء الناس المتعرين فوق الرمال والذين يتمرغ بعضهم بجنب بعض كأنهم في عالم النوم لا في عالم اليقظة • فقال • إن القصد هو أن تطلع وتستكمل رحلتك بمعرفة اكثر المواقع السياحية • فقلت له • إني أُفضّل رُؤية الأشجار والجلوس في الحدائق وزيارة العلماء والمدرسين من اية ملة من الملل في سيلان ولا استطيع الجلوس في هذا المكان الـذي يمتلىء بالماجنـات المتخلعات والسائحـات المُهملات السوائب • فأخـذ رضوان بيدي وقـال • انظر الى هؤلاء المسلمات يسبحن عاريات • فقلت له • لو كُنّ مسلمات لما سبحن عاريات • ولقد اخذت اشعر بان رضوان قد اساء

اليَّ وتعمّد ازعاجي فاردت أن اعتذر من رضوان وانصرف عنه ولكنه تبعني مبتسما وهو يقول إننا جميعاً سنغادر المكان كما تُريد • ولكن هذه الشابة قد انزعجت منك فهي تتكلم العربية وتفهمها وقد سمعتك تطلق كلمة سائبات على اخواتها وصديقاتها • فوقفت مستغرباً متعجباً وجاءت الفتاة وقالت • إنها من عائلة علمية دينية واهلها من (السادة) • ولكن اباها هو الذي شجع اختيها على السباحة والتعري لأن اباها قد درس في الغرب واصبح لا يُبالي في التعاليم الدينية • ثم اخرجت ورقاً وقلماً وقالت • أريد ان تفسر لي كلمة سائبة التي استعملتها في كلامـك • فقلت لهـا • السائبات ــ والسُيَّب ــ والسوائب ــ كلها جمع سائبة • وهي البهيمة المتروكة المهملة والسائب من الأنعام هو الذي تُرك حبله على غاربه • فلا يُرعى ولا يُحفظ • وما كانت العرب لتركب البعير السائب والناقـة السائبة • ثم قلت لهـا • والنساء السائبات هن هؤلاء اللائي يسبحن عاريات امام الرجال • اعني اختيك وصديقاتك • فقالت وهؤلاء الرجال • قلت لها • والسائبات للسائبين • وكنت منفعلا غاية الانفعال وغاضباً • فدهشت هذه الفتاة مـن كلامي وولَّت وجههـا مُسرعة الى اخواتها وهي تنادي على اختها الكبرى الغاطسة في الماء واختها الثانية المنبطحة على الرمل • كل واحد منهما باسمها • ثم سمعتها تقول هذا عربي" • هذا عربي" • تعاليا • نريد أن نتكلم معه • وعندما سمع كلامها جميع المسلمات السابحات خرجن جميعا من الماء يركضن الى ثيابهن مسرعات

مذعورات • واستغرب الحاضرون • وكانت احداهن تبكي وتشتم اباها لانه هو الذي دربها على غَشَيان مواطن الخلاعة• وناديت الصغرى الباكية وتكلمت معها كلاماً رقيقاً مؤثراً • فرأيت عينيها غائرتين من رهبة المُفاجأة وقد رجع الى وجهها الحياء والخجل • وحلفت بالله الاّ تعود الى هــذه الغلطة وتكلمت عن ابيها كلاماً شديداً • وقالت • إن للناس الحق اذا سخروا من عائلتنا وشتمونا فماذا ابقينا من الناموس العربي الاسلامي وحميّة العِرض لاخواننا وابناء عمومتنا اذا استمررنا على هذه الحال من الطيش والجهل • ثم قالت • لو أن خالي يراني في هذه الحال لقتلني أو قتل نفسه • ولكن خالنا قدمات مــن زمان بعيد • فشجعتها على هــذه الروح وباركت أوبتها الى الشرف والدين وهنأتها باليقظة الاسلامية التي تجدّدت في روحها • ثم رأيتها تجتمع هي واخواتها ويركبن السيارة منصرفات • وفرح رضوان فرحاً عظيماً بذلك • وقال • لمثل هذا قد اتينا الى هنا •

كانت هذه الجولة القصيرة العابرة في هذا الفندق وعلى هذا الشاطىء ذات عبرة ناجعة وحكمة بالغة انغرست في قلوب هؤلاء الصبايا بسبب التذكير القارع والكلام النافع والنصح السليم من الدَخَن والغش • وبمثل هذه المواقف تعود الفِطرة وتحيا القلوب الميّتة ويرجع الفكر الضائع •

إن هذا الشاطىء من مناظر سيلان ومن مواقعها الفاتنة الملهمة التي تثير النشاط والحركة وتهيج الفكر قد تحولت

صورته الى قوافل من العراة وقطعان من المُنكبّين على وجوههم والمحدودبين على ظهورهم ـ نسوة ورجالا ـ فكأن هذه الطبيعة الجذابة وهذا الموج وزرقة السماء والزهر والوجوه المُسفرة والنسائم العذبة لا يمكن أن يُعبّر عنها المعبرون ويُفصح عنها المفْصحون إلا بالأجسام العارية والأوضاع الجسمية المشينة وعربدة الخمارين ٠

وقبل أن اترك المكان جاءنا شاب سيلاني يدرس في احدى الجامعات من كولمبو ـ ٦ ـ اسمه فاروق محمد عبدالله ٠ واخبرني بان ثلاثة من الشبان الاوربيين ـ زملاءه ـ في معهد دراسي اهلي ـ يريدون الجلوس معي والتحدث اليَّ حول كيفية دراسة اللغة العربية والتمرن على كتابة حروفها ـ بدون معلم ـ وقال إنهم ينوون السفر الى الهند للتخصص باللغة العربية ٠ وطلب ارشادي ومساعدتي ٠ وما كاد هؤلاء الشبان يجلسون معي حتى توسطهم رجل" سيلاني قبيح الهيئة عابس الوجه وقدم نفسه بانه قد تنصر حديثاً واصبح مسيحياً وانه يكره العرب ويعادي المسلمين ٠ وقد جاء للتعرف عليهم ولمعاونتهم خشية عليهم من هذا العربي أن يؤثر على عقائدهم (أو أن يسخّرهم باغراضه السياسية !) وبعد أن تكلم بضع دقائق على هذه الشاكلة ـ ونحن نسمع فقد عيّن الوقت الذي تنصر فيه وذكر تاريخه بالسنة والشهر ٠ وحينئذ مدَّ يده لمصافحة واحد من الشبان فاشمأزَّ منه ذلك الشاب ولم يصافحه ولم يحرك يده نحوه ٠ وعندما مدَّ يده

أيضاً الى الثاني ثم الى الثالث رفضا مصافحته ولم ينظرا في وجهه • فتمتم بلهجة نافرة متوحشة ثم جلس حذوة يبصبص برأسه ويهز منكبيه ويديه ويتلمض بالتعظيم لهم كما تفعل الكلاب الجائعة • ثم قال جهرة • إن هذا العربي المسلم هو العدو الاول للحضارة الغربية وإن العرب المسلمين هم الذين قسموا العالم الى كفـار ومؤمنين • وهـم الذين يعتقدون بالفتوح والغزو وهدم الدول الاخرى وذلك هو اعتقاد قديم في دين الاسلام الذي واعد العرب بالسيطرة على كل ارض يسكنها المسلمون • ثم اخذ يوضح آراءه وقال • إن المسلمين يعتقدون أن كلَّ دولة في الدنيا يسكنها مسلمٌ واحد أو اقامت بها فئة منهم فهي ارض الاسلام يُباح للعرب ـ غزوها والاغارة عليها لحماية جماعة المسلمين ـ هكذا قال هـذا الرجل باللغة الانجليزية يكلم هؤلاء الشبان • فكأن الرجل قد درس الاسلام وكأنه قد استعـد في كل وقت لمثل هذه المقامات أو قد حفظ الجمل حفظاً من الذين لقنوه • فقال لي رضوان • وابن عمه فاروق وبعض النساء الموجودات في المطعم • إن هذا الرجل قد كان مسلماً من عائلة اسلامية اصلية ثم صار بهائياً مدة عشر اعوام وسافر الى بلاد اخرى • وقد عاد الى سيلان متنصراً يلازم هذه المواقع ويواظب على خدمة المسافرين في ارشادهم الى دور اللهو والفساد •• وهو لا ديدن له إلاّ هذا الكلام في كل وقت • وانا لا أريد الآن التوسع في تفصيل ما جرى بيني وبين هذا الافاق المرتدُّ • ولكني قد علمت متألماً أن هذا المنافق يحمل (جواز سفر

عربي) من إحدى امارات الساحل العُماني ـ (دولة الامارات العربية المتحدة) • فهو يتجول بهذا الجواز السفر العربي ويعيش منه ويتنقل به في بلاد العرب كما يتنقل غيره من اعداء العرب الذين يحملون جوازات السفر من امارات الخليج العربي • وقد استراح قلبي عندما علمت أن هذا الضال الأفَّاك الاثيم لم يكن سيلانياً ولم يولد في سيلان ولا يزال مجهول الاصل ولكنه يعيش بين ـ أبو ظبي ودبي ـ وله ولدان يعملان في (دولة الامارات العربية المتحدة) في دُبي ـ وبعد أن طُرد من المكان شرَّ طردة مما لا داعي الى شرحه وذكره ـ كما قلت آنفا • اقترب مني هؤلاء الشبان واعتذروا وقالوا إنهم يريدون أن يدرسوا العربية ليدرسوا الاسلام • وانهم يفكرون بتغيير ديانتهم والتوجه نحو الايمان بالقرآن • فرحبت بهم وشرحنا لهم مبادىء الاسلام واصوله • ثم سألت اعلمهم واكبرهم عن الاسباب التي دعته لتعلم العربية والتطلع الى دراسة الاسلام • فقال • إنه قد تأثر بعالم مسلم كان يخطب في احد جوامع ـ مدراس ـ بالهند • وكان ذلك العالم محدثاً بليغاً قوي البرهان ومُفَوَّهاً مِصقعاً بلغة العرب فاستحوذ بلفظه على قلوب هؤلاء الفتيان الاوربيين • ومن ذلك الحين فقد عزموا على دراسة العربية والتكلم بها ومنذ تلك الساعة وهم يفكرون بعظمة القرآن وقوته • وقال إنه كان يبحث عني عندما علم أني أريد أن اؤسس معهداً لتعليم العربية في ـ كولمبو ـ وقد عرف ذلك

من الجرائد السيلانية ومن صورتي باللباس العربي المنشورة فيها • فاخبرته بأن حكومة سيلان لا تسمح للعرب بتأسيس المدارس العربية • وأن التعليم هنا وفتح المعاهد الدراسية وإقامة الكليات التربوية محتكر للمدارس التبشيرية المسيحية الأمريكية •

لقد شعرت بأن هؤلاء الشبان الثلاثة لا يريدون أن يطلبوا العربية كما يطلبها غيرهم محفوظات ونصوصاً وتمرينات محدودة ومتوناً جامدة في علم النحو • لكنهم يريدون أن يدرسوا روح البيان العربي ويُلمّوا بفقه اللغة العربية واساليبها وتاريخ علومها • لقد كان هؤلاء الشبان يتناوبون على تكرار السؤال حول الفعل المضارع في اللغة العربية • وكلما فصلت وشرحت عاد واحدٌ منهم مرة اخرى يستوضح ويستفهم والقلم بيده يدوّن كل ما يترجمه ــ السيد رضوان ــ حتى صرت كأني في فصل من فصول التعليم • وحينئذ اقترح احدُ الاخوان بأن يقدموا اسئلتهم مكتوبة فاكتب الجواب لهم باللغة العربية • ثم نترجم لهم نص الجواب الى اللغة الانجليزية مطبوعاً بالآلة الكاتبة وتعهد رضوان بتقديمه لهم جاهزاً تاماً في اليوم الثاني •

إن علوم العربية سلسلة واحدة ذات حلقات متصلٌ بعضها ببعض تبدأ بتعريف الكلام وتقسيم الفعل وتنتهي بالاخير من علم البديع • وعددت علوم العربية ورأيتني كأني اكتب بحثاً في هذه المادة • ولكن لا بأس فهو واجبٌ من الواجبات

التي أردت تقديمها في (المعهد الثقافي العربي لطلاب اللغة العربية) ·

إن هذه العلوم محكمة الربط متراصة البنيان مع امثلة العربية في المنظوم والمنثور والأوابد السائرة المتراصفة في تأليف الجمل والصياغة والانشاء وذلك من مزايا هذه اللغة ومن دلائل ثبوتها الازلي · فلا بد من انفتاح الذهن لها وتهيئة القلب وتمرين السليقة قبل البدء بتعلمها · ولا بد من جولات يقوم بها الاستاذ امام طلابه لتعريفهم على اصول التركيب البياني في محاكات الذوق العربي المطبوع وتنشئة الملكة الحافزة على تقليد الصوت والنطق والحركة في بناء الكلمات وتحويلها وتغيير الجمل وتبديلها عند الكتابة أو الارتجال ·

قلت · ان هـذا هـو واجب الاستاذ القدير على تعليم العربية باللسان الفصيح والعقل الحكيم والقلب الحاضر الفهيم · ونصحت هـؤلاء الشبان ـ بعـد شروعهم بتعلم العربية ـ بتعويد الذهن ومؤالفته للفظ العربي واستقباله لوقع الجمل الفصيحة قبل البدء بتعلم النحو والصرف · وقد أردت أن استجيب لهذا الشاب العطِش المغرم بتعلم الفعل المضارع في اللغة العربية ·

إن الفعل المضارع في اللسان العربي هو الحدث الذي يدل على احد الازمنة الثلاثة التي يقع فيها الفعل · وفي كل امة من الامم لا يزال الفعل دائما ـ مضارعاً ام غير

مضارع ــ هو مجرى الاحساسات الروحية ومسيل الأفكار مصوغة بقالب الكلام ــ بليغاً ام غير بليغ ــ ولا يزال الفعل أيضاً نواة القول المفيد في كل لسان من السنة الامم · وبسبب تقسيم الفعل ثلاثة اقسام ــ ماض ــ ومضارع ــ وامر ــ ظهرت الفوارق بين الالسن والتعبيرات · واصبحت كل امة ذات نمط خاص ونظام لساني معين في تكوين الأفعال وتصريفها · وأريد أن اقول · إن الفعل المضارع في الكلام العربي يختلف اختلافاً بيناً عن الفعل المضارع في اللغة الانجليزية واكثر اللغات الاخرى · لأن الفعل المضارع العربي لا يدل على الحال والاستقبال فحسب بل إن هذا الفعل قد يرد مورد الفعل الماضي في كثير من مراجعات الكلام البليغ ونكات البيان العربي · اذ ترد صيغة اللفظ المضارع الدال على الحال أو الاستقبال ويراد بها الحدث الذي مضى وانقضى · ومعنى كلامي هذا هو أن الفعل المضارع قد يدل على الحاضر والماضي والمستقبل · فاذا قلت إن فلاناً يُعطي أو يأكل أو يحارب فان الدلالة لهذه الصيغة من الفعل المضارع ليست منحصرة في زمان معين ولا تختص بدلالة الفعل المضارع فحسب · بل قد يرد هذا الفعل ويراد به الماضي كما جاء في القرآن المجيد (ومَثلُ المَسيح عِندَ اللهِ كَمَثلِ آدَمَ خَلقَهُ من تراب ثمّ قالَ لهُ كُن فيكونُ) اقصد من كلامي هذا بأن اقول · إن من اسرار العربية أن يَتضمَّن الحاضر في الماضي والماضي في الحاضر · ويتداخل الزمن في الحال والاستقبال والماضي والامر · وآية ذلك

أن اصوات الحروف وحركات الاعراب وبنية الأفعال وتأليف الجمل والهيئات اللفظية التركيبية والاشتقاق – في هذه اللغة – إنها جميعاً تتشارك في استيعاب احداث النفس وتقييد ازمانها • ولا شك أن الفعل المضارع – بهذه الكيفية – يجعل النفس الناطقة بالعربية نفساً مفكرة بالانفعال للماضي والحاضر والمستقبل • فمرونة الفعل المضارع في انطباقه على زمني الماضي والمستقبل دليلٌ على واقعية الروح العربية ومثلٌ على حضور الأزمان الثلاثة في داخلها بآن واحد • وبذلك يمكن التدليلُ على أن الفعل المضارع ظرف وجودي متحرك بين المكان والزمان جامعٌ لصور الانفعالات الروحية والذهنية ودالٌ على ادراكات الحياة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها •

ولا شك أن النفس في عالم الوجود تعيش على مسرح الفعل بازمانه الثلاثة • ولكن وحدة الفعل المنطوية على تقسيماته المعروفة وتحقيق الربط الذهني بين تصريفات الحدث الزمني في ماضيه ومضارعه وامره تجعل العقل يجزم قاطعاً باختلاف صيغ الافعال اعتباراً واتحادها ذاتاً في حركة النفس العربية الواقعية المعبرة عن وجودها القرآني الحضاري البياني بشكل هذه اللغة ومرونة الفعل المضارع الذي ينقل هزات الوجدان ولفتات القلب وصفات التحول الادراكي والتأثير والتبدل الخاطري مصهوراً في بلاغة العرب وفصاحة السنتهم في ازمانهم الأولى وعصورهم

القرآنية · ولـو أننـا درسنا دعائم هـذه الأفعال حسب تصريفاتهـا الفرعية المتعددة لرأينـا أن الفعـل المضارع بخاصة يمثل شريطاً مـن الفِكر وقوالب اللغـة مركباً في دماغ العربي ومثبتاً في مركز تصوره قد امتلأ بموارد اللغة وصوادرها · ولعلمنا أن بنية الفعل بعامة هي ـ المحفظة المختومة ـ قد ماجت بتجارب النفس واطوار حركاتها · وأن الفعل المضارع هو مددُ اللسان العربي ونافذةُ الطموح الى المستقبل وقطب الرحى في التلفظ والابانة والافصاح ومحور النظر من ركن الى ركن بين الازمان الثلاثة الفعلية للايراد المستقبلي المكرر المستمر على لسان العربي وهـو يتحدث · لقد اكتسب الفعل المضارع قوة التأبيد من دخول النواصب عليه · فهو يضارع كل الافعال ويشابهها بكل تركيبة فعلية ·

ويجدر القول هنا بتباين الفعل بين بعضه بعضا من حيث مفاهيمهُ ومنطوقاتهُ · فهو فعل واحد" الاّ أنه يشتمل الماضي والحاضر والأمر والصفة المشبهة وسائر اشتقاقات الفعل · وعلى نور من هذه المقدمة يصح التأمل المجرد في وحـدة الفعل على حسب روح الماضي والمستقبل وتقرير ثبوت الحـال الزمني للنفس العربية في مسارهـا بهـذه الحياة · فصيغة الفعـل المضارع المحرك لنظرات القلـب ولحظاته نحو الماضي والمستقبل لهي نشوة البلاغة العربية وهِزّتُها على اللسان العربي وفي اعصاب المتكلم البليغ ·

إن هذا ملخص لبحث طريف جديد مبتكر كتبته لأولئك الشبان الاوربيين ليقدموه الى استاذهم الذي سيدرسون على يديه العربية في جامعات الهند .

وقد تعمدت هذا الايجاز المختصر فعرضت هذه النظرية الجديدة في دراسة الفعل المضارع . وقد ترجم البحث الى الانجليزيـة وطبع على الآلـة وتسلم اولئك الشبان النص العربي والانجليزي منه . وعندما عدت الى البحرين تلقيت رسالتين من استاذ واحد من اساتذة العربية في الهند يشكرني على عنايتي بهؤلاء الشباب ويطلب مني بعض الايضاحات وبعض الكتب النحوية والصرفية والبلاغية .

انا اكتب الآن ما اختلج في النفس من هذه الرحلة وما ساور القلب في خضمّ هذه الاتصالات التي لم تتسن ولـم تحصل لاكثر السائحين العرب الذين ينزلـون في الفنادق الفخمة ! لقد كنت بسيطاً في رحلتي وفي عيشي وإقامتي هناك ولكنني قد تحدثت مع القلوب والعقول . ولم انقل هنا إلا عشر معشار ما كان يجب إثباته وتدوينه . ولكنها ايحاءات" وايماءات" وتأشيرات ما اعمقها وما اشد ضربها على اوتار فؤادي قد الهمتني اياها سيلان واوقعتها (كولمبو) ـ وكاندي ـ في قلبي . ومهما يكن الموضوع والمادة والصور والفكرة فالمطلوب أن أقدم احساساتي مطبوعة الى الذين التقيتهم في مساجد سيلان . سأذكر دائماً ما حييت اولئك الشباب المسلم والفتيات المسلمات الذكيات الشريفات والذين كشفوا امـامي سيلان كلها وجعلوني انظر اليها مـن عل لأدرس وأفهم واتجول واناقش واكتب !

في المدرسة الغفوريّة

هذه مدرسة إسلامية بناها واسسها وينفق عليها رجل واحد من تجار سيلان اسمه الحاج عبد الغفور • وقد سمّيت المدرسة باسمه • وقد تطابق اسم مديرها - الذي سنذكره عما قريب - مع اسم مؤسسها • فكلاهما عبد الغفور • وتقوم هذه المدرسة في احدى الضواحي الاسلامية على بعد خمسين كيلومتراً من مركز مدينة - كولمبو - وقد سمعت عن هذه المدرسة اطراء كثيراً وثناء خالصاً على مديرها الفاضل الشيخ عبد الغفور المتخرج من مدارس الهند الاسلامية الأهلية • والمهاجر من الهند أيضاً • ولقد علمت أن لهذا الرجل علماً بالفقه والأصول • وله القدرة على الحديث باللغة العربية • وكما قلت سابقاً • ان المسلمين في سيلان ينشؤن المدارس والمساجد باموالهم الخاصة وجهودهم الفردية • ولست متمكنا الآن من الاحاطة بجميع مظاهر نشاط الفكر الاسلامي هنا • ولست بقادر على أن اكتب تاريخ هذه المدارس والمساجد • فانا الآن أُلخّص وأُجمل وأُشير الى المواقع التي مررت بها حسبما يحدث الاحساس المتقابل والتأثير المتبادل بين مشاعري وقلبي وعقلي من جهة وبين ظروف الزمان القصير الذي الممت فيه بهذه المنازل الاسلامية العزيزة الى النفس فتعمُق الادراكات وتلطف وتدق فتطيعها وظائف العقل والفطنة أو تضطرب المرئيات امام العين والبصيرة فيشح المعين ويجف المداد فلا

يسعف القلم !! لقد تعودت في حياتي كلها أن استوحي تجاربي واستمد خواطري من حقائق الحياة ومن مناقلة الحديث مع ذوي الأفكار والمُثل العُليا والرؤوس المملوءة بالمعاني • ولكن الزمان قد اسكتني بما يخالف طبيعتي • حتى جئت الى سيلان وذهبت الى غيرها وانا مشغول بنفسي وهمومي الخاصة كأني لا اميز بين الافضل والمفضول من علماء الاسلام • ولقد شعرت بالتقصير اول الامر اذ لم اتمكن من زيارة جميع مدارسها ومساجدها ومواطن عزّ الاسلام وفخره في هذه القرى السيلانية المباركة • وكنت امشي خلف المرشدين من اصدقائي في كولمبو منهم الأدلاء لي • وكنت أعجب واستغرب حينما القى مدرساً موسوماً بالاستاذية في تعليم العربية ومبرّزاً بين طلابه ـ في أنه عالم ـ أو عليم ـ كما يقول الاخوان هنا فيقدم نفسه لي أيضاً بانه (استاذ اللغة العربية) بهذا العنوان أو باكثر واكبر منه • نعم • لقد كنت استغرب حينما القى (الاستاذ) من هؤلاء المسلمين فافتح قلبي له واستقبله بالكلام العربي فاذا به لا يجيد النطق بالعربية ولا يستطيع تركيب عشر جمل صحيحة الأداء والاعراب •

لقد كانت هذه الظاهرة معلومة محسوسة في اغلب المدارس الاسلامية في سيلان وباكستان وحتى الهند • وربما وقعت التبعة علينا نحن العرب • فالمطلوب منا هو أن نتعهد هذه المدارس بالمدرسين والاساتذة والخبراء بتعليم العربية

الحريصين على ترويج اللسان العربي · ونفتح للنابهين من ابناء المسلمين في سيلان القبول في الكليات والمعاهد العربية الاسلامية · ولو لم اجد الاستاذ الشيخ عبد الغفور · ولو لم اسمعه يتكلم ويلقي الدروس بالعربية لكنت أيضاً قد خرجت من هذه المدرسة ولم اشاهد الا" اساتذة بالاسم دون الحقيقة ·

جميع مدرسي العربية في هــذه المدرسة لا يستطيعون التكلم بها ولا يقدرون أيضاً على درك ما يقال لهم بهذه اللغة · فقلت للاستاذ الشيخ عبد الغفور · كيف يمكن أن يتعلم الطلاب لغة العرب من معلم لا يُحسن التكلم بها ·

لكن هؤلاء الفضلاء يتحلّون بالعفة وسمو الخصال ولا ريب فيما يؤدونه من سعي اسلامي بقلوبهم ومجهوداتهم المحدودة لخدمة اللغــة القرآنية وفيما يقدمون بــه من عمل شريف متواصل في تهذيب طلابهم ·

كل ذلك باجور زهيدة ومرتبات اسمية يتصدق بها اهل الخير حتى يخيل الى عوائلهم ومعارفهم أنهم يعملون بالمجان · ولا بد من القول · إن هؤلاء المدرسين قد برعوا في تنشئة طلابهم تنشئة دينية متينة الأسس · وقد عُنوا بتعويدهم آداب الشريعة الاسلامية · وكان هذا هو المطلوب · والطلاب الفقراء المنقطعون لدراسة العربية في هذه المدارس اكثرهم قادمون من الاطراف السيلانية البعيدة والقرى النائية ·

وقد رضوا بخشونة الملبس والطعام القليل تصبراً وإحتمالا في سبيل طلب العلم الاسلامي • وسيظل هؤلاء الشباب واهلوهم زُبدة المسلمين وذخيرة العرب في هذه الارض السيلانية •

إنـي اكتب بقلب محب لهؤلاء المدرسين ولا انوي الانتقاص منهم فاذا قصروا عن بلوغ الغاية في تدريس العربية والتكلم بها فلربما مثلوا العربية ديناً ولساناً باخلاقهم وحسن تصرفاتهم • وقد أردت من هذه الملاحظات أن الفت اخوانهم العرب اليهم وانوه بالمشاق العسيرة التي يعانون في حياتهم الدراسية والمصاعب والعقبات التي يتذمرون منها وهم يحاولون تعليم انفسهم لغة العرب وآدابها •

لقد امضيت في هذه المدرسة ثلاث ساعات كاملة كان معي فيها المحامي السيلاني محمد شاه محمد • فقد جئنا لزيارتها في ١٣٩٤هـ ـ الموافق ٣٠ مارس (آذار) ١٩٧٤م • وعندما وصلت بنا السيارة باب المدرسة كان المطر ينهمر ويكاد يطيح بكل شجر النارجيل الشاهق المترنح • وعندما دخلنا المدرسة ركضنا من السيارة ركضاً لندخل على الاخوان المدرسين والطلاب الواقفين على بعد عشرة امتار تحت سقف (الطارمة) الخارجية لكي نلوذ معهم ونحتمي من الوَبل المنصب • فاستقبلني المدرسون والطّلاب ـ على غير معرفة بي ـ وكان اكثرهم ـ كما قلت ـ من خارج مدينة ـ كولمبو ـ

ثم عبرنا الى مكتب المدير جرياً وعدواً نتراكض متسابقين خشية التبلل بمـاء المطر المنسكب كأنه امواج البحر قـد انصلتت من السحاب أو كأن هذا الغيم قد شرب ماء المحيطات كله واخذ يصبه على ارض سيلان • وقد اخذ بعضنا يضحك على بعض ونحن ننظر الى ثيابنا المبتلة بالماء • ولم تكن المسافة بين مكتب المدير وبين الطارمة التي كنا تحت سقفها تزيد على مائة متر •

جلسنا مع الأستاذ الشيخ عبد الغفور مدير المدرسة • وما كدنا نستقر في اماكننا حتى سألني الرجل باللغة العربية وبصوت عال ــ ايها الاخ ما هو غرض سفاراتكم العربية من توزيع الجرائد والكتب والأشعار الالحادية على طلابنا ؟ ما هي غاية السفارات العربية مـن تمجيد اعـداء الاسلام وثورات القرامطة ومدح بابك الخرمي وثورة الزنج ؟ ماذا تريد سفاراتكم العربية اذا تحول طلابنا ــ هؤلاء الفقراء الى ملاحدة وكفار ومنافقين بسبب هذه الكتب والجرائـد والمجلات والصور المعلنة عن شرب الخمور وصور النساء العاريات• ثم قال• في كلٍّ اسبوع تـُرسل الينا إحدى السفارات العربية حِزَماً ورُزماً كبيرة من كتب الملحدين والنشرات الماركسية • فلماذا انقلبتـم اباحيينّ وملحدين ومنافقين وجهلة بدينكم ولماذا تنبذون رسالة الاسلام التي اختاركم الله لها ؟ الا يكفي ما تقوم به السفارات العربية من حفلات الخمور والرقص والخلاعة ؟ إن الكثير من اولاد المسلمين

يتعلمون شرب الخمور في الحفلات (والسهرات) التي تقيمها السفارات العربية • وتبذّرُ فيها الوف الألوف من الدنانير• ثم اخذ يضرب الأمثلة ويطلعني على الكتب والمجلات الخلاعية والالحادية المرسلة الى مدرسته • وقال متألماً ويكاد يبكي • إن العرب الآن غير العرب امس • فالعرب الآن اكثرهم لا يعبأون بالاسلام ولا يكترثون له • وبعد أن فرغ من كلامه شرحت له البلاء العظيم والعواصف المدّمرة التي يتعرض لها الدين الاسلامي في العواصم العربية وذكرت له التيارات الفكرية الاجنبية التي يعمل اصحابها على تشويه امة العرب وهدم تاريخهم • واجبته بكلام مفصل جازم • وطلبت منه أن يصبر وينتظر فان للباطـل جولة ثـم ينتكس ويسقط مدموغاً بالحق فاطمأن ودمعت عيناه وسكت • وقلت له — اننا معاشر العرب — في محنة • والقيادات الفكرية المُوجِّهة للاعلام العربي — الاذاعي والصحفي — ليست بايدينا بل بايدي اعدائنـا إلاّ — القليل منهـا — والمواقف السياسية العربية في اكثر الدول العربية (والاسلامية) خاضعة الى الدول الأجنبية المعاديـة للاسلام رأسمالية ام شيوعيـة • والعربي في هذا الزمان قد اصبح مُرغماً مسوقاً باكراه — وهو مغمض العينين — الى كل ما يقول وما يفعل وكل ما يتظاهر به من اعتناق المذاهب الأجنبية المستمدة سواء من حضارة الغرب الصليبي الاباحي أو من الماركسية الالحادية فالعربي مخدّر" (منوم" ومغسولُ الدماغ) ومسيّر" في فكره ومظهر حياته وميوله الآنية وتربية ابنائه وإنه لسائر في

هيئاته السياسية والثقافية نحو حضارات اجنبية منافية للاسلام ومخالفة للتاريخ العربي • ويجب العلم بان الاقليات المعادية للعرب والاسلام ــ المدعومة من الصهيونية ودسائس الاستعمار الغربي والأمريكي ــ قد اخذت تفتك بالجسم العربي وتنخر كالسوس في بُنيان هذه الامة • وقد خضع جيل العرب الجديد لكتب هذه الأقليات وصحفها وآرائها التي تفرق شمل العرب وتشوه وجودها التاريخي الاسلامي •

ثم التفت الى الطلاب الثلاثين الواقفين على رؤوسنا مدهوشين مستغربين ما يجري بيننا من الكلام الجِدّي الذي لم يفهمه إلاّ القليل منهم • وبينت لهم معنى كلماتي واوجزت لهم كل ما قلت في هذه الجلسة الطويلة التي استغرقت ثلاث ساعات كاملة • ثم دعاني الشيخ عبد الغفور بعد صلاة المغرب الى القاء محاضرة في المدرسة • فالقيت محاضرة إسلامية • وكان الأستاذ الشيخ عبد الغفور العالم المطلع يترجم كلامي مورداً مورداً الى لغة التمل • وقد تحدثت في هذه المحاضرة عن الحروب الصليبية وهجوم المغول على ارضنا واجبت عن الأسئلة الخاصة بالثورة الفلسطينية • فقد كان هؤلاء الطلاب واساتذتهم متلهفين على اخبار العمل الفدائي الفلسطيني وفخورين بما يسمعون من تهافت الفلسطينيين على ساحات الموت للقضاء على اسرائيل • ثم هنأت هؤلاء الطلاب المسلمين ببعدهم عن المغريات وباستقلالهم الفكري والروحي وحذرتهم من الاستماع الى نعيق البُوم المنحوس

ونعيب الغربان المشؤومة الملعلعة اصواتها في اكثر الاذاعات العربية • نعم • حذرتهم من الاستماع الى الاذاعات العربية وسميتها لهم واحدة واحدة •

لقد كان هذا الشيخ واساتذة المدرسة لاحديث لهم الا العرب وتاريخ الاسلام وفي هذه المدارس السيلانية لا يسمع المرء الا الكلام عن ماضي العرب وعن حاضرهم ولا تتحرك السن هؤلاء الا بذكر هذه الأمة دائماً • ولكنهم يتذمرون من قلة الالتفات اليهم ومن ندرة السائلين عنهم ويتخوفون من تحول الشباب عن الدين الاسلامي الى اتّباع الارساليات التبشيرية الاستعمارية الموجهة من قبل امريكا والصهيونية ويناشدون العرب أن يتوجهوا الى الاسلام وأن يكفوا عن تبذير الامـوال في المصايـف والمراقص الاوربيـة وغـير الاوربية • وبعد هذا فاني لا استطيع ان اكتب كل ما رأيت وسمعت من المسلمين في سيلان • فان الكثير من الكلام لا يجوز كشفه والمصارحة به • انما تتأثر نفسي بالاحدوثات التي تحرّك اوتار القلب وتهز الروح فأمدُ يدي الى القلم وابوح اعلانا بكل الذي احس واتصور وانفعل •

في كَول فيس

GULFACE

انا الآن اسكن في فندق قريب من البحر لا يبعد عن متنزّه ـ كَول فيس ـ اكثر من مائتي خطوة · وفي كل يوم بل في كل ساعة لا بد لي من التجول في ـ كَول فيس ـ ساعة أو ساعتين ماشياً على الرجل بين مئات الناس من اهل سيلان ومن السياح الذين يسأمون كثرة الشجر والورد ويملّون الغابات والسفوح الباهرة والرياض المبهجة الروانق فيتهافتون على هذا الساحل القصير ليتنفسوا هنا وينعموا برؤية الموج يهدر ويتدافع ويصخب · وقد سُمّي هذا الموقع في ـ كولمبو ـ بـ ـ كَول فيس ـ تذكيراً للمواطنين بمدينة سيلانية تحمل هذا الاسم ـ كَول ـ تبعد عن ـ كولمبو ـ نحواً من سبعين ميلا ـ فجاءت هذه التسمية مكوّنة من ـ كَول ـ المدينة المذكورة · وفيس FACE · ومعناه وجه" باللغة الانجليزية ولكن الحكومة في هذه الأيام قد شرعت تغيّر معالم هذا الساحل الصغير الجذاب وتبدل مظاهره باقامة المباني عليه وتشييد دار للمجلس النيابي فيه · وانا أيضاً مثل هؤلاء الناس قد مللت رؤية الأشجار الغلباء والورد المفوّف والأنهر والوديان المزخرفة بالازهار والربيع المدهش الذي يغطي ارض سيلان · فلجأت الى البحر والموج والساحل المواجه للغرب اتنسم ارواحاً تمر على ارض العرب فتبلغني كلاماً وتقول لي اسراراً لا يعرفها إلاّ من يحملون قلوباً مثل قلبي ·

عدت من ـ كَول فيس ـ الى الفندق وما لبثت قليلا حتى هجس خاطر" جديد يحرّكني ويدفعني الى ـ كَول فيس ـ مرة اخرى • ولم اكن ملتزماً بأية قاعدة في خروجي من الفندق ودخولي فيه ـ شأني مثلما كنت في منزلي في مدينة المحرق في البحرين ـ فانا داخل" خارج كل اوقات فراغي في النهار أو في الليل • فتركت لباسي الابيض ولبست ثوبا ذا لون آخر اتقاء لما يقذفه الموج من رذاذ الماء الممزوج بالرمل الاحمر • فلقوة الصدمات المَوجيّة على الشاطىء ولشدة احتكاك الامواه بتياراتها الطاغية بعضها مع بعض ولعصف الرياح الهادرة فان هذا الساحل الهادىء مخلوط" هواؤه دائماً بالأتربة والأملاح المتطايرة التي يلفظها زخّار البحر الهائج • غير أن ـ كَول فيس ـ منظر" مؤثر في اعماق النفوس تخلو فيه الارواح مع شمس الغروب وتنزع عن كيانها حسابات النهار لتدخل في خزينة الأسرار الالهية ، وكنوز الأفكار والخواطر والهموم والتأملات القادمة مع كلّ ليل • فما من نفس كبيرة أو صغيرة وما من عائلة صاعدة ام نازلة إلاّ وتحضر الى ـ كَول فيس ـ في موسم من المواسم أو وقت من الاوقات • اما اهل (كولمبو) فان ـ كَول فيس ـ منتجعهم في كل مساء ومُراح قلوبهم في كل اسبوع •

ما كدت اتخطى المسافة الفاصلة بين الفندق الذي اسكنه ـ فندق متروبول ـ وبين الساحل ماراً بباب ثكنة القوات المسلحة المقابل لفندق ـ الانتركونتننتال ـ والمحاذي للشارع

العام هـذا • ومـا كدت انهي سلامي المعتاد على الجنـود البوذيين الذين كانوا يرحبون بي كلما امر عليهم اعجاباً ـ باللباس العربي ـ حتى سألت نفسي اين انا الآن ؟ هل انا في العراق ؟ هل انا في مدينة الناصرية ؟ أو مدينة سوق الشيوخ ؟ ماذا اسمع ؟ وانا في كولمبو وعلى ساحل هذا البحر • والساعة العاشرة مساء ـ إن هذا الصوت هو صوت المغنّي العراقي داخل حسن يغني متأفّفاً ضجراً ينتحب ويرجّـع كأنـه ينعى ميتاً أو كأنه لـم يتعلم غير أن يبكي ويُبكـي الآخرين ـ وانا لست من هواة هذه الانغام ولا غيرهـا ـ ولكني وقفت بعد خطوات قليلة ثم دنوت على مهل من مكان الصوت • وقلت • مـن اين جاء داخل حسن الى كولمبـو ؟ وحينئذ تبدلت انفعالاتي واذا بصوت داخـل حسن يرشح دماً احمر بكل اهتزازاته وذبذباته وانحناءات موجاته وطارت من رأسي جميع اشجار سيلان وانمحى وردها وجمالها امامي وتلاشي واندثر وزال مـن ذهني روضها الأريض وعبـق البراعم فيها • ولم يبق فيها إلا صوت داخل حسن يدور في اذني ويرّن في دماغي وتعلو وتهبط حباله في قلبي ويصب دماً في فمي ويرّشه أيضاً على ثيابي وفي وجهي ـ ماذا حدث ؟ ولست اسمـع إلاّ مغنّياً تنعطف نحوه قلوب اهـل العراق ليسمعوا منه (نشيد الرجولة) واغاني التراث غير مشوهة بالخلاعة والقبح والكلام البذيء ـ بل إني غبت عن سيلان وغابت عن ذهني عجائب السحر والفتون وجمال السماء في خضرة الأشجار وزرقة المياه وذهب بي الخيال الى ارضنا في

منطقة – سوق الشيوخ – على الفرات فرأيت والدي يخرج بفتنة عمياء فيصرعه الرصاص (العائلي) من بقيّة حجـرة طينية بناهـا محمد بن جاسم قريب داخـل حسن ليتخذها مسكناً له(١) ٠

هـذا شعور لا استطيع أن اجهله ولا اتمكن أن اضرب صفحاً عنه فهذه الاحساسات العميقة التي احيا ذكرياتها – وانا في سيلان – تطفر الى رأسي وتقفز الى الألفاظ والجمل فتنفضها وتلبسها وتزحف على القلم ليكتبها في قلبي اولا الوف المرات ثم تخرج بعد ذلك منقوشة على الورق ٠ ولي الحق أن اكتب شعوري مثلما يؤثر في قلبي ومثلما يخضعني لتصورات خاصة فيفرض عليّ توجهاً لازما نحو غاية صغيرة أو كبيرة ٠ فكيف ابدأ في الكتابة حول سيلان اذا لم ابدأ بتصوير احساسي الداخلي الذي يسيطر عليّ ويتحكم في كل نظراتي الى العالم المحيط بي في هذه البلاد ٠ والكاتب أو الاديب أو صاحب الفن ماذا يفعل ؟ وما هي مهمته ؟ اذا لم يصرخ من اعماق روحه وهـو يعرّف حقيقته الشخصية والحقائق الأخرى البارزة امامه والتي تُملي عليه بان يكتب أو ينظم أو يقول مصرحاً ٠ فلا شك أن المناظر الطبيعية والرسوم ومشاهـدة المسرحيات والصور وسمـاع الموسيقى

(١) لم يكـن هؤلاء من المحـاربين ٠ وقد نزحوا الينـا من منطقة الغراف – قرب الشطرة – وكانوا يوم الفتنة المذكورة محتمين في أحد بيوت اخواننا ٠ ولكن داخل بن حسن كان يذكرني بوالدي دائماً ٠

والغناء وقراءة الشعر وتذوق الحكمة • إنها جميعا لا تسطيع أن تخلق فينا افكاراً جديدة • فمهمتها أن تهيج وتثير وتنبش نفوسنا • إن افكارنا وخواطرنا وآلامنـا وحبنا وبغضنا وذكرياتنا موجودة" فينا قبل أن ندخل المتاحف وقبل أن نسمع الأنغام وقبل أن نصغي للانشاد الشعري • إن الذي نستلهمه من الخارج ونستوحيه من عالم الأشياء نحتاجـه ليقوي ذكرياتنا ويهز نفوسنا ويفاجىء قلوبنا بما يسهل لافكارنا وقوانا الروحية أن تعبّر وتنتج وتؤلف وتعلـّم أو تسعى وتكدح وتدخل مصطرع الحياة •

لقد اثارني هذا الاحساس الطارىء • لذلك تراني اقرر أن العالـم الخارجي ومظاهر الطبيعة كلهـا حتى الكهرباء والضوء والجاذبية والمغناطيس والحرارة والفنون الفكرية بكل ابعادهـا واحتواءات مضامينها وبكل مـا تشتمل عليه من صور الحياة وتمثيل الطبيعة • كل هذه الحقائق ـ لا منفردة ولا مجتمعة ـ لـن تستطيع أن تخلق فينا خاطـرة واحدة بل افكارنـا ونظراتنا الروحية مستقلة عـن عالم المحسوس ولكنهـا مؤثرة فيه وداخلة بـه وموجهة لحركة المادة وآثارها ومسيطرة على القوة والحركة والتفاعل بين الانسان والطبيعة • فافكارنا موجودة فينـا خِلقة وفطرة واصلا لا وضعاً ولا كسباً ولا انعكاساً من شيء آخر (وَفي انفسِكُم افلاَ تُبصِرُون) • فالنفس مجمع آيات الفكر والابداعات والفعل المؤثر في المادة • نعم • إن الطبيعة بكل

قواها المنظورة وغير المنظورة والمحسوسة وغير المحسوسة ليس لها تأثير ولا قدرة على إيحاء الأفكار فينا • فالمادة لا تصلح أن تكون عِلَّة لفكرنا وشعورنا ـ وكما قلت ـ فان احساسنا بقوى الطبيعة هو المقوّي لمشاعرنا والموجه لموجات خاصة تستيقظ بها افكارنا وتنبعث من مواقعها في داخل ارواحنا • وحينئذ ينتبه كل واحد منا على ما دخل نفسه من المدد المهيج والالهام المثير ليس غير واقول الآن • فما القلب إلاّ قطعة من لحم • غير أن الروح هــي التي تعمر هذه ـ اللحمة ـ وتملؤهـا بالفكر والحياة والانتباه • والمعلوم ـ عند التأمـل ـ أن قلوبنا في اكثر الأوقـات لا تزيد على كونها مجموعة مـن العروق والعَلق واللحم مثل سائر الجسم • وذلك عندمـا يفرغ القلب من الذكريات ويخلو من الصور والمعاني سواء المرغوبة أو المرفوضة • ولكن الحقيقة الكبرى في أن هذا القلب لا يمكن أن يسكن من اضطراب الصور وازدحام الذكريات فيــه ولا لحظة واحدة ـ وأنــه في حال الذهول والسرحان والخمول المؤقت يشبه النسخ الاصلية للصور الشمسية • فالصور قبـل الغسل والتحميض تظـل كامنة مختفية وراء عتمة اللون الأسود وخلف الأصباغ المُوهمة • ولكن ما تكاد الأيدي تبدأ بصقلها وغسلها وإزالة حاجب الظلام عنها حتى تأخذ في الظهور صافية متلألئة تشخص فيها الملامح والسمات وتبدو الاشكال كما هي • وكذا القلب فانه قد يُوهم بالفراغ ويخدع صاحبه بأنه خليٌ قد انقلب الى مادة جسمانية صرفـة إلا أن صور الوجـوه والذكريات

وحالات الروح الجبرية القسرية سرعان ما تنبعث فيه وتفور وتهتـز لتعبر وتنتج وتتجلى عندمـا يلمس الواقـع المثير المُرضي ام الواقع المُغضب المؤلم ٠ ومعنى هذا أن القلب منزل" للعقل والروح وقاعدة" لحركة التاريخ يشرف عليها الفكر الروحي ويتحكم فيها وينكشف منها في الأعمال الكبيرة وتجارب العلوم والآداب والمأثورات وحوافز العبقرية ٠ أردت مـن هذا الذي كتبته في هـذه الصفحات تعليلا واستدراكاً لتأثري العاطفي بصوت ـ داخل حسن ـ وليس انفعالا لانغامه واناشيده ٠ انما لأن ذاكرتي وذكرياتي قد لعبت بي فادارت وجهي الى الوراء ودفعتني راكضاً في ظلمة الزمان الماضي ادور حول المكان الذي قامت فيه تلك (البنيـّة من الطين) ولست املك إرادة المنع والزجر لهذا القلم اذا اراد أن ينقل فكري الخاص والمي الشخصي الذي لم استمدّه من واقعي الذي انا فيه من ساحل ـ كَول فيس ـ فقد كان قلبي هادئاً وادعاً عندما دخلت فيه ٠ وكان فارغاً من الخواطر والذكريات ولكن مـا كادت الريح تحمل هذا الصوت المُذكّر المُحزن يهـب من الغرب حتى التهبت شغافـه واضطرمت اعلاقـه وانفعل واخذ يهز الصور والألواح والخيالات المضمومـة فيه ٠ فالذكرى والفكرة والخواطر والتصورات المؤلمة كانت موجودة في نفسي ولم يخلقها هذا الصوت وليس له القدرة على إحداثها أو ايجادها ٠ ولكنه قد هزّها فانتفضت مـن رقادها حية يقظة ٠

ولكن الذي يحطم القلوب دائماً ويتعب الانسان صاحب النفس الحساسة هو أن القلب قـد يجد الصور في داخلـه

وقد تبدو المعاني حاضرة وتشخص الهيئات واشكال' الاماكن والأشخاص • لكنه قد يظل يبحث ويفتش فـلا يعثر على وجودهـا الواقعي بين يدي ظلالها وسيمائهـا امـام عينيه فتتحول الصور والذكريـات حينئذ معـاولَ لهـدم القلب وتمزيقه • وبهذا تحترق القلوب وتصير رماداً عندما تنظر الى الخيالات والصور على صفحة الذهن فلا تجد حقائقها في عالم الخارج والحياة والواقع • وهكذا فقد أهاجني ــ كَول فيس ــ فلم اجد في معرض الصور المعلقة على جدران قلبي ولا صورة واحدة متحققة تحقـّقا فعلـّياً امام بصري في هذه الغربة التي دامت سبع سنين •

لذلك فاني اخلط مجبوراً حديثي عن سيلان بحديثي عن اطواري واحوالي • فلا غرابة فيما قلت حول داخل حسن المغنـّي العراقي • والقارىء يعلم بأن ادب الرحلات يستلزم أن يكتب المرء كل ما تأثر له واحس به • فليس للرحلة وجه" واحد واسلوب معين يجمد عليه الكاتب ويضرب على وتيرته المكررة •

وقد مشيت الى مكان ــ المسجل ــ الذي كان يعلو منـه صوت داخل حسن في اجواء كولمبو فوجدت رجلا ايرانياً من المقيمين في ــ أبو ظبي ــ قد جلس وعائلته يستمعون الى (العتابـة) والنعي والمقامات العراقية مـن اشرطة مسجلة وعندما سلمت عليه وتحدثت معه • قال • إنه يفضـّل الغناء العراقي الريفي دائماً ويسمعه هو واولاده • وعندما طالت سفرته ارتـأى أن يسلـّي اولاده بهذه الاشعار والأغانـي العربية المحزنة !!

مع مؤلف كتاب « المرشد الى سيلان »

GUIDE TO SEYLON

عندما وقع نظري على كتاب ـ المرشد الى سيلان ـ الذي نصَّ فيه مؤلِّفه الاستاذ H. A. J. Hulugalle على أنَّ المسلمين الموجودين في سيلان نصفهم من العرب والنصف الآخر من المسلمين الهنود ـ ص ١٠ ـ من الكتاب المذكور • فلقد رأيت من الضروري أن التقي هذا المؤلف الكاتب المشهور واتعرف عليه واتكلم معه حول تاريخ المسلمين في هذه البلاد خاصة بعد أن علمت أن جميع المؤرخين البوذيين والكتاب المسيحين القاطنين في سيلان الذين كتبوا تاريخ سيلان ونشروا المؤلفات في الانجليزية ولغة (التمل) واللغة (السنهالية) حول المجتمع السيلاني • فقد تعمدوا إهمال الاشارة الى القرون التي كان المسلمون فيها يحكمون سيلان ويمسكون زمام الأمور فيها •

لقد سمعت أن مؤلف هذا الكتاب اديب" بليغ وسياسي مفكر وقد كان سفيراً لسيلان في لندن قبل استقلال هذه الجزيرة • ولقد قيل لي أيضاً إنه قد تنصر وتخلى عن (ديانته البوذية) بمعاشرته للمبشرين المسيحيين في سيلان وخلال اقامته في اوربا • وكان طموحه الشخصي وصداقاته مع الانجليز سبباً مهماً لنبذ (ديانته البوذية) وتغيير عقيدته باعتناق الديانة المسيحية • ولما حدثني الأستاذ زرُّوق محمد

زرّوق استاذ اللغة العربية في مدارس المسلمين وتكلم عن مؤلفات هـذا الاديب واشاد بذكائه ومقدرتـه على البحث والتألف • فقد طلبت منه أن يبلغ الاستاذ H. A. J. HULUGALLE برغبتي في زيارتـه بمنزله الخاص وأن يستأذنه بالتقائـه وتبادل الأسئلة والمناقشات في تاريخ الدعوة الاسلامية في سيلان • فقد أردت أن اسأله عن مبلغ علمه بالتاريخ الاسلامي وتأثير القرآن في البيئة السيلانية قديماً وحديثاً • وأردت أن اعرف الأسباب التي دعته الى اعتناق المسيحية • وهل كان ذلك بعد الاطلاع التام والقناعة الشعورية والعقلية ؟ ام أن الأسباب الشخصية والمصلحة الخاصة هي التي نصَّرته وعمَّدته ؟ واردت أيضاً أن اسأل عن الاناجيل الاربعة أو الخمسة وعما يؤكِّده مؤرخو الأديان والمطلعون مـن جميع الملـل بأن الأناجيل الاربعة قـد حـرِّفت ولعبت بكلماتها الأهواء والأطماع •

فذهبت الى منزله وكان معي الاستاذ زرّوق محمد زرّوق والمحامي محمد شاه محمد وذلك في ١٥ أيلـول (سبتمبر) ١٩٧٣ • وقد استقبلني بمنتهى الترحيب والتقدير وبغاية من اللطف والأدب • وما كدنا نجلس حتى بدأ الحديث حول تاريخ سيلان وعن تجاربه الخاصة في التأليف والكتابة وعن رحلاته الى اوربا • وقد شعرت بأني استمع الى رجل محنك جدير بالاصغاء اليه والاستماع والتأمل في كلماته • ولما طلبت أن تؤخذ لنا الصور في الحديقة وابلغته اني عازم"

على تسجيل رحلتي في (كتاب خاص) فرح بذلك وقدم لي بعض المعلومات التاريخية عن نشاطه الفكري الادبي والاجتماعي • وعندما تجولنا بمكتبته النفيسة ذات المراجع النادرة استوقفني امام صورة تجمعه وزوجته واولاده وبناته ثم اشار الى صورة ابنته الكبرى • وقال • بعاطفة ابوية رقيقة ـ انظر ـ انها الآن ليست كما تراها في هذه الصورة بل إنها قد كبرت وتقدمت بها السن • وقد تزوجت ورزقت الابناء • ثم اخذ هذا الشيخ الدالف الى الثمانين ينوّه بفضل ابنته ويشيد بأخلاقها • لقد استغرقت جولتنا في المكتبة وفي بعض اماكن هذا المنزل المتواضع ساعة وعشرين دقيقة ، كان يستوقفني في اثناء هذه الزيارة امام كل لوحة وقبالة كل صورة معلقة على الجدار • وكان يشرح ويفسر ويهز يديه مؤشراً الى حوادث معينة في تاريخ سيلان • وعندما سألته عن عائلته واولاده • قال • إنه يعيش الآن وحده • وقد فضل السكينة منفرداً وآثر الفكر وهدوء البال في مكانه هذا • ولقد رأيت من الواجب ألاّ اضايق هذا الشيخ الطاعن في السن باي سؤال من الاسئلة التي هيأتها في ذهني • ومع ذلك فاني قد وجهت اليه الكلام ـ كأني اسأله واطلب الجواب منه • اذا كان المؤرخون قد اجمعوا على ان اول إنجيل من الأناجيل قد دُوِّن بالقلم وكتب بالحبر بعد صعود المسيح الى السماء باكثر من سبعين عاماً • واذا كان المؤرخون قد كتبوا بالاجماع متفقين على رأي واحد في أنّ هذه الأناجيل قد بُدّلت وحُرّفت وقسّمت وطال عليها الأمد فتناقضت

وتباينت وانكشفت سطورها وكلماتها بانها منحولة وموضوعة وانها كلام بشري لا يتصف بأيـة صبغة إلهية • اذا كان ذلك كذلك • لماذا اختار الاستاذ الدين المسيحي المرتكز في هذه القرون على خمسة اناجيل يكذب بعضها بعضا ولماذا عمي بصره فلم يؤمن بالديانة الاسلامية ذات الكتاب الواحد الذي دوّن في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ونُقل من فمه وصوته وعلى ترتيل تلاوته • فجاء قطعي الصدور قطعي الثبوت والدلالة في تمامه وكماله وكتابة حروفه بلا زيادة ولا نقص ولا تحريف •

لقد ابديت هذه الكلمات للاستاذ • قلتها بلغة انجليزية فلم يُحط الأستاذ بمقصدي من السؤال • ولم ينتبه اليَّ اذ شغله الاستاذ زرّوق محمد زرّوق بسؤال آخر • ولقد علمت ـ وانا في مجلس هذا الرجل المفكر العالم المطلع في تاريخ سيلان والهند ـ بانه لا يرغب في المجادلة ولا تطيب نفسه للحوار والمجاوبة في اسباب تنصره أو في تفصيل الكلام حول ميوله (الدينية) •

ولقد عجبت بعد ذلك حينما اخبرني احد الصحفيين • أن الاستاذ H.A.J. HULUGALLE معدود في سيلان من الدّ خصوم الاسلام والمسلمين ومـن اشد الأعـداء تربصاً بالجماعـة الاسلامية هنـا • وقيل لـي أيضاً إنه معروف في اوساط

المجتمع السيلاني بنظرياته السياسية المنادية بعزل المسلمين والتضييـــق عليهـم وحرمانهم مـــن الحقوق المقررة لهـم كمواطنين ٠

ولكني لازلت انظر الى هذا الرجل المهذب الواسع الاطلاع بعين الاحترام له والتوقير ٠ اذ لم أتاكد من هذه التهم الموجهة اليه في معاداة المسلمين ولم يتضح ذلك من كتبه التي وصلت اليّ ٠

كلية البنات العربية الاسلامية في قلقيلا

أبو الحسن ـ إن هذا الاسم هو اول إسم يدخل في أذني عندما اردت أن ابدأ الرحلة الى سيلان ـ فقد علمت أن شخصين من سيلان ـ احدها أبو الحسن هذا والآخر رفيق له اسمه أزوَرْ ـ قد جاءا الى البحرين يطلبان مساعدات مادية للانفاق على مدرسة موجودة في ـ قلقيلا ـ (احدى القرى الاسلامية) ـ تبعد عن كولمبو بحوالي اربعين ميلا وقد سلمني احد الأصدقاء في البحرين كراساً صغيراً يشتمل على عنوان هذه المدرسة (الكلية العربية للشابات المسلمات) • ويحتوي أيضاً وصفاً شاملا مصوراً لهذه (الكلية) وتاريخ تأسيسها ويعدد مراحل نموها واتساعها • وعلمت أن ـ أبو الحسن ـ هو مؤسس هذه المدرسة وعميدها وهو الذي يتنقل بين الدول العربية لجمع المال لها واستمداد العون لتطويرها وتجهيزها بالأساتذة والوسائل التربوية الحديثة • وحالما وصلت ـ كولمبو ـ اخذت اسأل المسلمين عن هذا الرجل النشيط المتفرغ لهذه المشاريع النافعة الكثيرة الفوائد • وعلمت أيضاً أن ـ أبو الحسن ـ هو واحد من جماعة كبيرة من المسلمين السيلانيين يهوون تأسيس المعاهد العربية وتكوين المدارس الصغيرة ثم اطلاق الأسماء الكبيرة عليها ويجمعون لها الأموال ليتعلم فيها ابناء المسلمين الفقراء اما اولاد الأغنياء من المسلمين وبناتهم (واولاد مؤسسي هذه المدارس) أيضاً فاكثرهم يطلبون العلم في المدارس التبشيرية المسيحية •

وفي ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ الموافق ٢٨ تموز ١٩٧٣م • وتحت انهمار الغيث المِدرار ركبت سيارة ومعي ـ نظري محمد نزار ـ الطالب في كلية الزاهرة ـ فاتجهنا الى ـ قلقيلا ـ حيث يقيم ـ أبو الحسن ـ ويممنا بيته فلم نجده لا في منزله ولا في دكانه ولا في ـ الكلية ـ بعد أن قطعت بنا السيارة حوالي اربعين ميلا • ولكن ـ أبو الحسن ـ قد بادر الى زيارتي في الفندق حالما علم بوصولي الى منزله واطلع على رسالتي اليه • فلقد اتى يدعوني الى زيارة ـ الكلية ـ وتأسف اذ لم يكن في منزله عندما جئت للبحث عنه • وحينذاك فقد اخذ ـ أبو الحسن ـ يعِدُّ مدرسته إعداداً خاصاً لاستقبالي والاحتفاء بي ـ وقد عرفت بعد ذلك • أنَّ هذا الرجل الطيب القلب قد تصور أني من اغنياء البحرين وتخيل إمدادات نقدية ومساعدات مالية ـ في اثناء ذلك ـ كأني قد جئت لتوزيعها والتفتيش عن مستحقيها في سيلان • فقلت لاحد الشباب أن يُعلم هذا الاخ بأني لا املك مالا لا هنا ولا في بلاد العرب •

لقد عرفت هذا عندما رأيت ـ أبو الحسن ـ قد اجهد نفسه واتعب اصحابه ومؤازريه بتبديل وجه المدرسة وتغيير أثاثها وتحويلها الى (قسم داخلِّي خاص بالأيتام) • فوصلت الى هذه المدرسة وتجولت فيها وفي القسم الذي لم يكمل بناؤه بعد والذي تأسس وقام بمجهودات ـ أبو الحسن ـ الفردية وبالمساعدات التي جمعها من بلاد المسلمين • وقد

لفت نظري كثرة اسرّة النوم المرصوصة في قاعات الدرس ووفرة مناضد الطعام (ودواليب الملابس الخالية) ومقاعد الراحة المهيأة للترفيه (عن الأيتام واليتيمات) (الذين ربما زاد عدد اسرّة نومهم على مائتين وخمسين سريراً) كما اكد لي احد المتجولين معنا • وبعد أن رأيت جميع الغرف والردهات الطويلة والممرات والقاعات قد جُهِّزت جميعها بالأفرشة النظيفة وادوات الأكل والشرب ونصبت فيها طاولات القراءة والجلوس ثار الشك في نفسي وحاكت الأسئلة في ذهني • فقلت لاحد الأساتذة اين هؤلاء الأيتام واليتيمات • ومالي لا ارى منهم احدا ؟ وهل أن كل هؤلاء الطلاب والطالبات الذين أُعدّت لهم هذه الكلية قد نزل الموت بآبائهم وامهاتهم فاصبحوا ايتاماً ؟!! وبينما كنا نتمشى في هذه الأقسام من المدرسة داعبت ـ أبو الحسن ـ وقلت • ليتني يتيم" لكي اعيش بين هؤلاء المحظوظين • فادرك ـ أبو الحسن ـ المغزى من هذا التمني • وضحك هو أيضاً • فقلت له • اخبرني • متى هلك اكثر الآباء والامهات في (قلقيلا) حتى تركوا هذا العدد الضخم من الايتام واليتيمات ؟ ولماذا لم نشاهد منهم يتيما واحدا ؟ فضحك ـ أبو الحسن ـ وما كنت أريد أن أزعج هذا الصديق • ثم إني لم اكن معتقداً بامكانية ـ أبو الحسن ـ على إيواء هذا العدد الكثير من الايتام واليتيمات وضمان الاقامة والغذاء واللباس والتعليم لهم • ومع ذلك فلست اعلم كل حقائق الأشياء المحيطة بهؤلاء الناس الاخيار • وينبغي حمل الأمور وتفسيرها على وجه الحق والصواب والظن الحسن •

ولقد تفضل ــ أبو الحسن ــ واخوانه الاساتذة فاقاموا لي احتفالا تكريمياً في المدرسة أُلقيت فيه كلمات رقيقة بمدح العرب والفخر بالعقيدة الاسلامية • وكانت إحدى الطالبات تخطب في الحفل إرتجـالا بالعربية الفصحى ممـا يُذكر بالتقدير والاشادة بالفضل للمدرسين الثلاثة الذين يجيدون العربية إجادة تامة في هذه المدرسة •

وقد القيت كلمة مختصرة على الطالبات ترجمها الى لغة التمل الاستاذ ــ نور الحق ــ احـد المدرسين البارزين • فتحمس الطالبات بقراءة القرآن وإنشاد الاشعار الاسلامية والهتافات بابطال التاريخ الاسلامي والثورة الفلسطينية • وعندما انتهى الاحتفال اصرّ ــ أبو الحسن ــ على التقاط الرسوم لنا جميعاً • فاحضر واحداً من اصدقائه وسلمه آلة تصوير دقيقة محكمة ومن النوع الجيد • والقى عليه ــ أبو الحسن ــ تعليمـات مختصرة في كيفية التقـاط الصور • وعندئذ تحكم بنا ذلك المسلم الطيب واخذ يحركنا باشاراته قيامـاً وقعوداً ودائريـن ومـاشين مستقيمين ومتصافحين ومتشابكي الأيدي واستغرق ذلك عشرين دقيقة أو اكثر • وبعد أن انصرفت من المدرسة اخبرني ــ أبو الحسن ــ بان آلة التصوير بدون ــ رقّ ــ (فيلم) • فكنا نقف امام آلة تصوير كل هذه المدة ونقوم ونقعد وهذه الآلة خالية من ــ رقّ ــ التصوير (فيلم) •

كان أبو الحسن رجلا كريماً سمح النفس يتقبل مني ويستمع اليّ في كل سؤال وجهته اليه • قلت له • انت الذي

اسست هذه المدرسة لتعليم العربية • ولكن لماذا لم تتعلم انت فيها لغة العرب ؟ ولماذا لم تدخل فيها اولادك وبناتك لدراسة هذه اللغة التي تحبها ؟ وتقول إنها لغة دينكم ولسان اجدادكم العرب • إني لم اشاهد في بيتك احداً ينطق بالكلام العربي ـ ايها الاخ الكريم ـ ابدأ بنفسك وبعائلتك وتعلموا العربية • فان في ذلك مثلا واقعياً وقدوة للآخرين من اخوانك •

وعندما كنت جالساً في منزل ـ أبو الحسن ـ كنت اتكلم بالانكليزية بيد اني استرسلت متجرئاً على الكلام في ابواب مختلفة مهما كانت نسبة الصحة والخطأ في الجمل التي كنت اقولها • ومع حذري الشديد من (اجهزة التسجيل التي تلقط الخفي والجهير من القول في هذه الايام) ومع أني اوصي نفسي دائما بالاحتراس والانتباه الى آلات التسجيل التي قد يخفيها بعضهم تحت الكراسي ووراء الدواليب أو تحت مقاعد السيارات وفي قلب المذياع ـ (ومن لدغته الافعى يخاف من جرة الحبل) ولكن هذا الحذر لم ينفع ولم تُجد نفعاً يقظة الذهن وإرهاف الشعور في هذا الحذر البالغ • وقد نسيت نفسي وقتاً طويلا ولم انتبه للمذياع المطروح كأنه معطل مُلقى في وسط الحجرة • وبعد فراغنا من الصلاة والغداء سمعت صوتي ملعلعاً بلغة انجليزية بطيئة الأداء واذا بكل الكلام الذي قلته للرجل وجميع الأحاديث التي دارت بيني وبينه قد ضبطت بآلة التسجيل فجفلت

واستنكرت ولم استحسن هذا التصرف · فقال لي ـ أبـو الحسن ـ إن كنَّته · اي زوجة ابنه · المرأة المؤمنة المتولهة بحـب العرب وبطولات الفتوح الاسلامية والمتمثلة دائمـاً بالأمجاد العربية الاسلامية قد آثرت ان تحتفظ عندها ـ للذكرى الأخويـة ـ بصوت (العربي الضيف) احتراماً لـه وتقديراً · وقد ناداها ـ أبو الحسن ـ ولامها فنصحتها انا الاّ تكرر مثل هـذا لأن المجالس الخاصة والجلسات التـي يتحدث فيها الضيف ببداهته وحرية الكلام لا يجوز رصدها بآلات التسجيل · وإن للضيافة ادباً خاصاً وحدوداً مرسومة ليس من اللائق الخروج عليها غير أني رأيت اهل هذا البيت يريدون مني أن أسجل لهم كلمة تذكارية جديرة بعواطفهم الصافية ومشاعرهم الخالصة · فقرّب ـ أبو الحسن جهاز التسجيل مني فما كادت (الهامسة) تقترب من فمي · وما كدت اقول الكلمات الاولى حتى انفجـر قلبي بكلام دقيق المعاني وعجبت من نفسي لماذا اتكلم مستعبراً وكأني كنت أريد أن اقول كلاماً محزناً فكانت الخطبة مهيجة مثيرة تحدثت فيها عن رحلتي الى سيلان وعن اثر الفراق في نفسي وشرحت جواباً اراده ـ أبو الحسن ـ حول الثورة الفلسطينية · وقلت لابي الحسن · هكذا يجب أن يكون الكلام على فراش الضيافة ارادياً مقصوداً بالاختيار وليس قائماً على الغِـرّة والغفلة واستراق السمع · لقد امضيت هذا اليوم بصدر منشرح وقلب فرح بلقاء هؤلاء الاخوان والتعرف عليهم

والاطلاع على هـذه المجهودات المشكورة في خدمة اللغـة العربيـة • ولا عجب فهؤلاء المسلمون السيلانيون الذيـن قبضوا على الاسلام بقلوبهم وعقولهم ورابطوا بوجه الأخطار والمصائب قد جعلوا من بلادهم في الماضي قاعدة لنشر الاسلام (في سنغافورة والصين وماليزيا واندونيسيا) وقد اعلنوا دعـوة الاسلام بالخلق القويـم والسلوك المرضي والالتزام بأحكام الشريعة الاسلامية • فاقبلت عليهم الامم مما وراء البحار تتفقه في سيلان وتطلب العلم وتتعلم شريعة الاسلام في مساجد سيلان ومدارسها • ولست بقادر الآن على نسيان تلك الوجوه الاسلامية وذلك الحنين الذي كان يخرج مع كل نَفَس من انفاس هؤلاء الصبايا في كلية اللغة العربية شوقاً الى اصولهن من ارض العرب ومنشأ الاسلام •

إن هـذه القرى المجاورة لهـذه الكلية ـ اعني قـرى (قلقيلا) هي تراب اسلامي صرف ـ وقد سكنها المسلمون من العصور القديمة • فما يكاد المرء يمشي مستقيماً أو منعطفاً الى اليمين أو الشمال أو منحدراً بين الورود الندية المونقة وفي اثناء الأشجار الباسقة إلاّ ويرى مسجداً أو مصلى أو مجلساً من مجالس المسلمين • وعندما زارني ـ أبو الحسن ـ مرة اخرى في الفندق استشارني بالسفر الى ليبيا والبلاد العربية الاخرى فشجعته ورفقاءه على التوجه الى امة العرب لطلب الاعانة المادية • فقام ـ أبو الحسن ـ بسفرته وابتدأ بليبيا • وقد سمعت انه قد عاد وهو مستعد لاكمال بناء المدرسة وتوسعة امكاناتها •

الكلية النظيمية

عندما شاع بين المسلمين أني عازم على تأسيس المعهد الثقافي العربـي في ـ كولمبو ـ اخـذ المتعلمون والمدرسون والشباب المثقف يتسابقـون على زيارتي ولقائـي فكنت استجيب لكل من يطلب حضوري الى منزله أو محله التجاري للاستفهام والسؤال حول السفر لتأدية فريضة الحج وحول المسائل الاسلامية الاخرى • وكنت اسعى الى اماكن هؤلاء الاخـوان بتقديم المعلومات الجغرافية والتاريخيـة الخاصة ببلاد العرب أو البلاد الواقعة في طريق الحج كأفغانستان وايران • وكان الاستاذ زرّوق محمد زرّوق يبالغ احياناً في تقديم اصدقائه لي • ويتكلم بعاطفة صادقة في الثناء عليهم • ولكنه قد زعل مرات عديدة وتذمر عندما رأى بعضهم يخالف اصول الضيافة والعادات المتعارفة في السلام والوداع • وقلت للاستاذ زرّوق محمد زرّوق • إن هؤلاء التجار مشغولون بجمع المال • فهم لا يتصورون العربي في هذا الزمان الاّ حامل خرج من الدنانير • وربما ساورهم الظن بأن كل عربي لا بد وأن يكون ثرياً • وهنا فرقٌ بين هؤلاء التجار وبين الوجوه الاسلامية المشرقة التي رأيتها في المجتمع السيلاني متجهة بكل اراداتها ومقدراتها اتجاهاً إسلامياً •

ومن الواجب عليّ ـ وانا اكاد أُنهي رحلتي الى سيلان ـ أن اذكر بالاعتزاز والتكريم ـ الكلية النظيمية ـ والشباب

القائمين بها والمشرفين على تأسيسها والرجل المحسن الذي اوقف المال على انهاضها وتزويدها بكل ما تحتاجه (هـو الحاج نظيم الدين) ·

لقد زارني الاستاذ ـ طسن ـ خريج كلية علوم الدين في الازهر · وقد عرفت أن هذا الشاب النشيط الدؤوب قد تمكن ـ هو واخوانه بمساعدة الحاج نظيم الدين وانفاقه المالي ـ من تأسيس الكلية العربية الاسلامية النظيمية · اتاني الاستاذ ـ طسن ـ وشرح لي مبادىء هذه الكلية ومنهج العمل لتأسيسها والقواعد الفكرية التي شيدت هذه الكلية من اجلها · وقد افاض الاستاذ ـ طسن ـ في التفصيلات والمطامح والتخيل الواسع لاهداف هـذه الكلية (التي لـم يكمل بناؤها بعد) · وقد وجدت هذا الاخ مصراً على أن يسميها باسم (الجامعـة العربية الاسلامية النظيمية) · واخذ يعدد الكليات التي ستكون تابعة لها · ويتكلم عـن الاساتذة والمناهج والأقسام الداخلية المقترحة · وابرز لي منشوراً قد اراد توزيعه في بلاد العرب · فوجدت المنشور ركيك العبارة لا يصلح للتوزيع · وكتبت له منشوراً آخر مناسباً · واقترحت عليه التسمية المتواضعة اللائقة · وقلت لـه · يا اخي · إنكم معاشر المسلمين في سيلان مطوّقـون بالاعداء من كل جانب وبين ايديكم في هذه البلاد بصائر ظاهرة وامثلة عظيمة يضربها عملا وتطبيقاً امام عيونكم ـ قوم من المبشرين المسيحيين يؤسسون المدارس والمعاهد الكبيرة

الواسعة المؤهلة بكل مقتضيات العلوم العصرية بخبرة وعلم وصمت وانجاز سريع ومتانة في التصميم والعمل وابتعاد عن الأسماء المفخَّمة والعناوين الكبيرة · اذن ينبغي الانتاج والجهد الصامت بدون الالتزام بالاسماء التي لا مسميات لها ـ ويجب أن يكون الهدف هو مباشرة الفعل والاستمرار فيه بالتفاهم والتوافق والتآزر من المسلمين المتعلمين · وليس الانشغال بالاسماء الطنانة الرنانة بالأمر المهم ·

وشاء الاخ ـ طسن ـ أن يطلعني على هذا المشروع · فدعاني للذهاب معه لزيارة هذه الكلية وجاءني برسالة من السفير العراقـي ـ السيد بشير الطالب ـ يثني فيها على الاستاذ ـ طسن ـ ويقـول · إنَّ مـن الضروري تشجيعه ومساعدته من كل الوجوه وتعريفه على الهيئات والجامعات العربية واهل الخير مـن العرب · وكان السفير العراقي يعتقد أن هذه الجامعة أو الكلية قد كملت في بنائها وإعدادها وتجهيزها · ولم يبق الاَّ الاحتفال بافتتاحها وبدء التدريس فيهـــا ·

وفي صباح يوم الجمعة ١٣ رجب ١٣٩٣هـ الموافق ١٠ آب ١٩٧٣م · جاءني الاستاذ ـ طسن ـ والاستاذ فاروق مدرس القرآن الكريم في مدرسة البهرة ـ كولمبو ـ ع ـ وثـلـَّة من رفاقه ونقلوني معهم بالسيارة · وعندما ابتعدنا قليلا في طريقنا الى الكلية بين الشوارع المجللة بالورد وخضرة الشجر النضرة · التفت اليَّ الاستاذ ـ طسن ـ وقال :

نريد أن نمر بك على رئيس جامعتنا • فسألته ـ ايّة جامعة تقصد ؟ فقال • الجامعة النظيمية • اعني جامعتنا ـ فشعرت بأن هذا الاخ لا يزال مصِراً على هذه التسمية ـ فهو عميدها ومديرها الاداري ومن انشط المتحركين في تنفيذ الخطة الموضوعة لذلك • وحينما وقفنا بالسيارة في باحة منزل ـ رئيس الجامعة ـ ذهب الاخ ـ طسن ـ ليخبره بوجودي امام منزله ويعلمه بأننا ذاهبون الى الجامعة !!! حينئذ اطل علينا الرجل من النافذة ولم يحرك بالسلام علينا لا لسانه ولا رأسه ولا يده • وعاد الى مكانه ومكثنا في السيارة حوالي ثلاثين دقيقة • وخلال ذلك تعرف عليّ امين الجامعة وهو الشخص الثاني بعد ـ رئيس الجامعة طبعاً • وكان شاباً لا يعرف العربية • وليس لديه ما يؤهله للقيام بهذه الاعمال الكبيرة • وقد صارحته قائلا ـ ونحن في السيارة وهو واقف أمامنا ـ اذا كنتم عازمين على تأسيس جامعة لتعليم اللغة العربية • فلماذا لا تدرس العربية انت • مع انك شاب في اول الحياة ؟ وكيف تستطيع الاشراف على تطبيق المناهج الخاصة بتعليم العربية وتوزيع الدروس والمحاضرات وتقوم باختيار الكتب واستقدام الاساتذة لهذه الغاية وانت تجهل اللسان العربي • فاجابني جواباً سهلا ـ سطحياً ـ وعندما قلت له لماذا لم يسلم علينا رئيس الجامعة ولم يخرج من غرفته للقائنا ؟ والترحيب بنا ونحن ضيوفه ؟ اعتذر وضحك • فاحسست بما يوجب قبول الأعذار في العلاقات الاخوية الاسلامية مع هؤلاء السليمي القلوب • وعلى بعد

خمسين كيلومترا من كولمبو اختير المكان لاقامة هذه الجامعة أو الكلية • والجدير بالذكر هنا أن منطقة ـ بيرولا ـ في كل عصر من العصور مؤهلة دائماً في الدعوة الاسلامية ونشر المعارف القرآنية • وقد كان اختيار هذا المكان في هذه الديار الاسلامية الصرفة التفاتاً بارعاً وعزماً مُثمراً ـ إن شاء الله ـ والذي يثير الذكرى ويستحضر العبـرة أن هـذه المؤسسة الثقافية المباركة قد شيدت قريبة من الميناء العربي الاسلامي القديم الذي اقيم فيه اول مسجد بسيلان (كج مسجد) ـ المسجد المائل ـ الذي بناه المسلمون الاوائل القادمون من بلاد العرب • كما ذكرنا هذا سابقاً •

وروعة هذه المنازل والربوع الخضراء والسهول الممرعة والشجر المؤطر بالأثمار والازهار في هذا المكان الذي اقيمت فيه هذه الكلية • اقول إن ذلك فوق الوصف واكثر مما يستطيع القلم أن يوفيه حقه بهذه السطور القليلة •

وقد تجولنا في المكان المستطيل المكون من فصول الدراسة والردهات المتلاصقة التي قد ارسيت بجنبها اسس اخرى لاقامة بناء جديد ـ قال لي ـ الاستاذ ـ طسن ـ إنه سيُتخذ قسماً داخلياً لايواء الطلبة القادمين من انحاء سيلان الاخرى • إني الآن اختم كلامي بتحية اخوية لجميع اولئك الاخيار الذين استقبلوني في هذه القرية المؤمنة من قرى ـ بيرولا • وارجو الله ان أعود الى سيلان وازور هذه الكلية وقد اكتملت جامعة عربية اسلامية ـ كما طمح الى بلوغها الاستاذ طسن واخوانه ـ وكما ارادها بمجهوده الصادق وماله الحلال • الحاج نظيم الدين •

في حديقة الحيوانات في كولمبو

في مساء يوم الاحد ٩ من شهر ربيع الاول ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤/٤/١م • في رحلتي الثانية الى سيلان ـ قال لي المحامي محمد شاه • هل لك في زيارة حديقة الحيوانات في هذا اليوم ؟ وكنت قد سمعت قبل ذلك عن هذه الحديقة مبالغات كثيرة • فركبنا السيارة وتوجهنا الى حديقة الحيوانات في احدى ضواحي كولمبو •

هذه روضةٌ فاتنة بنَورها وزهرها وغضارة اشجارها • فلقد تفتح فيها وازهر وراق كلُّ ما في الفصول الأربعة من روعة المشاهد الملهمة وبهجة الربيع الساحر • وقد اجتمع في هذه الحديقة ألوف المتفرجين رجالا ونساء واطفالا جاءوا من اماكن مختلفة لمداعبة القرود والحيوانات وملاعبة هذه الطيور والتأمل في كوائن حية غريبة قد حشرت في الأقفاص والحظائر وبين الجدران •

كان الناس يمرون على الأوكار والأقفاص والأعشاش الغاصَّة بالطيور ويدورون حول الزرائب والحظائر العاجة بالربايط والحيوانات • ويقفون امام عرين الأسود مذهولين متعجبين •

كـل الناس هؤلاء بأزيائهم المتباينـة وهياكلهم المتحركة وتواثب الأطفال وصياحهم والأجواق الموسيقية التي تراقصُ عليها الفيَلة والأيدي التي تُهزُّ امـام الأقفاص لتخويف

الحيوانات • ويمدها اصحابها الى داخل الأقفاص لاثـارة الطيور والتحرش بها • كل هذا واكثر منه لم يُشغل احد الطيور ولم يُرعبه • فلم يجفل ذلك الطير الفريد • ولم يضطرب • ولم يزعق فَزِعاً خائفاً مرعوباً إلاّ عندما رآني ورأى لباسي العربي • لقد اخذ هذا الطير يضرب بجناحيه ويقصف بريشه وينقر جوانب القفص ويطير ويحط ويعلو ويسِّفُ فوق وكره وتحته • كل ذلك لكي يهرب مني فَرَقا وخوفاً من هيئتي العربية •

وليس في هذه الحديقة وردة" واحـدة ولا برعمة" ولا ورقة من شجرة ولا ياسمين ولا نرجس ولا اقحوانة متفتحة إلاّ ويضاحك بعضها بعضا وينغِّم بعضها لبعض مفاغمة ومبادلة في تلاش وحدوي وانطباع كليٍّ في وجوه العذارى وبين احداق الصبايا المندهشات من رؤية الأسود والنمور والفهود • لقد كان هؤلاء الفتيات بعضهن يعجب من بعض تحت هذه الألبسة الزاهية المزركشة في هذا الربيع • وكن حائرات الأبصار زائغات العيون امام ثُلة مـن الهولنديات الحسان • وقد نسي اكثر الرجال هذه الحيوانات الغريبة والأسماك والطيور والأبقار البحرية السابحـة في البرك المحفورة خاصة لها والزواحف الرابضة بعضها فوق بعض كأنها راقدة" وليست براقدة • فوقفوا ينظرون الى النسوة الهولنديات وانشغلوا عما في هذه الحديقة من عالم الطير والحيوان •

لقد رأيت الطيور والحيوانات مندهلة مأسورة من البشر· فقد كانت السباع تزأر والفِيَلة تهدر والحيوانات الأخرى ينادي بعضها بعضا كل بصوته ورغائه وبَغَمه · كل ذلك ابتهاجاً بهذه الالفة مع بني البشر المتدافع المناكب · ام ربما كان بشعور فطري آخر لا ندركه ولا نفهم معناه الخاص في دنيا العجماوات الماشية أو الزاحفة فوق الأرض أو السابحة في اعماق البحار ودنيا الطيور الحائمة بين الارض والسماء ·

اجل · هذه هي صورة الواقع في هذه الحديقة · ولكن الطير الذي ذكرته لكم لم يحول عينيه عن لباسي العربي · وكلما قربت من قضبان الحديد التي تحول بيني وبينه ارتجف واندلعت لهاته من زُردومه وانخلع بلعومه اللاهث بالرعب والخوف فقد كان منهوك القوى كأنه مهيض الجناح مكسور الرجلين · قد تهافت مرتجف الرأس والحوصلة من رِعدة الهلع والفزع · وعندما رآني احد السيلانيين ـ وكان طبيباً يتجول في الحديقة هو وزوجته ـ أطيل النظر في هذا الطير وانا صامت انظر اليه جاداً · قال لي · هل تعلم ـ يا اخا العرب ـ أن هذا الطير (طيرٌ عربي اصيل) وموطنه الاصلي هو بلاد السودان · ولا شك أنه عندما رآك قد فرح بزيارتك وقد تحركت في نفسه الذكريات وتلفت الى وطنه العربي الاول · فمزحت مع الرجل قائلا ـ لا ـ بل إنه قد شمَّ في ثيابي رائحة النفط فتصور الحريق والنار والحرب

وغـلاء الأسعار والقنابل والدبابات · وقـد ذكَره عقالي (باولئك الأغنياء الصيادين) الذين يحصدون برشاشاتهم وبنادقهم كل ما يصادفهم من الطيور · والذين قد ابادوا ـ بطائراتهم العموديـة ـ جميع طيـور الجزيـرة العربيـة وغزلانها ·فلـو رأيتهم وهـم يهاجمون الحبارى برجالهم وسياراتهم المسلحـة لظننتهم يبارزون جنداً مـن عساكر الأعداء · ولا شك أن هذا الطير قد بلغه خبر تلك (المها) الوحيدة في الجزيرة العربية التي كانت آمنة الكناس مـع خشف صغير لها · فهاجمها جاهل" من اغنياء النفط في الخليج العربي وطوقها بعشرات المسلحين واحرق التراب والهواء من تحتها وفوقها · فنقلت اليه محروقة من نيران البنادق هي وخشفها الصغير · وبعد هـذا فقد خلت كثبان الجزيـرة العربية من المهى والظباء ! ولذلك فمن حق هذا الطير أن يجفل مني وترتعد فرائصه ·

لقد تجولنا اربع ساعات في هذه الحديقة وقد ارتبط بنا مرافقاً ـ مدة تجوالنا ـ رجل هولندي وزوجته وابنتهما · وقد آثر المشي معي في الحديقة بقصد أن يتمرن على اللغة العربية التي اخذ يدرسها في دبي · وكان الرجل يسألني كثيراً ـ وانا اروي للموجودين معنا ـ ما يحضرني من امثال العرب السائرة الواردة على السنة الحيوانات · فاستكتبني كلمة سجلها في مذكرته · فامليت عليه أن اللغة العربية

بشعرها ونثرها واوصافها قد امتلأت بذكر الاليف والنافر من الحيوان والطير وقد تحدث التاريخ العربي عن الموجود والأسطوري مـن الطيور والحيوانات • ولبعض فصائـل الحيوانات والطيور مقامات خاصة في النثر والنظم من لغة العرب • وخرجنا من الحديقة وانا اقول للرجل • إن ارض سيلان المهيأة لنمو الأزهـار في تربتها المستعدة لقبـول اي نبات من الزرع والشجر والورد قد جعلت اهلها يُحسنون الاختيار في تأسيس هذه الحديقة على هذا الموقع الجميل •

عندما ضاع جواز سفري

في صباح يوم الجمعة ١٦ شعبان ١٣٩٣هـ الموافق ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م . وبينما كنت والاستاذ عبد الجبار العبيدي جالسين في مكتب الملاحظ الخاص لوزير التربيـة والتعليم السيلاني نراجعه حول الاذن بتأسيس المعهد العربي ـ كما اشرت في موضع آخر فلقد تفقدت جواز سفري من (جيبي) الداخلي فلم اجده . فضربت يدي على (جيوبي) الأخرى وصعَّدت كفي ونزَّلت فوق ملابسي التي ارتديها فلم اجد جواز السفر . فوثقت حينئذ من ضياعه وايقنت من فقدانه . وسبقتني عيناي تطوفان حول كل موقع مررت به أو كل مكان جلست فيه هذا اليوم . وغاب ذهني كله بين اوراق الجواز فلم اعُدْ اسمع ما كان يقوله لي ملاحظ المكتب الذي كنا جالسين عنده . وقد ركضت خواطري وراء الجواز وتبعثر فكري وقطعت كلام الاستاذ عبـد الجبار العبيدي الملحق التجاري في السفارة العراقية بسيلان . وقلت له . إن جواز سفري قد ضاع . اسمع . اخي . عبد الجبار . إن جواز سفري قد ضاع . فاجاب الاستاذ عبد الجبار . لماذا هذا الاضطراب ؟ إن السفارة سوف تعطيك جواز سفر . وحينما شعر بتأثري وتبدل لهجتي . قال : إن هذه الحالات تتكرر دائماً مع غيرك . وإن من واجب السفارة تزويدك بجواز سفر . وكأني لم اسمع مـاذا يقول الاستاذ عبـد الجبار . واخذت اتصور واتخيل الاحـراج الشديد عند

عودتي الى البحرين بدون جواز سفر • فقال العبيدي • وليكن ذلك • لماذا تذهب الى البحرين ؟ اذهب الى العراق • ما هذا القلق والانزعاج • فقلت له بصوت هادىء ـ وملاحظ مكتب الوزير لا يعرف ماذا نقول ـ إن هذا الجواز ممهور (بتأشيرة) العـودة الى البحرين • وفيه الاقامـة المحدودة المشروطة بالتعاقد مع وزارة التربية • ويجب أن تعلم بأني اذا لم اعد الى البحرين بهذا الجواز عينه باوراقه وارقامه وتاريخ التأشيرة فيـه فاني لا استطيع دخول البحريـن • فضحـك الأستاذ العبيـدي ساخـراً ومتعجباً ومتأففـاً أيضاً وقال • إن السفارة ستعطيك جوازاً بدقائق معدودة • فطال الكلام بيني وبين الاخ العبيدي • وقد استغربت الحال التي انا فيها واحسست كأن عيني تغيَّر بصرها • وكأن المرئيات امامي قـد حالت وانقلبت الوانهـا واخذت الـوم نفسي واتصبر • وكان عقلي مشغولا بضياع جواز السفر واردت أن اقول للأستاذ العبيدي إنك رجل مجرب ومثقف ولكنك لا تفهم ما اقول • إلاّ أني غيرت لهجتي • وقلت للاستاذ العبيدي • انا لا انوي المرور على السفارة • انما أريد التوجه الى الفندق الذي اقيم فيه • وسأمشي على القدم ساعة كاملة واروح الى ساحل ـ كَول فيس ـ اقتص اثري الذي جئت به الى السفارة صباح هذا اليوم • وانَصّ طريقي جيئة وذهوباً فاسلكه راجلا وعلى قدمي لعلي اعثر على جواز السفر • فأصر العبيدي على أن نتوجه الى السفارة ونُطلع السفير على نتيجة المراجعة حول المعهد العربي الثقافي • ثم نخبره بفقدان جواز السفر •

وعندما دخلنا على السفير العقيد الركن المتقاعد السيد ــ بشير الطالب ــ نسيت موضوع المعهد العربي وطار من بالي كل شيء ما عدا جواز السفر · فبدأت الكلام مع السفير وانا واقف" على رجلي قبل الجلوس · فاستغرب السفير إنهماكي بذلك واستنكر قلقي الشديد وقال · إنك ستأخذ جواز سفر بمدة خمس دقائق · فلا تُزعج نفسك · ولكن الآن خذ سيارة السفارة وابحث عن الجواز في الفندق واذا لم تعثر عليه هناك ارجع الينا وتسلم بدله · فذهبت الى الفندق حسبما قال السفير فرأيت جواز السفر مطروحاً على وسادتي فقد تركته نَسياً عندما خرجت مبكراً هذا اليوم · فوقفت كاسف البال نادماً على العجلة وإظهار الجزع · ثم جلست أفسّر بالعقل والمنطق والتجربة مشاعر القلق والارتباك والاحساس بالالم الذي اعتراني فعرضت امام بصري وعلى مسرح ذهني احوالي العامة والخاصة · وحياتي في خليج العرب مبتعداً عن اهلي في العراق سبعا من السنين(١) · فصحت ــ بدون شعور ولا ادراك مستغيثا ــ بنفسي بصوت مرتفع وانا وحدي في الحجرة · واذلاه · واغربتاه بين اخواني في العروبة والدين · اهكذا فعلت الاخباريات والاكاذيب حتى يصبح المرء ويُمسي في هذا الظلام الدامس وكأنه لا يفرق بين الليل والنهار · لقد فتك النوى براحتي وارمض الفراق جوانحي · ولست متشائماً الآن · ولكن

(١) وبعد ذلك فان غربتي عن العراق قد طالت فبلغت اثني عشر عاماً وسبعة شهور · قد افردت لها كتاباً خاصاً لا زلت اراجع سطوره المخطوطة ·

السنين الطويلة قد تحجرت بشهورها وايامها كجلاميد من الصخر الأصم ملقاة على صدري حتى اضحيت كأني لا احس ولا اسمع من يريد أن يتفقدني أو يسأل عني من داخل العراق • ام لأن الشك والريبة والحذر وتوقع المكروه وافتراض الأذى قد اثار في النفس هذا الغبار المسمم • نعم • إني لمعذور" في هذا كله • وإن اخواني واصدقائي ليعلمون بان جواز السفر قد كان مُنية النفوس لمن هم على شاكلتي من العراقيين • ولم يحرم احد" من حرية السفر كما حرمت انا في العهود السالفة • ولم يعان احد ويكابد من التضييق والمنع والاستهتار والتجني كما عانيت انا واخواني ومن يشبهني في العراق خلال المراجعات للحصول على جواز سفر • ولكني قد تمردت على الحدود (الاستعمارية الانكليزية بين البصرة والكويت عدة مرات فمشيت الى الكويت على قدمي بدون جواز • ودخلت سورية والاردن أيضاً خرقاً وتحدياً لحواجز (الاستعمار) بدون جواز سفر • وفي غاية الاستهزاء والاحتقار ـ للحدود ـ ولكل من يدافع عنها !!

ومع ذلك فلا زلت متعجباً من أن يكون جواز السفر هبة الهية لا يستطع البشر تعويضها • ومستغرباً أن يبلغ بي اللَّجاج واصطخابُ العواطف درجة الذهول في مثل هذه الساعة • فلم اكن اسمع كلام الأخوة العراقيين في واجب من أسهل الواجبات وايسرها •

مع البهرة في كولمبو

في عصر هذا اليوم الاحد ١ شهر ربيع الاول ١٣٩٤هـ الموافق ٢٤ آذار ١٩٧٤م ـ بينما كنت اتجول في ساحل ـ كَول فيس ـ مع بعض الشباب السيلاني • اذ نوديت باللغة العربية من قبل ثُلة من رجال ونساء كانوا متحلقين ـ كعائلة واحدة • حول فتاة منهم ـ اسمها ـ الآنسة معصومة • وكانت تتحدث اليهم مترسلة عن تاريخ العرب والاسلام • كان ظهوري باللباس العربي هو الذي جعل هذه الفتاة الذكية تتحدث الى اهلها في التاريخ العربي منذ ساعة من الزمان منذ كنت اتمشى بعيداً عن المكان الذي يجلس فيه هؤلاء • لقد كانت هذه الفتاة تتكلم العربية بلسان ثقيل ولا تكاد تبين • غير أنها تجيد الحديث بثلاث لغات أخرى • وعندما اقتربت منهم خاطبتني بكلمة ترحيبية • ثم قالت • إنهم من طائفة (البهرة) • وإن لباسي العربي قد اثار في نفوسهم ذكر العراق وكربلاء والنجف • ووقفنا جميعاً نتحدث عن فرقة (البهرة) • ولقد كنت اعرف أن ثلاثمائة عائلة من (البهرة) قد هاجرت من الهند الى سيلان في عام ١٣٠٠هـ • وقد استقروا في هذه البلاد وزاولوا التجارة ـ مهنتهم الاصلية ـ وتجنسوا بجنسية سيلان وتصاهروا مع اخوانهم من المسلمين هنا ـ وخاصة مع مجموعات المراكَو ـ اي المراكشيين • وامسى لهم كيان معروف هنا ومساجد خاصة بهم ومدرسة أو مدرستان لتعليم اللغة العربية وتدريس الديانة الاسلامية

حسب طريقة ـ البهرة ـ وجميع (البهرة) في سيلان يتبعون الداعي ـ محمد برهان الدين بن طاهر سيف الدين ـ المقيم في بومبي في الهند · وهو الآن إمام البهرة المُطاع عندهم (الملقب بداعية الحـق الفاطمي) · والمشهور عن البهرة هو نشاطهم في اسواق التجارة وترابطهم وتماسك صفوفهم وعزلتهم عن بقية المسلمين وايثار بعضهم بعضا · وكانوا يُعنون عناية كاملة وثيقة بتربية أبنائهم وبناتهم تربية دينية · ويرجع (البهرة) عموماً في جميع شؤونهم الروحية والمذهبية وفض منازعاتهـم الى مرجعهم وموئلهم الاعلى ـ داعية الحق الفاطمي · ويلتقي البهرة مع النزاريين ـ الآغاخـانيين في الأصول التاريخية الاسماعيلية الفاطميـة ويتفقون عـلى الأركان والأسس الجامعة بينهم · ولكنهـم يختلفون في كثير من الفروع المستنبطة من طرق الاسماعيليين وتخريجاتهم وعقائدهم الباطنية · ومع أن عدد نفوس البهرة يزيد على المليون نسمة منتشرين في الهند وباكستان والخليج العربي وايران وبعض البلاد · إلاّ أنهم على وعي عمومي ومعرفة شاملة بأحوال بعضهم بعضا ·

فلما احست هذه الفتاة وعرفت مني الرغبة في التعرف على المسلمين في سيلان والاجتماع بأية فئة منهم وأني مطلع على تاريخ الحركات الاسماعيلية · قالت · إنهم يدعونني للجلوس معهم في احد المطاعم · وقالت · إنك ضيفنا هذه الليلة · فذهبنا الى مطعم في وسط احدى الحدائق يلتقي فيه المتنورون من الشباب ويجتمع فيه اساتذة الجامعـات

فاعتذرت عن الطعام انا ورفقائي · فتعجبت هي قائلة · كأنك لا تريد ان تمالحنا · ام أنك عربي متعصب تستنكف من أن تكون ضيفاً عند امرأة كما هو معروف عند العرب · فاجبتها جواباً لا اتذكره الآن · ثم طلبت أن اروي لهم كيف عبر الجيش المصري قناة السويس · وكيف يقاتل العرب في هذا الزمان ؟ فهل أن العرب يحاربون اعداءهم الآن بمثل تلك النفوس الأبية والقلوب الجريئة والعقيدة الاسلامية التي قاتل بها الأسلاف والاجداد في فتوحهم ومعاركهم ·

لقد كنا زُمرة من الرجال والنساء في هذا المطعم وكان من الموجودين شابان اثنان من البهرة ـ امير علي ـ واكبر علي ـ وثلاثة رجال آخرين من (البهرة) أيضاً وخمس من النساء · وكان شقيق الآنسة ـ معصومة ـ الموجود معنا يطلب مني ويسألني أن اهتم بآراء معصومة واصغى الى افكارها واشرح لها ما تريد فهمه وتبحث عن معرفته · وفي اثناء جلوسنا قالت الآنسة ماريا وهي توجه الكلام اليَّ ـ هل تعلم أن (البهرة) جميعاً منحدرون من اصول عربية ؟ وأنهم قد هاجروا من البحرين الى الهند بعد سقوط الدولة الفاطمية(١) · وأن البهرة عرب اقحاح لم يختلطوا بغيرهم

---

(١) جاء في مجلة الاضواء البحرانية ـ العدد ٥٠٤ ـ الصادر في يوم الخميس ٩ رجب ١٣٩٥هـ الموافق ١٧ تموز ١٩٧٥م · مقال بقلم حافظ امام المحرر في هذه المجلة تحت عنوان ـ طائفة البهرة ـ وقد (كتب هذا المقال عندما التقى الدكتور نجم الدين سيف الدين شقيق ـ سلطان البهرة ـ الدكتور برهان الدين والرجل الثاني في رئاسة هذه الطائفة ورئيس الجامعة السيفية في الهند)قال الدكتور سيف الدين ـ فيما نقله عنه كاتب المقال : ان جماعة البهرة التي تبلغ نفوسها مليوناً ونصف مليون مسلم ينحدرون من اصل مصري عربي · وانهم ينتمون الى الفاطميين الذين اسسوا القاهرة · وعندما خرج الفاطميون من مصر اقام نوابهم في اليمن اربعة قرون دعوا خلالها الى مذهبهم · هـ ١٠ ·

الا قليلا • فقلت لها • لا شك أن عدداً كبيراً من قبائل العرب قد كان مستجيباً للدعوة الفاطمية • ومن هؤلاء الدروز (والعلويون) والنصيريــون في ديار الشام كلها • والمفهوم أيضاً أن طائفة البهرة فاطميون اسماعيليون • ولا ريب في أنهم لم يكونوا جميعهم من العرب فلا بد أن يكون اكثرهم قد هاجر من البلاد العربية • فقطنوا الهند التي كانت مسرحاً لرواج كل نحلة وكل فلسفة ومذهب من مذاهب المسلمين سواء مذاهب اهل السنة والجماعة ـ أو الطرق الاسلامية الأخرى • أو النحل الباطنية المتشعبة من الدعوة الاسماعيلية

لقد كانت الفتاة ـ معصومة ـ وهي تتحدث عن الاسلام تحس بنشوة روحية قوية عندما تدير وجهها تِلقاء الأرض العربية وحينما تحول بصرها نحو العراق متحسرة متذكرة ومتذمرة من طول الدرب وبعد المسافة بين (كولمبو) وبين العراق ـ منزل الشهداء والمؤمنين من المجاهدين ـ ثم انشدت بيتاً باللغة الفارسية يمدح فيــه الشاعر سعدي الشيرازي بغداد ويتشوق اليها فيقول (لقد ضاق صدري من شيراز فاسألوا عن خبري في بغداد) •

ولقد استمرت جلستنا اكثر من ساعتين ونصف الساعة ونحن نتحدث في تاريخ (البهرة) وعلاقتهم بالأصل الفاطمي • وعندما علمت أن النساء الموجودات معنا في المطعم قد كن موظفات في مدرسة البهرة الأهلية الواقعة في كولمبو ـ ع ـ اخبرت واحدة منهن باني سأذهب في صباح غد لزيارة هذه

المدرسة ٠ وفعلا فقد توجهت في اليوم الثاني لزيارة مدرسة (البهرة) واصطحبت معي نظري بن محمد نزار الطالب في كلية الزاهرة ٠ وعندما دخلت (مدرسة البهرة الداودية الدينية) التي يُعلَّم فيها تفسير القرآن ٠ وتُدرس العلوم الشرعية على مذهب البهرة فوجئت بالموظفات مكشوفات البطون على طراز اللباس الشائع عند النساء الهنديات والبوذيات والمسيحيات ٠ حيث تعرّي المرأة خصريها وبطنها وظهرها بدءاً من لُبة الصدر الى السُرة ٠ واستغربت رؤية ـ فلانة ـ الجالسة معنا البارحة في المطعم بهذا اللباس المقيت في مدرسة يدعي اصحابها تعليم دين الاسلام وتدريس تفسير القرآن ٠ وبعد قليل من الوقت صارحت هؤلاء النساء ٠ وقلت لهن ٠ إنَّ بيوت البهرة كانت محافظة على الأدب الاسلامي وكان البهرة يستنكفون من تشغيل نسائهم فماذا دهاكم الآن ٠ فخجلن من كلامي ٠ وقلن لي ٠ إن هذا اللباس أثرٌ من آثار الجهل بالاسلام ٠ ونتيجة لتهافت القيم الدينية وانحدار العوائل المسلمة ٠ ثم التقيت الاستاذ عبد القيوم مدير المدرسة المنتدب لادارتها من قبل داعية الحق محمد برهان الدين بن طاهر سيف الدين) ٠ وقد تلقاني الاستاذ عبد القيوم بقلب طافح بالسرور والابتهاج عندما علم بأني اعرف اخاه سيف الدين مسؤول طائفة البهرة في البحرين والذي لم يشاهده منذ سبع سنين ٠ ولقد وجدت الأستاذ عبد القيوم يجيد العربية قراءة وكتابة ٠ وله معرفة جيدة في الكتب العربية ٠ وقد اخذ يشرح لي عقيدة (البهرة) في

الاسلام ويتكلم عن إنجازات ـ داعية الحق ـ في سبيل المسلمين عامة وطائفة البهرة خاصة • وكان يكرر امامي أن البهرة اقوام" من العرب يتبعون الامام الفاطمي وقد هاجر اجدادهم الأوائل من مصر وديار الشام واليمن فسكنوا الهند • وعندما تحدثنا عن شؤون المرأة المسلمة وذكرنا اللباس الساقط الذي يرتديه الموظفات (البهريات) الموجودات معه • قال لي هذا الأستاذ الفاضل • ايها الأخ ـ إن من الواجب عليك المؤازرة والمعاضدة ومساعدتنا في هذه المحنة بأن تذهب الى الهند وتتعرف على ـ داعية الحق الاعظم ـ محمد برهان الدين وتتحدث معه حول هذه الآفة الخلقية فانه سيسمع كلامك ويطمئن الى قولك ثم يُصدر اوامره وبلاغاته لمنع هؤلاء النساء من هذا اللباس القبيح •

فعزَّ في عيني هذا الرجل وتضاعف احترامي له فأصرَّ عليَّ أن اعود مساء للتعرف على المدرسين وزيارة المدرسة في دوامها المسائي • وأريد أن اقول هنا كلمة انصاف في هؤلاء الناس فلقد وجدتهم قد كتبوا كلمة التوحيد ـ لا اله الا الله وحده لا شريك له ـ على جميع جدران المدرسة الداخلية وفي جميع فصول الدراسة • ورأيت الآيات القرآنية تفسر للطلاب وتُحفظ • وجملة القول إن هذه المدرسة عربية اسلامية قائمة على تحفيظ القرآن وتلقين اللسان العربي لمئات من الطلاب والطالبات ـ البهرة ـ وقال لي الاستاذ المدرس الشيخ سيف الدين إن ابناء (البهرة) الذيــن يدرسون في مدارس

المبشرين المسيحيين صباحاً ويتعرضون للتشكيك والتضليل ٠ فان الكثير منهم قد التحق بهـذه المدرسة ليصحح افكاره ويستمع الى العلوم القرآنية ويبوح لأساتذته ويفشي امامهم كل ما يقوله المبشرون له ٠ وجميع ما زرعوه في قلبه من بذور الفساد والغش والثقافة المزيفة ٠ فتجولت في هذه المدرسة وتعرفت على الأستاذ سيف الدين الذي قال لي ٠ إنه لا يريد أن يقتصر على تعليم تاريخ الفاطميين فحسب انما يريد ان يوجه الطلاب الى قواعد ثابتة في مبادىء الاسلام كله وفهم التاريخ الاسلامي بكل فروعه ٠ إنني لم اشاهد في سيلان مدرسة عربية يتكلم مدرسوها لغة العرب بفصاحة وعلم مثلما وجدت هؤلاء المدرسين الذين تفرغوا لدراسة اللغة العربية وتمكنوا من تعليمها بدافع من مذهبهم وبحافز من ارادات دعاتهم وعلمائهم السابقين الذين قضوا على اتباعهم آمرين عليهم بتعلم اللغة العربية وتفضيلها على كل لسان في الدنيا ـ كما قال لي الاستاذ سيف الدين المدرس في هذه المدرسة ٠

وعندما ذهبت الى بومبي في طريقي الى البحرين رأيت من الواجب أن التقي امام البهرة (وداعيتهم الأعظم) فأبلغه ما تحدثنا فيه في المدرسة الداودية الدينية في كولمبو ٠ وفي ٢٣ شهر ربيع الاول ١٣٩٤هـ الموافق ١٣ نيسان ١٩٧٤م ٠ توجهت الى مقر الداعي في بومبي فقال لي الموجودون في مكتبه ـ واكثرهم يتكلمون العربية الفصحى ـ إن (داعية الحق الدكتور برهان الدين) قد سافر الى العراق ٠ وإن خليفته الدكتور نجم الدين بن طاهر سيف الدين رئيس

الجامعة السيفية هو المسؤول بالنيابة عنه وهو الذي يستقبل الزائرين • فدخلت عليه وجلست معه نصف ساعة فأبلغته ما تذاكرت فيه مع الأستاذ عبد القيوم من اللباس المشين الذي ترتديه الموظفات البهريات في (المدرسة الداودية) بكولمبو • وكذلك ابلغته ما رأيته وسمعته وما اوصاني بتبليغه مدير (المدرسة السيفية البهرية) في بهندي بازار ـ بومبي ـ من الاشمئزاز والتذمر والنقمة على لباس المدرسات والموظفات (البهريات) المكشوفات البطون في هذه المدارس الدينية !

ولكن هذا اللباس الذي قد سرى تقليده الى المرأة المسلمة في الهند قد اتخذ أول الامر ـ من قديم الزمان ـ كزي خاص للراقصات الهنديات في محافل المعابد الهندية ـ الهندو أو البوذيين • وقد روجته ودعت النساء اليه وشجعت على ارتدائه مظاهر الحضارة الغربية ومسارح التمثيل والرقوق ـ السينمائية ـ والراقصات والممثلات الخليعات وتجار الاباحة الخلقية • ومن الغريب في هذه المناسبة أن أرى ـ وانا جالس في مكتب الانتظار للدخول على (داعية الحق) الفاطمي لأثير حفيظته ضد هذا اللباس المشين ـ بعض النساء البهريات يلبسن هذا اللباس عينه • وقد جلس بعضهن في مكتب الانتظار وهن مكشوفات الخصور وانصاف البطون أيضاً • ورأيت احدى الموظفات العاملات في هذا (المكتب الأعلى) في قيادة ـ البهرة ـ وارشادهم تدخل علينا وهي على ما ذكرنا من شذوذ هذا اللباس ومنافاته للدين والذوق والخلق •

درس في العربية والعروبة

في يوم السبت ١٨ رجب ١٣٩٣هـ الموافق ١٦ أيلول ١٩٧٣م . جاءني الاستاذ زرّوق محمد زرّوق ودعاني لحضور الدروس التي اعتاد القاءها ـ صباح كل سبت ـ على طلابه الخاصين من المسلمين الذين يتعلمون العربية بصورة خاصة واوقات معينة حسبما تقتضيه احوالهم وعطلهم الأسبوعية . وعندما دخلت الفصل وجدت جملة من الاساتذة والمحامين والتجار قد جاءوا يتعلمون اللغة العربية بعد أن تجاوزت بهم السنون مراحل التعلم وبعدان تقدمت اعمارهم . ولكن حبهم للغة العربية دعاهم الى استئناف الدرس عند الاستاذ زرّوق محمد زرّوق استاذ اللغة العربية المعروف في الأوساط التعليمية بكولمبو . وفي اثناء جلوسي بين هؤلاء الطلاب (الكبار) . طلب مني الأستاذ زرّوق أن اساعده بالقاء الدرس على الطلاب بصورة سهلة مبسطة وبالعربية الفصيحة المفهومة . وفي اثناء الدرس ، سألني الاستاذ زرّوق عن الفرق بين النطق بالعربية والنطق باللغات الأعجمية الأخرى . فقلت له . إن الفصاحة العربية تقوم على الاشباع واستكمال الاصوات الحرفية باشراك الحلق كله من الحنجرة واللسان والشفتين عند النطق بالحروف العربية والكلمات المركبة من هذه الحروف . فقال . وكيف ذلك ؟ فقلت له . إن المثل الاعلى لهذه اللغة هو نظم القرآن واسلوبه واصوات نطقه . فيجب ان ننسج على منواله عند معالجة الكلام

البليغ · وينبغي ان نُحاكي اساليب العرب الفصحاء حسبما تيسر لنا من القدرة في دراسة العربية والتكلم بها والتأليف فيها والخطابة بها · وما فرغت من الدرس حتى اشترك هؤلاء الطلاب ـ الكبار ـ الذين كان بينهم المحامي محمد شاه محمد ـ ـ بالتفسير والكلام وتوجيه الاسئلة اليَّ · وكان من الحضور أيضاً اساتذة معروفون في كلية الزاهرة وغيرها من المدارس يزاولون التعليم في معاهد أخرى · فاشتركوا جميعاً بالمحاورة والنقاش · فتحولت قاعة الدرس الى ندوة ادبية حول تاريخ العرب في الجاهلية وفي الاسلام · ووقف احد الطلاب (وهو مدرس في احدى المدارس الاسلامية) فتحدث بلغة التمل حول علاقة العرب بسيلان واخذ يترجم كلامه لي بجمل إنجليزية سهلة متقصداً أن اتفهم كل ما قال وما تحمس له من الحديث المتعلق بالعرب · قال · لا تزال في سيلان مجموعة من العرب الاوائل واسمهم ـ الكرانيون ـ والمطلعون من اهل سيلان يقولون إن الاسم الأصلي لهم · هو ـ القرناويون ـ وهم مجموعة من العوائل قدموا الى سيلان في القرن السادس الهجري من مدينة (القورنة) في جنوب العراق (القرنة أو القورنة هي المدينة المعروفه في جنوب العراق التي يلتقي عندها دجلة والفرات) وقال · إن هذه العوائل قد كانت مدداً عظيماً للدعوة الاسلامية في سيلان · وبسبب ما بذلته من الاخلاص للدعوة الاسلامية فقد تسامع بها الناس والتفوا عليها من اطراف سيلان البعيدة · وكانت السبب في نشر الاسلام في المناطق

النائية والقرى المنعزلة عن العمران • وقد كان هؤلاء العرب الى عهد قريب معروفين بين السيلانيين بنسبهم العربي الواضح • وهم الذين رحبوا بأحمد عرابي واستقبلوه وجمعوا المسلمين حوله عندما كان منفيا في جزيرة سيلان • وكان هؤلاء العرب موضع التقدير واهلا للاحترام من قبل المواطنين البوذيين وكان لهم امتياز خاص في حياتهم الاجتماعية • اذ كانت العوائل البوذية ذات الوجاهة والشأن العالي بين البوذيين تتسابق على التقرب من هؤلاء العرب حتى اذا اسلمت واحدة من بنات البوذيين وتزوجت في هذه البيوت العربية كان ذلك فخراً وشرفاً لاهل هذه البنت الذين كانوا لا يزوجون بناتهم إلاّ لامثالهم في الاصالة العائلية • (انتهى كلام الاخ الطالب المدرس) •

وانتقل الكلام بعدئذ الى السلالات العربية المتفرقة في الأمصار الاسلامية • فقال احد الاساتذة المستمعين في الدرس • إن من الواجب تأليف الكتب وإصدار المعلومات المطبوعة حول الهجرات العربية الى سيلان • فقلت له • إن ذلك بدون ريب هو واجب جميع الأجيال العربية والاسلامية في جميع اقطار هذه الامة • فلقد اصبح من اللازم أن يقف المؤرخ على مآثر العرب وبقاياهم (المتروكة) منذ الفتوح العربية الاسلامية تعج بها آفاق العالم الاسلامي ويشير لها كل باحث مطلع اسائحاً كان ام متجولا للتعريف بمواطن الفاتحين ومقراتهم ومساكنهم في البلاد التي دخلها

الاسلام منبثقاً نوره من جزيرة العرب • فان الكثير من الأقوام قد تفرقوا مشتتين بين الأجناس المختلفة وفي القارات المتباعدة ثم تهيأ لهم القادة والمفكرون والمبلغون فايقظوهم وذكروهم بتاريخهم ودينهم وجمعوهم على سبيل واحد كما فعل (زعماء الصهيونية) عندما جمعوا شتات اليهود الذين تفرقوا واندثرت لغتهم وضاع دينهم ونسوا تاريخهم ثم اجتمعوا على ما نراهم عليه الآن • فما بالنا لا نتحرك لتفقد العرب المبعثرين في الهند وبنغلادش وباكستان وسيلان وافغانستان وايران وغيرها من بلاد الاسلام • ولا شك أن هذا الواجب سيجدد روابط الاخوة الاسلامية فاذا شعر العرب بامتداد عروقهم الى هنا وهناك وعرفوا بني عمومتهم الذين دفعتهم الفتوح الى التخوم البعيدة • فسوف يكون ذلك داعيا الى الاندماج الكُلّي بين العرب وبين اخوانهم المسلمين • ويكون سبباً للاحساس التاريخي والمعرفة الروحية الوجدانية بين المسلم العربي والمسلم غير العربي في علاقة المصاهرات وروابط الأخوة في هذا الدين •

وفي اثناء ذلك فقد رأيت من المفروض أن اتحدث الى هؤلاء الاخوان حديثاً مسهباً حول انتشار العنصر العربي المسلم بين الاقوام الاسلامية التي غزاها العرب بالاسلام • فقلت • إن من واجب العرب في هذا الزمان الذي ملكوا فيه النفط والثروة والمال وكثرة العدد أن يتفقدوا اخوانهم العرب المنتشرة معالمهم في جميع انحاء العالم الاسلامي ليكون

من العنصر العربي قاعدة اسلامية جديدة للدعوة القرآنية ٠ وأن ينتدب ابناء الفاتحين نفوسهم ليكونوا حلقات وصل بين اخوانهم المسلمين وقومهم العرب للمشاركة في الغُنم والغُرم والسراء والضراء ٠ إن تحريك هذه القلوب تحريكاً اسلامياً تاريخياً صوب الفتح العربي الاسلامي ونحو الأصول العربية وملايين الأفواج من امة العرب التي استشهدت في سبيل هذا الدين ٠ إن تحريك هذا التاريخ والتفاعل معه سيشجع المنتسبين الى العرب على المجاهرة بأصلهم العربي ـ بدون عصبية أو غرور ـ وستنفتح ارواحهم بالوعي الاسلامي الذي يذكّر باجدادهم وزحوف الشهداء من امتهم فتلمع شهب الفكر القرآني في رؤوسهم مرة اخرى ويبرزوا امام مواطنيهم في الأرض الاسلامية كدعاة للدين عاملين ناهضين لاخاملين قاعدين ٠ ولا بد إذن من أن يكون الغرض من تفقد الجنس العربي في افغانستان وفي (بخارى) وسمرقند (وخوارزم) (وتركيا) (وايران) وجميع المناطق الآسيوية والافريقية خارج بلاد العرب تفقداً إسلامياً صرفاً ٠ بأن يشعر العربي الذي اقام في ارض الاسلام بعيداً عن قومه العرب فنسي لغته وسها عن تاريخه وتعاقبت عليه القرون بأن آباءه الأوائل واجداده الفاتحين قد كانوا حملة النور يتألق من قلوبهم وينفجر من افعالهم ٠ فاذا تحركت هذه العروق العربية تحركاً اسلامياً ٠ واذا استيقظت على نور الدعوة الاسلامية فان الجسم الاسلامي الذي اندمجت فيه وذابت واستوت ملامحها على ملامحه سوف ينتبه أيضاً ويهب

من رقاده . إن هؤلاء العرب قد انصهروا في بودقات هـذه المجتمعات الاسلامية التي تبدلت دولها وتحولت عن الاسلام . لكنهم قد وسموا هذه المجتمعات بوسم الاسلام . وبقيت صدورهم وبيوتهم كمحفظات جاهزة لمفردات اللغة العربية ولمراسم العرف العربي . ولهذا السبب فان من حقنا الادعاء بان علاقاتنا ـ نحن العرب ـ بالمجتمعات الاسلامية وروابطنا بالمسلمين في جميع الاقطار روابط جذرية وصلات وجودية محسوسة قائمة على امتداد الجنس العربي الاول في زمن الفتوح فجعلت للعرب بارض الاسلام آصرة قربى ورحماً من الحياة لا يمكن أن ينقطع . وجعلت للعرب حقاً في التراب الذي تأرج منه ريح الشهادة وتفوح مكارم العرب الفاتحين من حدود الصين وسمرقند وبخارى وخوارزم حتى حدود اوربا . إن التاريخ يؤكد في كـل صفحاتـه أنّ اربعـة اخماس العرب قد خرجت في الفتوح فانتشرت زحوفاً وجيوشاً ودعاة في هـذه البقاع من الاسلام . والذي يقـرأ تاريخ العرب وسِيَرهم وتراجم العلماء وانساب القبائل العربيـة ويتابع القيادات العربية الاسلامية في ألوف الألوف من أمة العرب التي زحفت وملأت فارس وخراسان وعبرت النهر وخرجت على هيئة جحافل مـن الجند وزحوفاً مـن الرجال والنساء وفئات من المبلغين حتى طبقت الأندلس واشرفت على اوربا . سوف يدرك أن العرب قد انطلقوا من جزيرتهم سبعة قرون كاملة بأعداد وقبائل وجماعات واجيال لا يحصيها العدُ ولا تُحيط بها الأرقام وقد عرّبت فارس وخراسان

وما وراء النهر كله والأندلس وامماً اخرى يعرفها من قرأ التاريخ • هذه امور ثابتة" وجبت معرفتها • فمن الألقاب والأسمـاء والتوكيدات في الانتساب الى العنصر العربـي نستطيع أن نتعرف على الكتل العربية خارج بلاد العرب • نعم • إن المؤرخ ليجد بقايا العرب أينما يولي وجهه في كل قطر إسلامي • ونحن نحس بوجود العروق العربية منتشرة في الهند وباكستان وبنغلادش واندونيسيا • فلقد سكنت العرب الأرض المفتوحة ومصرت الأمصار • وقد كان اللسان العربي هو الملفوظ المنطوق على السنة الفرس وخراسان وما وراء النهر • وكان الراكب يسير من بغداد الى سمرقند وخوارزم أو من بغداد الى الأندلس • فلا يبرح سمعه لغة القرآن • ولا يسمع الا اسماء عربية • وكان ذلك طوفاناً إسلامياً قد بلغ مداه ووصل غاياته بتلك الزحوف العربية الاسلامية التي اندفقت بالقبائل العربية المتمرسة بالقتال • وقد مشى تحت هذه الألوية القرآنية جميع اصحاب المجد الرفيع من امة العرب الذين انقطعوا الى الموت والبذل والدماء هم وذراريهم جهاداً في سبيل الله وتبليغاً للدعوة • وعندما دارت الدوائـر وسقطت الهمم وفسدت القلوب واشتعلت نيران الثـورات الباطنية والمانوية والالحاديـة • وتمزقت وحدة العرب في عالم الاسلام • وتقطعت الأواصر • جاء هولاكو فاخمد بجيوشه نور الحياة في حضارة هذه الأمة وابيد اكثر الجنس العربي الاسلامي في خراسان وفيما وراء النهر وفي فارس • وابيح المسلمون قتلا وتدميراً بعساكر الصليبيين

والمغول وتيمورلنك • فانطمس بعـد ذلك اللسان العربي وانكمش وجـود العرب الاسلامي وتوقـف الفيض الالهي الرباني •

هكذا كنت اقول لهؤلاء الاخوان السيلانيين المؤمنين • وكان هذا الكلام كله جواباً ملخصاً عن اسئلتهم واستفهاماتهم التاريخية • وكان الاستاذ زرّوق محمد زرّوق قد ترك الدرس واخذ يلقي صوراً من التاريخ العربي في الجاهلية والاسلام • فتكلم هذا المدرس الذي اوقف نفسه على خدمة اللغة العربية ونشرها حول صلابة العربي وشدته في دفاعه عن عرضه واستماتته في الحفاظ على نسائه • وطلب مني أن القي كلمة ليترجمها للاخوان بلغة التمل ، وليقرأها على طلابـه في المدارس الاخـرى • ورغب التحدث في التصور التاريخي لمشاعر العربي واحساساته وميوله الانفعالية في فتـرات (الجاهلية) الأخيرة قبل سطوع النـور الاسلامي • والغرض من هـذا الحديث هو تذكار" واعتبار" ونظـر" في صفات الشرف التي جبل الله عليها النفس العربية في الجاهلية وفي الفتح الاسلامي • لقـد كان العربي في الجاهليـة معتزّاً بقيمـه الخلقيـة • وكان سريع الغضب والانتقـام في سبيل عرضه • اذ كانت المرأة العربية في الجاهلية والاسلام آية الناموس الثابت لعلو القبيلة أو انخفاضها على مرتبة السمعة ودرجة الصيت من شرف المرأة وحصانتها • وفي اللغة العربية فان كلمة ـ عِرض ـ معناها ـ النفس ـ أو ـ الشرف ـ أو ـ الحسب • وهكذا فان العربي عندما اطلق

كلمة العِرض على نسائه ونساء قبيلته فقد جعل بين نفسه وحياته ووجود قبيلته من جهة وبين عرضه وسمعة نسائه وشرف المرأة العربية والمسلمة من جهة اخرى ، ملازمة ضرورية وعلاقة أبدية وارتباطاً دائماً لا تنفصم عروته ولا تنحل عقدته فالعِرض عند العربي هو الحياة وهو الشرف وقد جاءت الشريعة الاسلامية فجعلت العربي يوسع روحه هذه ويعمّق احساسه بالدفاع عن سمعته البيتية · فكانت قوانين الاسلام امراً للعربي بان يكون حامياً لناموس المرأة المسلمة عامة وذاباً ـ بكل حوله وقوته ـ عن اعراض المسلمين ومترفعاً متكرماً امام حرمات البشر جميعاً · فالاسلام قد فرض على العربي وغير العربي من المسلمين تكريم اعراض البشر واحترام البيوت والنساء والحرمات من كل جنس والتاريخ يشهد بذلك والفتوح العربية الاسلامية ابلغ دليل على تمسك العرب بمبادئهم الفطرية الممتزجة بالاسلام عندما سلطهم الله على الأمم والشعوب · فكانوا معلمين وهداة · ومن المدلول اللغوي لكلمة ـ عرض ـ يتضح العنفوان القوي في شعور العرب بذلك وتظهر الروح العربية الاسلامية بأعلى معانيها حينما تكون زوجة الرجل واخته أو قريبته أو إحدى محرماته هي ونفسه واعراض الآخرين من المسلمين والامم الاخرى على منزلة سواء في استنكار التهتك والنفور من الدناءة · وكان البلاء كل البلاء عندما يمتحن العربي بعرضه · أو يسام الذل بواحدة

من قريباته أو عندما يسمع ويرى تعريضاً أو مساً باعراض قبيلته • كان الرجل يكلم زوجة الرجل بمحضر الأهل والزوج • وكانت المرأة تقري الضيف وتشارك اهلها في ذلك • ولكن الويل كل الويل اذا اختلى راجل بزوجة رجل آخر أو اقترب منها منفردة أو كلمها على سابلة الطريق وفي اثناء الرعي وطلب الكلأ والورد • عندئذ تحترب القبيلتان حتى تُفني احداهما الأخرى • وبسبب ذلك فقد خُلقت هواجس العربي وخواطره مشبوبة ملتهبة بعاطفة الخوف على عرضه • واذا رأيت العربي ماشياً امام زوجته أو احدى قريباته فلم يقدمها امامه كما يفعل (بعضهم) في هذا الزمان فلا تسأله • لماذا لم تقدم زوجتك امامك وانت تمشي • واعلم أن هذا هو شعار التهيؤ للحفاظ المُر والانَفَة البصيرة الواعية والاستعداد للذب عن الشرف • فالعربي يفتدي اهله بلبة صدره • ولذلك يتقدم العربي على نسائه راكباً ام راجلا ـ في الجاهلية أو في الاسلام • إنه في حذر دائم وهذا هو الفرق بين العربي وغيره في فطرة الاسلام وعلى ضوء التشريع القرآني •

وتكلم بعد ذلك الأستاذ زرُوق محمد زرُوق عن كرم العرب • وكيف أن العربي يموت جوعاً ويضوى فيتلوى اطفاله فاقة وسَغَباً ويحرق الظمأ جوفه ليدخر الطعام والماء لضيفانه وطارقيه •

ولقد ختمنا هذه الدروس بهذه المذكرات العربية الاسلامية والفضل في ذلك للأخ الاستاذ زرزوق محمد زرزوق وزملائه وطلابه الذين اثاروا نفسي وحركوا مشاعري وجعلوني اعبّر وابوح حراً بكل ما في نفسي وبجميع ما زخر به قلبي من الخواطر والافكار والعواطف .

نوفل (أو نوفر)

M.R.A.M. NOOFER. /28/ AKW. HAME COLOMBO

نوفل أو كما يسميه اهله نوفر ـ بالراء ـ شاب مسلم مـن كولمبو تعرفت عليه في الأيام الأولى من وصولي هـذه البلاد • وقد مشى معي في الأسواق ودخل معي بعض المساجد وكان يقرأ لي القرآن ويسألني عن تفسير الآيات • واخبرني بأنه طامحٌ الى أن يكون قارئاً للقرآن بارزاً في كولمبو • ولذلك • فهو يرتل الآيات بينه وبين نفسه في كل وقت مجهراً طوراً ومسراً في حين آخر • وقد كان دائم الشكوى والتذمر من احواله المادية الخاصة • وقد كتب اليّ عندما رجعت الى البحرين من سفري الأول لسيلان • فاخذت أجدُ واسعى في سبيل توظيفه وايجاد العمل له • ولكنني لست قديراً على مساعدة امثاله بسبب القوانين المطبقة في إمارات الخليج العربي • وقد ابلغته في رحلتي الثانية الى سيلان ـ معتذراً ـ بأن هذه المشيخات في خليجنا العربي قد فتحت الابواب للهندو والبوذيين (والمتنصّرين) والرعايا الايرانيين وشرطت (مدة الاقامة) للعربي باثنتين وسبعين ساعة ليس غير ولا يباح للعربي مثلي أن يكفل احداً أو يتعاقد معه أو يطلب دخوله الى البحرين • فرضي نوفل بهذا العذر واخذ يوالي غدواته وروحاته اليّ وانا في فندق (جمعية الشبان المسيحيين) Y.M.C.A. • لكني ـ في هذه الأيام ـ قد

شعرت بالنفور منــه والحذر وشككت بأسباب تقربــه مني واخذت أرقب حركاته ونظراته الى حقائبي ·

وعندما كنت ادخل المغسل فقد كنت اتعمد إبقاء جانب من الباب مفتوحاً لملاحظة ـ نوفر ـ ومراقبته حينما اتركه منفرداً بين ملابسي وحقائبي في الحجرة · كل ذلك تحسُّباً لهذا الوَزَغ الشرّير · ولكنَّ هذه الحيطة والاحتراس لم يُجديا شيئاً ·

ففي صباح يوم الاثنين ٩ شهر ربيع الاول ١٣٩٤هـ الموافق ٢ نيسان ١٩٧٤م · وبينما كان ـ نوفر ـ جالساً في حجرتي يرتِّلُ القرآن · وقد كنت دعوته لمصاحبتي في زيارة ـ المتحف ـ في كولمبو · وقد حضر اليَّ بكرة · وحينما دخلت المغسل في مدة ـ ثلاث دقائق ـ ومع أني كنت شديد الاحساس المؤكـد بأن في حجرتي لصاً نشالا متمرنـاً على السرقات ـ غير أني قد نسيت حقيبتي بدون قُفْل ـ وفي طرفـة عين اغتنم (نوفر) الفرصة وفتح الحقيبة مترفقـاً بحركة يدوية خفيفة · فخطف المبلغ من الفلوس الموجودة عندي من اناء خشبي صغير في داخل الحقيبة · ثم اخذ يتلو الآيات القرآنية بطريقة ـ عبد الباسط !!!

عدت من المغسل وهيأت نفسي للخروج وقدمت له بعض المأكولات المعلبة واخذته معي وذهبنا الى المُتحف · وبعد أن تجوّلنا واطلعنا على المعروضات · جلسنا قليلا لنستريح

في احدى الحدائق المجاورة للمُتحف • فقال ــ نوفر ــ إنه جوعان وإنه يرغب في أن نذهب الى احد المطاعم • فاستغربت تظاهره بالجوع وخطر في نفسي خاطر" مفاجيء بأن نوفراً ليس بجائع ولا هو بمضطر على الأكل في هذا الوقت • اذ كان قد تناول وجبة كاملة من الطعام معي في الحجرة • ولكنَّ نوفراً يريد أن يغطّي فعلا •• مَّا • قد ارتكبه • وأردت أن أسأله • وجال السؤال في فمي • واخذت احلل في نفسي اضطراب نوفــر المصطنع وتثاؤبه المقصود وتلويحــه امامي بأن قدميه ثقيلتان من شدة الجوع • وقد عجبت • عندما قال لي إن بطنه خالية" من الطعام منذ امس • فقلت • في نفسي • إن هذا اللص يريد أن يُخفي امراً من الأمور أو انه بعد أن ــ لقف الفلوس ــ وملأ بها جيبه يحاول بتصرف شعوري ام (لا شعوري) أن يوهمني بأنه رجل مفلس" فقير فارغ (الجيب) في تلك الساعة • فأتهم غيره عندما اعود الى الحجرة واتفقد المصروفات •

فلما فرغنا من الطعام واستأذن عائداً الى منزله ووعد بأنه سيرجع اليَّ الساعة الثالثة من مساء اليوم نفسه • فعدت الى الفندق وبادرت الى فتح الحقيبة فرأيت الاناء الخشبي فارغاً من الفلوس • وعرفت السارق باسمه وعينه • ولم يخطر ببالي شخص" آخر غير هذا اللص المدرب المتختل بالآيات القرآنية • ولكني قد تعمدت إخفاء اسم (نوفر) عندما كنت أتحدث عن السرقة مع مدير الفندق لكي لا

امسَّ بسمعة الشباب الاسلامي في كولمبو · وحينما سمع اهل الفندق بخبر السرقة اخبروا الشرطة وارتبكوا وازدادت حركتهم وعقدوا اجتماعاً للتداول والمناقشة · وكانوا مندهشين ومعتقدين بأن السارق قد اتى من خارج الفندق · وعندما حضر مندوب الشرطة الفنية المختص بتعقيب جرائم السرقات اخذ يسأل ويفحص الحجرة ويقارن بين المفاتيح ويُجيل النظر في كل شيء · ويوجه اليَّ الأسئلة الدقيقة التي كانت موضوعة ومعدة لمثل هذه الحوادث · وقد تضايقت من الاستفهام المتلاحق والأسئلة المتشابكة حتى خلت كأني انا السارق ولست انا المسروق · ومع هذا كله وانا أخفي في قلبي إسم ـ نوفر ـ اللص المتسربل بالدين وما أردت أن أشمت (جمعية الشبان المسيحيين) ·

لقد كان اهل الفندق مصرين على أن السارق هو واحدٌ من الشبان الذين كانون يزورونني مُصبحين وممسين ·

وقال لي مندوب الشرطة · إن السارق لم يأتِ من الخارج إن السارق من العاملين أو المقيمين في الفندق انفسهم · ثم صدر الأمر بالتحقيق مع بعض الشبان السيلانيين المسيحيين الذين كانوا يُمارسون العاباً رياضية في إحدى قاعات الفندق · وحينما رأيت الشرطة يجرونَ بعض هؤلاء الفتيان ويلقونهم في السيارات ـ وكلهم من الناشئة الأحداث الأبرياء من تلك السرقة ـ داخ رأسي ودار وضاقت انفاسي وصرت كأني شريك لهذا اللص ـ نوفر ـ

وشعرت بأني انا السبب الأول في إزعاج هؤلاء الفتيان من طلاب المدارس والتسبب بايذائهم وتوجيه التهم اليهم • وكلما سمعت شرطياً يسارع الى واحد منهم أو يناديه قمت من مكاني وبادرت الى تزكية ذلك الشاب والشهادة له بالبراءة من السرقة • وطلبت من الشرطي أن يُخلي سبيله حتى اقنعت الشرطة بترك هؤلاء الشبان والانصراف عنهم • كنت افعل ذلك بحرج شديد واحساس لا يوصف بالخجل والندم لأني اخبرت الشرطة بهذه السرقة • وبعد ساعتين من الوقت رجع الينا ممثل الشرطة المختص وهو يقول • إن الأصابع تشير واضحة مؤكدة الى احد الشبان المسلمين من زائريك الكثيرين (الذين يزيد معدلهم اليومي على اربعين زائراً) ثم اخذ يصف لنا السارق المقصود واذا به يتكلم واصفاً صاحبنا بطوله وبعرضه وبملامح وجهه • وقد كان ممثل الشرطة هذا محنكاً ومجرباً حقاً • ومن ذوي الخبرة وطول الباع في معرفة اللصوص وتشخيص الآثار والسمات فقد أسهب في وصف نوفر ولم يبق في فمه إلاّ أن ينطق باسمه نطقاً واضحاً لا إبهام فيه •

كان هذا امرأ عجيباً • وقد حضر المحامي محمد شاه محمد وبعض الشباب الجامعيين منهم • جزولي محمد ـ ونظري محمد نزار • فقلت لهم • إني لا أريد أن أُسمّيَ المسلم السيلاني الذي قام بهذه السرقة وذلك من الاحترام الواجب اللائق بي لجماعة المسلمين في سيلان • ولا أريد أن

اعرّض اسرته وعائلته لمذمّة الناس وطعونهم . وقد شكرني هؤلاء الاخوان وتأسفوا غاضبين متألمين . وفي اليوم الثاني فقد التقينا (نوفرا) فارتبك امامي ارتباكاً عظيماً وطلب مهلة للتفكير وبدرت منه كلمات الاعتراف ولكني غضضت النظر عنه وتركته . كما قلت ـ لأجل الاخوان والاصدقاء من هؤلاء الحافين بي من اهل سيلان .

وليكن هذا آخر ما اردنا تقديمه للقارىء من تسجيل هذه الرحلة التي قد كتبت وحبرت بالقلم جميع مشاهداتي وانفعالاتي الروحية فيها بما قد كان ضعف هذا الكتاب من المواضيع والصفحات ولكن (واقـع الاحـوال) والضروات الخاصة قد الزمتني بالحذف والايجاز وتأجيل ما لا يتاح نشره مطبوعاً في وقتي الحاضر .

مْعن' بن شَناع العِجلي

العراق . ذي قار . سوق الشيوخ

الفهـــرس

آثار المؤلف المطبوعة

يوسف رجيب ـ ١٩٥٧م ٠

في البصرة ـ ١٩٤٨م ٠

دروس قومية ـ ١٩٤٩م ٠

حول التفكير الشيوعي ـ ١٣٧٣هـ ٠

قبس من فلسطين ـ ١٩٥٣م ٠

المثل الأعلى في تعليم تاريخنا ٠ نشر تباعاً في جريدة السجل البغدادية ١٩٥٤م ٠

على شواطىء الخليج العربي ـ الحلقة الأولى ٠ نشرت تباعاً في جريدة الشرق البغدادية ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م ٠

ماذا في شمال العراق ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ٠

البندقية الملعونة ـ ١٩٧١م ٠

بلوجستان ديار العرب ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

على شواطىء الخليج العربي ٠ الحلقة الثانية ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ٠

هكذا كنت في سيلان ٠ (هذا الكتاب العتيد) ٠

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
وزداد	وازداد	٤٨	١٨	كرلوك	كركوك	١٣٠	٢
صدرونا	صدورنا	٦٥	١٩	كوكوك	كركوك	١٣٩	٨
جينئذ	حينئذ	٦٦	٧	اذا التقى	اذ التقى	١٧١	٩
ميحطين	محيطين	٨٦	٢٢	المعلومات	المعلولات	١٨٥	١٣
في في	في	٨٨	١	يتحرمن	يحترمن	٢٠٥	٢
سليماً	سلمياً	٩٠	٧	امامه	امامي	٢١٠	١٦
ذكراً	ذاكراً	٩٢	١٧	مصالحة	مصارحة	٢١١	١٢
لاخواجي	لاخراجي	٩٤	٥	التقيت	التقت	٢١٥	٢١
والتقلب	في التقلب	٩٨	١٨	جينئذ	حينئذ	٢٣٦	٢٢
وتسيرً ×	وتسيرُ	١٠٠	٣	بأقول	باقوال	٢٨٩	٤
المؤمنة	المثابرة	١٠٤	٩	المرتدً	المرتدً	٣٠٦	٢٢
يخولني هذه	يخولني زيارة هذه	١٠٧	٢١	محاكات	محاكاة	٣٠٩	٩
المبشّرون	المبشّرون	١١٣	١٧	يقدمون به	يقدمون منه	٣١٦	١٣
حماسك	حماستك	١١٧	٤	SEYLON	CEYLON	٣٣٠	٢
بالتشر	بالتشرد	١١٨	٣	احدها	احدهما	٣٣٥	٣

Thus. I Was In Cylon
(In Sirilanka)

BY

MA'AN BIN SHANA'A ALIJLY

IRAQ SOOK AL - SHIOKH

IST. PUBLISHED

IN JORDAN

1402 - H. - 1982 - M.

جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان